حياة صموئيل

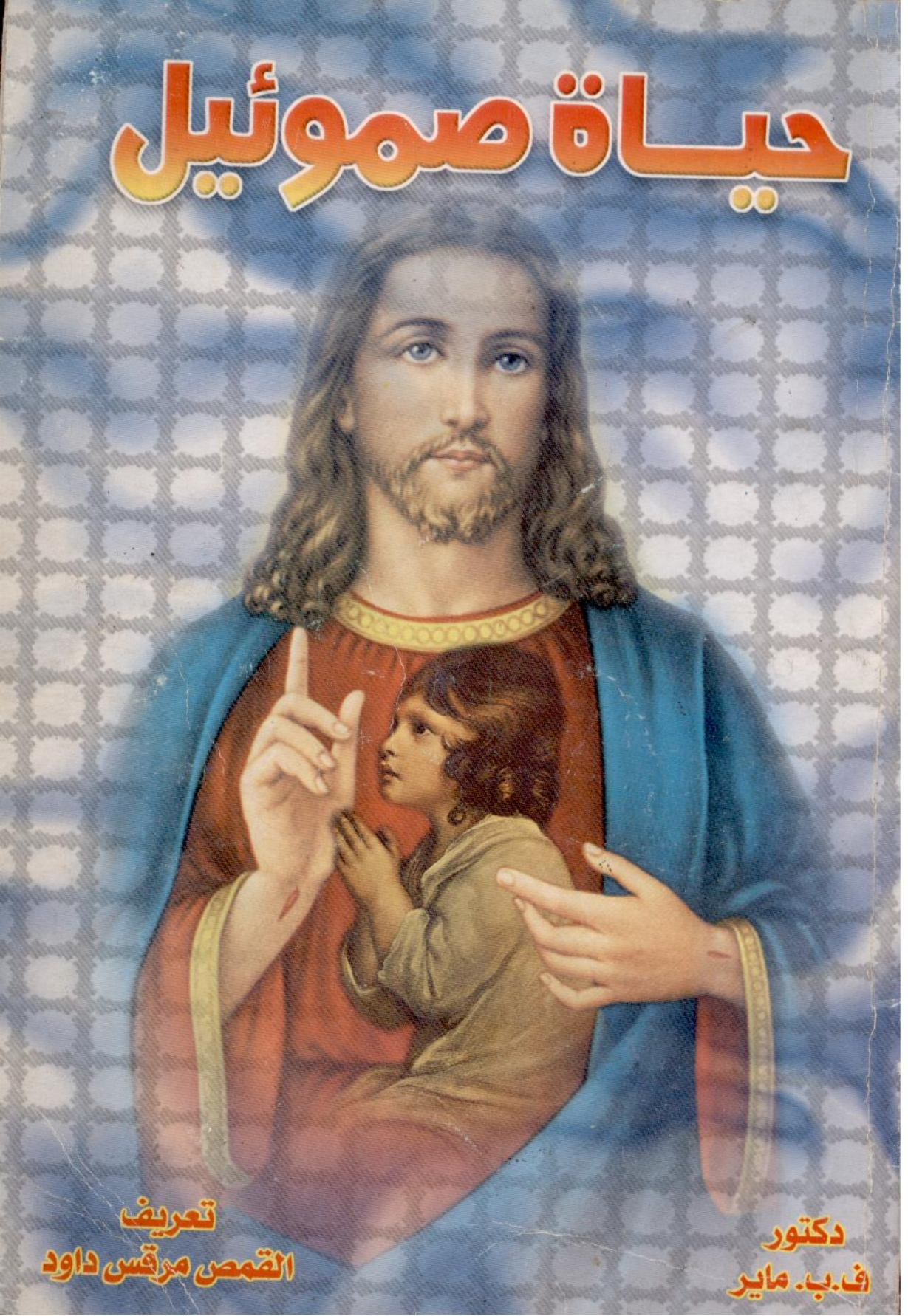

دكتور
ف.ب. ماير

تعريف
القمص مرقس داود

حياة صموئيل النبي

تأليف

الدكتور ف . ب . ماير

تعريب

القمص مرقس داود

الطبعة الثانية

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا ناصية شارع البعثة - ت : ٥٧٥٩٢٤٤ - ٧٧٧٤٤٨

مقدمة المعرب

« حياة صموئيل النبى » هذه هى الحلقة الباقية من هذه السلسلة المباركة عن شخصيات الكتاب المقدس للكاتب الدكتور ف . ب . ماير التى لم أكن قد قمت بتعريبها إلى الآن نظرا لعدم وجود نسخة منها عندى باللغة الإنكليزية .

وإذ حصلت أخيرا على نسخة فإنه يسرنى أن أقدمها باللغة العربية إلى القراء متوسلا إلى من بارك باقى السلسلة أن يبارك هذه الحلقة أيضا لمجد أسمه وبنيان حياة الكثيرين ممن يقرأونها .

وقد يلذ للقراء أن يعرفوا كيف حصلت على هذه النسخة أخيرا .

لجأت إلى مكتبات كثيرة والى أصدقاء كثيرين فى مصر وفى الخارج ففشلت كل المساعى . أخيرا كتبت الى صديق لى بجميعة الكتاب المقدس البريطانية بلندن كان يعمل معنا فى أديس أبابا مديرا لفرع الجمعية بها . بحث صديقى هذا فى مكتبات كثيرة فى لندن فلم يعثر على الكتاب . لكن نظرا لأن صداقتنا كانت ولا زالت متينة جدا ، ونظرا لما يعرفه عن قوة وعمق وروحانية هذه الكتب . ونظرا لعلمه بأن الكتاب سوف يعرب وينشر فى مصر وفى الشرق بلغة أخرى ، عز عليه أن يستسلم لليأس ، فكتب كلمة بأحدى المجلات الدينية عن رغبته فى الحصول على نسخة من الكتاب ولو من باب الاعارة ، وذكر سبب هذا الطلب . وللحال وصلته نسخة من الكتاب من سيدة مع خطاب قالت فيه أن هذه السلسلة من الكتب كان لها تأثير كبير فى حياتها ، وهى لذلك تتبرع بالنسخة الوحيدة التى تملكها وتعتز بها وذلك لكى تعم الفائدة .

وحالما وصله الكتاب تكرم بإرساله لى مع أحد الأصدقاء لكى يطمئن بأنه قد وصل ليدى خشية ضياعه إذا ما أرسل بالبريد .

أرجو أن تكون هذه القصة جديرة بالنشر . وأرجو أن يعوض الله صاحبة الكتاب والوسيط ، الصديق العزيز ، الذى تكرم وبذل هذا المجهود المبارك .

ولالهنا كل مجد وكرامة

من الآن والى الآبد

أمين

✠ ✛ ✠

٢٦ مــارس ١٩٦٧

١٧ برمهـات ١٦٨٣

الطبعة الثانية ١٩٧٩

١٦٩٥

القمص مرقس داود

مقدمة المؤلف

وردت فى « أعمال الرسل » عبارتان تبرهنان على عظمة وأهمية حياة صموئيل :

« أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى » (أع ١٣ : ٢٠) .

« جميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده » (أع ٣ : ٢٤) .

« حتى صموئيل » ، « من صموئيل » . هذان الحرفان « حتى » ، « من » يبينان أن هذه الحياة العظيمة كانت محورا ، أو قنطرة ، أو حلقة أتصال ، أو نقطة التقاء عصرين ، مكانا التقى فيه بحران .

ان دراسة حياة صموئيل النبى نافعة بصفة خاصة للذين دعوا لكى يعيشوا وسط أحداث العالم الصاخبة . أنه لم يعتزل العالم ليعيش حياة الزهد والتنسك. ولكنه دعى ليلعب دورا هاما فى تاريخ شعبه كرجل ادارى محنك، وكسياسى . لقد كان صانع ملوك وعازل ملوك عن ملكهم . كان صموئيل فى بداية تاريخ العبرانيين كما كان برنارد الذى من كليرفو Bernard of Clairvaux للعصور الوسطى ، لكن بدون أخطائه .

ان حياته لا تجرى كثيرا على ألسنة الناس . ولذلك فاننى أعتقد أن هذا الكتاب يسد حاجة ماسة . لكننى أود أن أعبر عن شكرى الخاص لدين ستانلى Dean Stanley من أجل كتابه الكنيسة اليهودية والقس دين من أجل كتابه صموئيل وشاول . وقد أمدنى كتاب آخرون بكتبهم ، التى عن طريقها حاولت أن أقدم وصفا دقيقا لحياة صموئيل النبى ، ولشاول الملك بطبيعة الحال .

✠ ✠ ✠

ف . ب . ماير

١

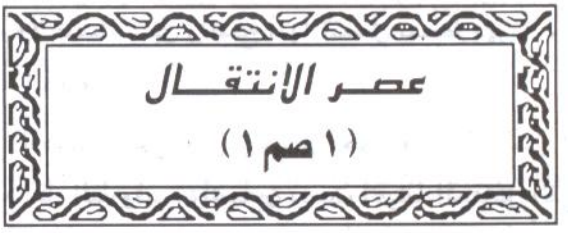

عصـــر الانتقـــال
(١ صم ١)

النظام القديم يتغير ليفسح المجال
لنظام جديدوالله يتمم مقاصده بطرق
كثيرة لئلا تفسد العالم عادة واحدة طيبة

[تنيسون]

« نحن الذين أنتهت الينا أواخر الدهور » (١ كو ١٠ : ١١) ، أى انتهاء دهر وابتداء دهر آخر . هذا هو موقفنا اليوم ، فى كل ناحية يخلى النظام القديم مكانا للنظام الجديد . كان هذا هو الحال فى أيام الكنيسة الأولى عندما أخلى نظام الطقوس اللاوية الرمزية المكان « للسماويات عينها » . وكان هذا هو الحال أيضا فى بداية أيام صموئيل . فقد كانت حياة صموئيل فترة انتقال مباركة بين أيام القضاة وأيام داود الملك .

الى ذلك الوقت كان رئيس الكهنة هو السلطة العليا التى تعترف بها أمة اليهود . لم يكن ممكنا - بطبيعة الحال - أن يوجد من يخلف موسى مؤسس تلك الأمة . أما هرون فقد كان بداية سلسلة من الكهنة متصلة الحلقات . لم تقم وظيفة أخرى تمثل كل اسرائيل مثل الكهنوت . لم يقصد للعهد الموسوى أن يصل الى القمة فى عهد رئيس الكهنة الذى يندر أن نراه قد جمع بين الخدمات الروحية والصفات الخاصة التى يجب أن يتحلى بها قائد عظيم وحاكم قدير . فكثيرا ما التوى حكم رجـال الكهنوت فى العهد القديم بسبب التعصب ، والظلم ، وكبت الآمال البشرية السامية .

فى الآيات الأخيرة من سفر راعوث ، الذى يرتبط به سفر صموئيل الأول بحرف عطف (فى الترجمة الانجليزية) ، نرى أنه كانت هنالك فكرة عن حدوث تقدم جديد فى السياسة اليهودية . فان سلسلة النسب ، التى اختتم بها سفر راعوث ، والتى كانت هى قمة تلك الرواية الرعوية الحلوة ، ليست لها علاقة بهرون ، ولا بنسله ، بل واضح أنها تتصل بسبط يهوذا ، الذى لم يذكر عنه شئ بصدد الكهنوت .

واضح أن القصد الإلهى كان يتقدم نحو الأمام . ولكن إذ نرجع الى الوراء ، ونتطلع لكل الظروف ، واضعين نصب أعيننا الحقائق التى تمت ، نقدر أن نرى بأن ذلك القصد الالهى كان يتحرك ببطء نحو تأسيس مملكة تحت حكم داود ، وكانت محتجبة عن كل الأعين حركة أكثر عمقا نحو أعلان « النبى الأعظم » ، الذى كانت طبيعته العجيبة سوف يجتمع فيها الكهنوت ، والنبوة ، والملكية ، بتناسق تام ، وجمال رائع .

(١) كانت الحاجة ماسة الى رجل قوى

كل عصر يرفع الصوت عاليا : « أعطونا رجالا » . لكن أن كانت هنالك حاجة ماسة إلى رجل قوى ، فقد كانت تلك الحاجة أمس ما يكون فى الأيام التى يعطينا عنها فكرة مذهلة سفر القضاة .

كانت أرض كنعان قد تم غزوها لكن سكانها القدامى لم يكونوا بعد قد أخضعوا . فقد بقوا فيها بكثرة، كما بقى السكسونيون فى بلادهم بعد أن أحتلها ملوك النورمان الأوائل . فى الجنوب أحتل الفلسطينيون مدنهم الخمس . والجبل الحصين ، الذى أطلق عليه أسم جبل صهيون ، والذى تحصن فيه اليبوسيون ، ظل شامخا متحديا كل قوة إلى أيام داود . وكان كل شاطئ البحر تقريبا، وكل الحصون فى سهل اسدارايلون (١) الغنى ، فى أيدى الكنعانيين .

وبقيت مملكة جازر الصغيرة مستقلة إلى أن غزاها ملك مصر ، وأعطاها مهرا لملكة سليمان ، وعلى الحدود الشمالية كانت بقايا تلك الأمم العظيمة التى قلبها يشوع فى معركة مياه ميروم (يشن ١٠ : ١ - ٩) ، والتى ربما أظهرت فقط ولاء اسميا لسلطان اسرائيل المطلق . وهكذا « ترك الرب أولئك

---

(١) لعل المقصود وادى يزرعيل .

الأمم ولم يطردهم سريعا ولم يدفعهم بيد يشوع .... ليمتحن بهم اسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان ..... لتعليمهم الحرب الذين لم يعرفوها قبل فقط » (قض ٢ : ٢٣ ، ٣ : ١ و ٢) .

لولا وجود تلك القبائل الحربية لما سمعنا قط عن جدعون وباراق ، ويفتاح ، وشمشون ، وداود ، بدون هذا التدريب كان اسرائيل قد صار شعبا خنوعا جبانا ، تنقصه الشجاعة والقوة ، ولسكنوا « بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين فى أرض واسعة الطرفين ..... مكان ليس فيه عوز لشئ مما فى الأرض (قض ١٨ : ٧ و ١٠) .

كثيرا ما مررنا - فى تدريبنا الروحى - فى اختبارات مماثلة لهذه كثيرا ما اجتزنا الحروب حيث توقعنا السلام والاضطهاد ، حيث توقعنا التحرر من كل مزعج ، والتفريغ من أناء إلى اناء حيث نتعلم الحرب توقعنا الاستقرار . اليس واضحا أنه قد سمح بهذا لامتحاننا ، لكى نتعلم الحرب ، لكى نعرف أنفسنا ونعرف الله ، لكى تنمو أخلاقنا وأخلاق أولادنا فتصير أكثر مما كان ممكنا أن تصل إليه بدون هذا ؟ .

وفى حياة اسرائيل كان تعرضهم المستمر هذا لهجوم الأعداء عليهم يشتد فى حالة عدم توفر حكومة قوية لديهم . كان الكهنوت قد تسلمته أياد ضعيفة منذ أيام فينحاس . ومما يؤيد هذا أن عالى لم يكن من بيت اليعازر ، الابن البكر لهرون ، والذى كان يجب أن تستمر الخلافة فيه ، بل من بيت الابن الأصغر ، أيثامار .

والأرجح جدا أن نسل الابن الأكبر برهنوا على عجزهم عن مكافحة فوضى زمانهم لدرجة أنهم أنزووا ليخلوا الطريق لشخصية قوية برهنت على جدارتها لقيادة قوات اسرائيل . ولعل عالى أتى فى شبابه عملا قويا رفعه إلى المركز السامى الذى أعطاه له قومه ، ولو أننا ، أول ما نقرأ عنه ، نجده فى حالة يرثى لها من ضعف الشيخوخة (١ أى ٦ : ٤ - ١٥ ، ٢٤ : ٤) .

كان يقام أنبياء من وقت لآخر لمهمات وقتية . « أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى » (أع ١٣ : ٢٠) . « وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى . لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم » (قض ٢ : ١٨) .

وعلى أى حال فقد كان حكم القاضى شعاعة عابرة من النور فى ذلك العصر المظلم العاصف . كان سلطانه يمتد - على أوسع مدى - إلى سبطه والأسباط المجاورة . فشمشون مثلا لم يكن إلا بطل الجزء الجنوبى من البلاد ، أما يفتاح فكان قائد الأسباط التى فى عبر الأردن . وفى كثير من الحالات كانت وظيفة القاضى تنتهى بانتهاء الضائقة الخاصة التى استدعت وجودها . ولم تدم إلا فى حالتين أو ثلاث حالات ، إذ دعت الى بقائها أعمال بارزة قام بها القاضى ، كما حدث فى حالتى دبورة وجدعون .

هكذا كانت البلاد فى خطر الدمار بسبب الفوضى الداخلية الناشئة من عدم وجود حكومة ، وبسبب الهجمات الخارجية . وإذ لم يتوفر مبدأ التماسك ، أو نقطة التجمع ، أو قائد معترف به ، لم يتوفر من يقاوم ضعط الكنعانيين من الداخل ، أو الأعداء من الخارج .

« وفى تلك الأيام لم يكن ملك فى اسرائيل . كان كل واحد يعمل ما يحسن فى عينيه » (قض ١٧ : ٦)

« وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب » (قض ٢ : ١)

« وصرخ بنو اسرائيل الى الرب » (قض ٣ : ٩)

هذه الثلاث آيات ، التى تكررت مرارا وبشدة ، هى مفتاح كل سفر القضاة .

وعلاوة على هذا فقد كانت الالتزامات الدينية ضعيفة جدا .فمثلا نجد اسم البعل وهو اله فينيقى، تكرر ثلاث مرات فى أسماء أسرة شاول (١ أى ٨ :٣٠، ٣٣ ، ٣٤) وروايات ميخا ، وراعوث ، واستئصال الدانيين ، تصور لنا صورا محزنة عن حالات التفكك ، والطياشة ، وجموع الشهوة ، والتعرض لهجوم الأعداء .

لهذا كان لازما ادخال نظام جديد . كان الأمر يستدعى شخصية قوية جدا لايجاد وحدة وطنية ، ولتطوير حكم القضاة ليكون دائما ، وذلك باقامة ملك يحكم البلاد ، للابقاء على ولاء اسرائيل لاله آبائهم ، ولقيادة كل الأمة منذ حكم آخر قاض إلى حكم أول ملك ، وسوف نرى أن هذه الشخصية تحققت بكيفية عجيبة فى صموئيل النبى ، الذى قاد شعبه من جيل إلى آخر دون حدوث أية ثورة أو انقلاب ، الأمر الذى يحدث عادة عند حصول تغيير كبير .

(٢) كيف توفرت هذه الحاجة :

تأتى هبات الله العظمى للإنسان عن طرق الكد والجهاد والتعب ، هل يمكن أن نجد أمرا ، فى الناحية الروحيـة أو الناحية الزمنية ، اصـلاحا عظيمـا ، أو اكتشافا نافعا ، أو نهضة روحية ، لم تأت بالتعب والدموع ، بالسهر وسفك دماء الرجال والنسـاء ، الذين كانت آلامهـم هى مخـاض ولادتهـا ؟ أن ما لا يكلف أية نفقـة لا يفيد كثيـرا فى خـلاص البشـرية أو أغاثتـها . والذين لا يهتمون إلا بخلاص أنفسـهم لن يقدروا أن يخلصوا جيلهم . لكى يقام الهيكل كان يجب أن يتحمـل داود المشقات الجسيمة . ولكى يتحرر انجيل نعمة الله من تقاليد اليهود كان يجب أن تكون حياة بولس الرسول سلسلة من الآلام متصلة الحلقـات ، ولكى يتم أى اصـلاح أو أية نهضة فى أى بلاد يجب توفر الشخصيات المستعدة لتضحية النفس والنفيس . ولكى تتم اكتشافات علمية عظيمة يجب توفر شخصيات أمثال جاليليو، وجالفانى، وفرادای ، واديسون ، ويسهرون الليالى ، ويصرفون الأيام فى تعب متواصل سنـوات طويـلة . ان كان يجـب تثبيت بعض الحقـائق الدينية ، أو اذاعتها ، أو الدفاع عنها ، يجب توفر شخصيات قوية مستعدة لتحمل الاضطهاد ، والتشهير ، والاحتقار . قبل أن يعطى صموئيل لشعبه كان يجب وجود امرأة مرة النفس مثل حنه .

على بعد بضعة أميال من أورشليم شمالا ، وعلى حدود سبطى افرايم وبنيامين ، كانت توجد مدينة « رامتايم صوفيم » (١ صم ١ : ١) ، وكانت تعرف

أيضا باسم « الرامة » (١ صم ١ : ١٩) وهو الاسم الذى أشتهرت به فى العهد الجديد (مت ٢٧ : ٥٧ ، مر ١٥: ٤٣ ، لو ٢٣ :٥١ ، يو ١٩ : ٣٨) . ومن الرامة جاء يوسف الذى « تقدم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع » (مت ٢٧ : ٥٧ و ٥٨) .

وكلمة « رامتايم » تعنى الرامتين ، إذ يرجح أنه كانت هناك الرامة العليا ، والرامة السفلى ، ولعله أشير اليهما (١ صم ٩ : ١٣) .

وكلمة « صوفيم » تذكرنا باسم جد ألقانة ، المسمى « صوف » ، الذى يبدو أنه كانت له أهمية خاصة ، حتى سمى المكان كله باسمه (١ أى ٦ : ٣٥ ، ١ صم ٩ : ٥) .

فى هذه المدينة الجبلية كان سيولد ولد يعطيها أهمية عظيمة جدا ، ليس فقط فى أيام حياته - إذ صارت هى قبلة أنظار كل الشعب - بل فى أجيال كثيرة فيما بعد .

فى أواخر أيام شمشون ، فى جنوب اليهودية ، كانت تقيم أسرة فى الرامة مكونة من القانة ، وهو لاوى ، وامرأتيه حنة (أى نعمة) ، وفنية (أى مرجانة أو لؤلؤة) . سبق أن عاش القانة فى افرايم ، ولهذا أعتبر بأنه ينتمى لهذا السبط (يش ٢١ : ٢٠) .

لم يكن تزوجه بامرأتين كسرا لناموس اللاويين ، الذى لم يمنع تعدد الزوجات . لكنه كان تنظيما لناموس الزواج ، لأنه أحاط الحياة العائلية بمثل عليا تعيد الرجال والنساء تدريجيا إلى وضع الزواج الأصلى الذى تم فى الفردوس (مر ١٠ : ٤ - ٩) .

يقال أن القانة تزوج بامرأة أخرى لأن حنة كانت عاقرا . لكن مهما كانت الأسباب فقد أدت هذه الخطوة الى متاعب جسيمة . كان بيت الرامة مليئا

بالمنازعات والمخاصمات ، التى كانت تزداد كلما ولدت فننة طفلا جديدا ، بينما كانت حنة لا تزال عاقرا .

كان حرمانها من البنين نكبة تكاد لا تحتمل (تك ٣٠ : ١) . لكن الذى زاد فى أحزانها جدا أنها كانت موضع هزء وتعيير بصفة مستمرة . ولم تقتصر الآلام على الرامة ، لكن يبدو أنها كانت تصل إلى القمة عندما كان يذهب كل أفراد الأسرة - حسب عادة اليهود - لتقديم الذبيحة السنوية للرب ، وكانت حنة مضطرة أن تشهد الأنصبة الكثيرة التى تعطى لضرتها ، لكل بنيها وبناتها ، عند وليمة الذبيحة ، إذ كانوا يعملون وليمة مما تبقى من الذبيحة . فى ذلك الوقت جلست الفقيرة فى المزبلة ، والمسكينة فى التراب ، فى ذلك الوقت طعن نفسها سيف الرب ، فهبطت الى الهاوية . فى ذلك الوقت لم تجد ما يشبع جوع نفسها حتى مع تأكدها من محبة القانة لها (١ صم ١ : ٥ و ٨ ، ٢ :٥ - ٨) . لكن ، نتيجة لتعب نفسها هذا ، كان سيولد فرح حياتها ومخلص بلادها .

٢

« أمرأة حزينة الروح »

(١ صم ١ : ١٥ (١))

هل الى الآن لم تستجب صلاتك ؟ لا يمكن
أن ترفض صلاة الإيمان كانت قدماها ثابتتين
على صخر الدهور وسط أعنف العواصف وقفت
بشجاعة نادرة ووسط الرعد القاصف لم تخر عزيمتها
فقد كانت تدرك أن الكلى القدرة سمع صلاتها
صرخت: لابد أن يستجيب وقتما شاء وكيفما شاء .

[براوننج]

نعتقد أن عقم حنة ، واغاظة ضرتها لها ، لم يكونا السببين الحقيقين لحزنها . فان ترنيمتها النبيلة تبرهن على أنها كانت متشبعة بتقاليد وآمال شعبها ، وكانت روحها منتشية بالأفكار التى انبعثت منها ترانيم موسى . وإذ كانت نفسها مرة بسبب الفوضى الضاربة أطنابها حولها لحرمان البلاد من قائد يحكمها ، اشتاقت برغبة ملحة أن تتجسد عواطفها النبيلة فى ابن يستطيع أن يوقف تيار انحطاط أمتها ، ويقيمها على أساس دائم وطيد .

لقد كانت امرأة ضعيفة ، ولم تقدر حتى على أن تتمنى أن تتمثل بياعيل أو دبورة . لكنها تمنت لو تستطيع أن تخلص شعبها إذ تنفث من روحها الوثابة فى ابن تلده . وحتى إذا ما حرمت من رفقته لها منذ طفولته ، ومن وقوفه بجانبها فى رجولته ، ألا يمكن أن تعوض عنه ألوف المرات لو أن الرب فقط قبله كابن له ، واستخدمه كأداة لاتمام خطة الخلاص ؟

---

(١) « أنى امرأة حزينة الروح ...... اسكب نفسى أمام الرب » .

كان اللاويون يكرسون عادة لخدمة الرب بين سن الثلاثين والخمسين ، أما ابنها ، إذا ما تحنن الرب وأعطاها ابنا ، فقد ارتضت أن « تعطيه للرب كل أيام حياته ، ولا يعلو رأسه موسى »

(١ صم ١ : ١١)

فى احدى المناسبات ، إذ كانت اجراء ات العيد بدأت تتم فى شيلوه ، بدا كأن حنة لم تعد قادرة على أن تضبط نفسها . وبعد أن أكل شعبها وشربوا صامت هى عن كل شئ إلا الدموع ، ثم نهضت وعادت إلى الدار الخارجية فى خيمة الاجتماع . وكان قد زال عنها أغلب مفاخرها القديمة . ولعله لم يبق سوى بضع ستائر حول التابوت ، والأدوات الأخرى المقدسة ، التى نجت من تخريب المائتين أو الثلاث مائة سنة الماضية .

كانت هذه الخيمة البسيطة - حسب رواية اليهود - يحيط بها سور من الحجارة قليل الارتفاع ، وعلى بابه كرسى كبير يجلس عليه رئيس الكهنة . كانت هى « مرة النفس . فصلت الى الرب وبكت بكاء » . ذهب غيرها حاملين المحرقات ، أما هى فذهبت حاملة قلبا منكسرا ومنسحقا ، وهذا لا يحتقره الله (مز ٥١ : ١٧) . لم تتذمر على الله ، لكنها رفعت كأس آلامها لعله يتحول إلى كأس الخلاص .

قيل أنها « صلت » . وخليق بنا أن نتأمل الآن فى صلاتها هذه ، وفى نتائجها .

١ - كانت صلاة القلب :

ان عادة الشرقيين أن يصلوا بصوت مسموع . أما هى فقد « كانت تتكلم فى قلبها » وهى واقفة بجانب كرسى عالى الكاهن (ع ٢٦) ، كانت « شفتاها فقط تتحركان » ، أما صوتها فانه « لم يسمع » (ع ١٣) . هذا يتم عن أنها كانت تقدمت كثيرا جدا فى حياتها الروحية ، وبدأت تعرف أسرار الشركة القلبية مع الله . لم تكن صلاتها مجرد ترديد كلمات جوفاء ، بل كان هنالك اتصال بين الروح والروح ، بين العوز ومسدد العوز ، بين الجوع والشبع ، بين

الإنسان والله ، وهذا كله لا يحتاج الى كلام ، لأن الكلام لا يقدر أن يعبر عن « الأنات التى لا ينطق بها » .

٢ - كانت مؤسسة على اسم جديد لله :

لقد لجأت الى الله باسم جديد « رب الجنود » (ع ١١) ، كأنه أمر هين جدا لديه أن يبرز الى الوجود روحا صغيرا تدعوه ابنا . لقد طلبت منه أن يتطلع من بين ربوات الجنود ، الأرواح المقدسة. المحيطين بعرشه ، الى حزنها وكآبة نفسها .

لقد « نذرت » لله بكلمات أيدها ألقانة بسكوته أو مصادقته لها فيما بعد (عد٣٠: ٦- ١٥) ، وهى تتضمن فى أنها لم تطلب هذه النعمة ، التى لا تقدر ، من أجل نفسها فقط، بل من أجل مجد الله ، وأن ابنها سوف يكون نذيرا منذ ولادته ، يمتنع عن شرب المسكر ، ولا يعلو رأسه موسى، ولا يتدنس جسده بلمس أية جثة .

٣ - كانت صلاة محددة :

« أن أعطيت أمتك زرع بشر » (ع ١١) ، « لأجل هذا الصبى صليت (ع ٢٧) . يفشل الكثير من صلواتنا لأنها بلا هدف . فنحن نطلقها فى الهواء بلا هدف ، بعد ذلك نعجب لأنها عديمة الثمر . يرتبك الكثيرون من المسيحيين إذا ما وجه اليهم السؤال ، بعد الانتهاء من صلواتهم الصباحية ، عن العطية الثمينة التى طلبوها فى الصلاة . كثيرا ما اكتفينا بأن نسأل الله بصفة عامة بأن يبارك الذين نحتك بهم ، دون الاشارة بصفة خاصة إلى حالة أى واحد منهم . يخبرنا المؤمنون المحنكون ، الخبيرون بروح الصلاة عن النتائج العجيبة التى حصلوا عليها عندما حصروا صلواتهم فى طلب الخلاص لأشخاص معينين أو من أجل خير معين ، أو موهبة تامة لأشخاصهم .

هنالك مثل رائع فى حياة أحد خدام الله . فقد روى أن زميلا له فى الخدمة أحس أحساسا داخليا بأنه يجب أن يصلى من أجل صديقه هذا . وقال هذا الخادم أنه فى نفس ذلك الوقت أحس بجاذبية غير عادية نحو الله .

٤ - وكانت صلاة بدون تحفظ :

« أسكب نفسى أمام الرب » (ع ١٥) . كم هو جميل جدا ان كنا نقتدى بحنة . نحن نسكب أنفسنا ونفضى بأسرارنا لأصدقاء نثق بهم جدا ، وكثيرا ما ندمنا على هذا . وعندما نفضى بأسرارنا الى الله ، فكثيرا ما أفضينا إليه ببعضها واحتجزنا البعض الآخر . كان ممكنا أن تنتهى كل مشاكلنا لو أننا تجاسرنا بأن نسكب كل أنفسنا أمام الله دون أن ندافع عن أنفسنا ، أو نلتمس لأنفسنا الأعذار ، ودون تزيين ما يتطلب الاعتراف الكامل الصريح . عندما يكون القلب منكسرا ، عندما يزداد ثقل الهموم وعندما تتوتر الأعصاب بشدة فاسكب نفسك أمام الله إذ تتذكر هذه الأمور (مز ٤٢ : ٤) .

٥ - وكانت صلاة المثابرة :

« وكانت إذ أكثرت الصلاة (١) أمام الرب » (ع ١٢) . ليس معنى هذا أنها كانت تعتقد أنها بكثرة كلامها يسمع لها ، أو أن هذا ما يجب أن نعتقده نحن أيضا ، لكن عندما يثقل الرب قلوبنا بأى أمر فاننا لا نملك إلا أن ننتظر قدامه .

٦ - فنالت صلاتها بركتها المرجوة :

كان عالى « جالسا على الكرسى عند قائمة (مدخل) هيكل الرب ، فجذبت حنة أنظاره . رغم أنها لم تلتفت إلى أى واحد من كل من كانوا حولها . لعل حزنها الشديد هو الذى لفت أنظاره إليها فى بداية الأمر ، فتوقع أن تسكب نفسها فى الصلاة بصوت مسموع ، كما اعتاد منكسروا القلب أن يفعلوا .

ولكن لأنها « كانت تتكلم فى قلبها وشفتاها فقط تتحركان وصوتها لم يسمع » فقد ظنها رئيس الكهنة سكرى . وبقسوة اندفع نحوها بالتوبيخ « حتى متى تسكرين . انزعى خمرك عنك » . وهنا نرى دليلا جديدا عن عجز الكهنة

---

(١) « أستمرت تصلى » حسب الترجمة الإنجليزية .

فى ذلك الوقت عن معرفة الروح السامية فى شعبهم ، وعن مواساتهم والعطف عليهم فى شدائدهم . لقد حكم عالى حسب نظر عينيه ، وواضح أن فكر الله لم يكن قد أعلن له . كان قد نزل الى مجرد مستوى الرسميات . فأخفيت عنه المقاصد الإلهية .

أما حنة فقد رددت على هذا التوبيخ الظالم بوداعة ، وقالت : « لا يا سيدى » ، ليس الأمر كما تتوهم . « لم أشرب خمرا ولا مسكرا . بل أسكب نفسى أمام الرب » . كانت آلامها السابقة كثيرة جدا بحيث لم يؤثر فيها سوء الظن الأخير هذا . لكنها اكتفت بأن تلقيه ، مع ما سبقه ، على الله . وكانت متحققة ، حتى قبل اجابة عالى ، أن حامل الأثقال الرحيم قد سمع واستجاب صلاتها .

لقد دخلت فى روح الصلاة ، التى لا تطلب فقط ، بل تأخذ . لقد أدركت مقدما تلك الكلمات العجيبة ، التى تكشف عن سر الصلاة المقتدرة « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٤) . قبل أن تنزل كلمات عالى على قلبها بردا وسلاما « أذهبى بسلام واله اسرائيل يعطيك سؤلك الذى سألته من لدنه ، كانت قد أدركت أن صلاتها استجيبت فملأ وحفظ سلام الله الذى يفوق كل عقل . « فقالت لتجد جاريتك نعمة فى عينيك . ثم مضت المرأة فى طريقها وأكلت . ولم يكن وجهها مغيرا (١) »

(١ صم ١: ١٨).

كثيرا ما نرجع من صلواتنا بوجوه حزينة وقلوب كسيرة ، لأننا لم نلق كل حملنا عليه ، أو - أن كنا قد ألقيناه - لأننا قد أخذنا معنا ثانية . لقد فشلنا فى ترك أثقالنا ، وهمومنا ، وخطايانا ، فشلنا فى تركها فى يدى حبيبنا كلى القدرة ، لكى ننال « جمال عوضا من الرماد . ودهن فرح عوضا عن النوح ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة » (أ ش ٦١ : ٣) .

---

(١) « حزينا » حسب الترجمة الانجليزية .

ليتنا نجثـــو أمـــام الهنـــا
ملقـــين كـل همنـــا عليـــه
عنـــدمـــا نصـــلى اليـــه
وعندئـذ ننهض بوجـه مسـتنير

كان اليوم التالى محددا للعودة لمدينتهم « وبكروا فى الصباح وسجدوا أمام الرب ورجعوا وجاء وا إلى بيتهم فى الرامة » . لكن يا له من تغيير حدث فى حنة . لقد حدث تغيير مفاجئ فى نفسيتها فى تلك الزيارة القصيرة لبيت الله . فدخلت بوجه باش الى بيتها الذى كانت تقضى فيه كل أيامها فى حزن مرير . ولابد أن تكون فننة قد تعجبت لهذا التغيير العظيم ، أما ألقانة فقد كان كاتم أسرارها ، وتقوى إيمانها بسبب ثقتها الشديدة (ع ٣٣) .

٧ - نتائج الآلام :

فى هذه الصلاة نستطيع أن نرى حصاد ما زرع فى سنى الآلام . لا يمكن أن يسكب نفسه بمثل هذه الصلاة إلا الذى عانى الآلام الشديدة . ان يد تلك المرأة الحزينة المتألمة قد لمست، برقة متناهية ، روح التسليم الكلى، والخضوع التام لمشيئة الله، والالتجاء اليه، ونبذ كل رجاء إلا فى الله، وطلب ملكوت الله وبره

الحزن يهب جمالا رائعا للنفس . وزرقة السماء لا تبدو جميلة فى سماء مصر العديمة المطر كما تبدو فى البلاد المشبع جوها بالرطوبة .

ربما كان لازما لك ، لتتعلم كيف تصلى ، وتدخل الى سر بساطة الإيمان ، ولتؤهل لتقديم خدمة جليلة للعالم - أنك كابدت الآلام الحادة الطويلة ، التى كانت نصيبا لك فى هذه السنوات الطويلة ، وتعطش القلب ، وفشل آمالك والانتظار الطويل فى صمت ، والصمت حتى عن الخير .

وقد تم لحنة حسب إيمانها . طوبى لها إذ آمنت ، لأنه قد تمت معها مواعيد الله التى أعلنها لها سرا . « الرب ذكرها . وكان فى مدار السنة أن حنة حبلت وولدت ابنا ودعت اسمه صموئيل قائلة لأنى من الرب سألته » .

وكان لالقانة ، الرجل الصالح ، فرح جديد فى قلبه عندما صعد ليقدم للرب ذبيحته السنوية . ويبدو أنه فى ذلك الوقت نذر نذرا خاصا « الذبيحة السنوية ونذره » . أما حنة فقد بقيت فى الرامـة الى أن يفطـم الصبى ، الأمر الذى لا يتم على الأرجح قبل أن يكون عمره ثلاث سنوات ، حيث كان يسمح لأبناء اللاويين بانتسابهم ودخول بيت الرب (٢ أى ٣١ : ١٦) .

وأخيرا حان الوقت لتقديم الطفل ، فارتحل أبواه ومعهما ابنهما ، وكان قلب الأم وقتئذ ممتلئا سبحا ، كما كان قبلا ممتلئا حزنا وغما . لقد فرح قلبهما بالرب ، وتهللت روحها بأهلها . رفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء على كرسى المجد . لقد تعلمت أنه ليس صخرة مثل الهها ، فابتهجت بخلاصة (ص ٢ : ١ - ٨) . كانت تسبحتها ، التى تماثل تسبحة السيدة العذراء ، قد انسكبت من روحها ، التى كان كأسها يفيض بمحبة الرب وشفقته .

وللحال كملت الرحلة من الرامة ، ووصلوا الى خيمة الاجتماع ، حيث كانت قد رفعت صلاتها الحارة . ومثلت أمامها ذكريات الماضى فقالت لعالى الكاهن : « أنا المرأة التى وقفت لديك هنا تصلى إلى الرب . لأجل هذا الصبى صليت فأعطانى الرب سؤالى » .

لاحظ هذه الكلمات « أنا المرأة التى وقفت لديك هنا » . فى كثير من الأحيان نقرن اختبارات معينة بأمكنة معينة . هنا تألمنا ، هنا اعتزمنا أن نحيا حياة جديدة ، هنا سمعنا الله يتحدث . كان هذا هو اختبار حنة . ألم يكن لائقا بأن تفرح فى المكان الذى حزنت فيه ؟ ألم يكن لائقا أن تحصد حصاد الفرح فى المكان الذى روته بدموعها الغزيرة ؟ ألم يكن لائقا أن تصفو السماء فى المكان الذى تلبدت فيه بالغيوم المقبضة ؟ .

تشجع أيها الحزين الروح . احرص فقط على أن تتألم حسب مشيئة الله ، لا بسبب عوامل خاطئة . تألم من أجل كنيسته ، من أجل العالم الهالك . من أجل النفوس الهالكة . ابذل الجهود من أجل مجئ ملكوته . أحمل هم نفس عزيزة عليك جدا كنفسك . وان انتظرت حتى يحين الوقت الذى حدده الله فانه سوف يأتى بك لتلبس ثياب الفرح عوضا عن ثياب الحزن . سوف تعود من أرض العدو .

«الذاهب ذهابا بالبكاء حاملا مبذر الزرع مجيئا يجيئ بالترنم حاملا حزمة» (مز ١٢٦ : ٦) .

+ + +

٣

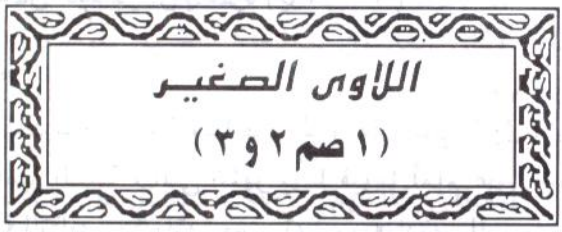

اللاوى الصغير
(١ صم ٢ و ٣)

أيتها النفس الحزينة كفى عن البكاء واكتشفى
أمرك لعين الله الفاحصة انتظرى فإن الله سوف
ينزل برحمته وأنت فى ظلمة اليأس القاتلة ويملأ
المكان الموحش المظلم بالنور، والحياة، والجو المنعش

[شيرب]

لا يسع دارس الكتاب المقدس ، فى كل العصور ، إلا أن يقف طويلا متاملا بدقة فى الاصحاحات الأولى من سفر صموئيل الأول ، مشدوها إذ ينظر الى هذا الصبى الصغير ، « المتمنطق بأفود من كتان » ذى الجبة الصغيرة التى كانت تحضرها له أمه « من سنة إلى سنة عند صعودها مع رجلها إلى الذبيحة السنوية » .

لابد أن أمه كانت تتطلع بلهفة الى تلك الزيارة السنوية ، التى كانت لا تشبع أشواقها الطبيعية نظرا لقصرها . ولا شك فى أنه كان عسيرا عليها أن تتركه وهو فى هذه السن الغضة، فى الثالثة من عمره. لكنها كانت تتعزى فى حرمانها منه، كانت فيما بعد تستعيد فى ذاكرتها تلك السنوات الحلوة الأولى ، إذ كان يملأ البيت بحركاته الصبيانية ، والتى فيها غرست هى فى قلبه الغض بذار الرجولة . لقد ولدت أطفالا آخرين ، ثلاثة بنين وبنتين ، وإذ كبروا بين يديها فلابد أنها كانت تفكر فى أخيهم باهتمام عظيم ، وهو يقوم بخدمته المقدسة .

لقد كشف الرب للمرأة أخطاء ها ، وهو يقينا مستعد أن يكشف أخطاء كل الذين إذ يشتمون لا يشتمون عوضا ، وإذ يتألمون لا يهددون ، بل يسلمون لمن

يقضى بعدل (١ بط ٢ : ٢٣) . كانت تملأ قلب الأم أفكار هادئة ، وقورة محبة ، إذ كانت تعمل له الجبة الصغيرة . ولعلها كانت تشبه فى شكلها القميص الذى عملته السيدة العذراء لابنها ، والذى « كان بغير خياطة منسوجة كله من فوق » والذى رفض العسكر أن يشقوه (يو ١٩ : ٢٣) .

١ - تأثير الأم :

لا تزال الأمهات تعملن ثيابا لأبنائهن . ليس فقط على النول ، أو بالابرة ، بل بأخلاقهن السامية النبيلة ، التى تظهر يوما فيوما أمام عيون أبنائهن الحادة النظر ، السريعة التقليد ، بكلماتهن وسيرتهن ، وبعبادتهن اليومية .

ان ما يراه الأطفال يقلدونه ، وبدون وعى منهم يلبسون الرقة أو الخشونة ، احترام التدين أو عدم المبالاه به ، دماثة الأخلاق أو خشونتها ، حسبما يرونه كل يوم . وكما يتخذ السمك لون الأرض التى يرقد عليها وكما يغير الزقزاق (١) ريشه ليتمشى مع الشتاء أو الربيع ، هكذا يرتدى الأطفال الثياب التى تنسجها لهم أمهاتهم ، ثياب أخلاقهن وتصرفاتهن ، وطباعهن وكلامهن .

« وكان الصبى يخدم الرب أمام عالى الكاهن » ، وينام نومه البرئ وهو لا يرى شيئا عن الخطايا المحيطة به ، وينال محبة عالى وتعلقه به ، وذلك بميوله الطيبة وطرق حياته المحببة ، كما أعطى أدلة كثيرة على أنه يؤهل ليصير حلقة اتصال بين الله وشعبه ، وسيطا بين القديم والجديد ، بين أيام شمشون المضطربة والسلام الرائع الذى ساد حكم سليمان .

٢ - انتهاك حرمة المقادس وخطايا أبناء عالى :

« وكان بنو عالى بنى بليعال . لم يعرفوا الرب . ولا حق الكهنة من الشعب ، (ص ٢ : ١٢) . كان ناموس موسى يخول للكاهن الحق فى أن يأخذ ، كنصيب له - بدلا من ماهية نقدية - كل ذبيحة الخطية ، والصدر والساق اليمنى من ذبيحة السلامة ، ولا يحرق على المذبح من هذه الذبيحة الأخيرة إلا الشحم ، أما باقى الذبيحة فيسلم الى مقدمها لكى يأكله هو وأبناؤه وبناته وعبيده واماؤه واللاوى الذى فى أبوابه (تث ١٢ : ١٢) . كان يليق - كما يقول الرسول بولس - « ان الذين يعملون فى الأشياء المقدسة يأكلون من الهيكل . الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح » (١ كو ٩ : ١٣) .

---

(١) نوع من الطيور Plover .

كان أول عمل يجرى فى ذبيحة السلامة هو رش الدم « على المذبح مستديرا » ، بعد ذلك يحرق الشحم الداخلى . لم يكن مصرحا بأكله قط ، بل كان دائما يحرق بالنار . كان بمثابة طعام للنار ، كأنه طعام الله ، وكأن الله يأكله مع مقدم الذبيحة (لا ٣ : ١٦ و ١٧) . بعد أن يتم هذا كان نصيب الكهنة يردد ويقدم لله ، وكان العابدون يفسحون الطريق لغيرهم ، حاملين معهم نصيبهم لأفراح العيد .

هنا نرى أبناء عالى يقبلون بمنتهى الشراهة . وإذ كانوا لا يكتفون بنصيبهم الشرعى ، كانوا يرسلون خادمهم ، ومعه « منشال ذو ثلاثة أسنان بعد أن يذهب الشعب ليستريحوا ، وإذ كان اللحم يسلق للوليمة المقدسة ، كان الخادم يضرب المنشال فى المرجل ، « وكل ما يصعد به المنشل يأخذه » للكاهن كأجر اضافى . « هكذا كانوا يفعلون بجميع اسرائيل الآتين الى هناك فى شيلوه » .

لكن حتى هذا لم يكفهم . فانهم ، بعد أخذ الصدر والساق اليمنى ، وقبل وضع الباقى فى المرجل ليسلق ، كانوا يصرون على أن يأخذوا لحما نيئا من نصيب مقدم الذبيحة . كذلك كانوا لا يحرقون الشحم ، وهو أهم جزء فى كل الذبيحة ، وكان مقدم الذبيحة يجب أن ينتظر حتى توفى كل مطالبهم . ويبدو أن هذا التصرف الأخير أغاظ الشعب جدا حتى نفذ صبرهم ، فكانوا يقولون : أنتظر على الأقل حتى يقدم نصيب الرب قبل عمليات السلب الشائنة التى ترتكبونها . « ليحرقوا أولا الشحم ، ثم خذ ما تشتهيه نفسك » . أما للكاهن فكان يجيب بقسوة « لا بل الآن تعطى وإلا فأخذ غصبا » ، « فكانت خطية الغلمان عظيمة جدا أمام الرب . لأن الناس استهانوا (١) تقدمة الرب » .

خليق بنا أن نسائل أنفسنا ، جديا وبفحص دقيق ، عما إذا كنا نحن - كخدام المسيح - نعمل أو نشجع أعمالا تجعل الناس يستهينون بالإسم المقدس الذى دعى علينا . لنبدأ أولا بأخلاقنا وعاداتنا ، وبعد ذلك نتقدم الى تعاليمنا وخدمة الفرائض الكنسية .

لقد سمعت عن أناس - خطأ أم صوابا - أنهم ينكرون المسيحية ، التى كانوا متعلقين بها يوما ما لأنهم رأوا بعض المسيحيين يماطلون فى دفع ديونهم،

---

(١) « كرهوا » حسب الترجمة الإنجليزية ، « ازدروا » حسب ترجمة اليسوعيين (١ صم ٢ : ١٧) .

ويراوغون فى أعذارهم ، ويسرفون فى وعودهم التى لا يتممونها ، ويصعب جدا ارضاؤهم ، ويعاملون خدمهم ومرؤوسيهم بروح غير مسيحية ، سريعى الغضب ، يتصرفون فى أعمالهم الخاصة بطريقة يأباها أهل العالم .

وسمعت عن أشخاص - خطأ أو صوابا - يرفضون دخول دور العبادة بسبب تشبثها بالتمييز العنصرى ، وبسبب نظرتها بكراهية شديدة لأى غريب يدخل صفوفها .

من أجل هذا يعلل الكثيرون رفضهم للانجيل، وامتناعهم عن بيوت العبادة .

لم يكتف حفنى وفينحاس بطمعهما الجشع ، بل كانا يرتكبان أقذر أنواع العبادة الوثنية وسط غابات وكروم شيلوه . كانت الطقوس الشهوانية الدنسة تمارس فى الأعياد الوثنية منذ القدم ، لكنها لم تدنس الكهنة ، نسل هرون ، بهذه الكيفية قط . فقد تسفل هذا الشابان جدا حتى أنهما - مع أنهما كانا متزوجين - لم يترددا عن أفساد النساء اللآتى يقمن فى المقدس بتلك الخدمات التي تتطلب عملا يليق بالنساء .

قدمت لعالى الشيخ احتجاجات كثيرة (ص ٢ :٢٣). لكنه بدلا من أعلان الغضب الشديد ، والتهديد العنيف ، اكتفى بهذا التوبيخ اللطيف « فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور . لأنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب. لا يا بنى ليس حسنا الخبر الذى أسمع . تجعلون شعب الرب يتعدون » .

وقد علق الرب الديان على هذا بقوله « وقد أخبرته بأنى أقضى على بيته الى الأبد من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم » . لقد وبخهم ، لكنه لم يصدهم . وحتى أن كانوا قد استهانوا بتوبيخ أبيهم فانهم لم يكونوا يقدرون أن يتحدوا عزله لهم إذا ما أصر على هذا كرئيس للكهنة ، مستخدما أقصى سلطاته . ومن أجل هذا التهاون الضعيف حكم عليه بانهاء حكمه . « لذلك يقول الرب اله اسرائيل . أنى قلت أن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامى إلى الأبد . والآن يقول الرب حاشا لى . فانى أكرم الذين يكرموننى والذين يحتقروننى يصغرون » .

٣ - الحاجة الى التدريب العائلى :

هذا يوحى بعمل بحث دقيق جدا من الذين يحتلون مراكز بارزة فى الكنيسة وأمام العالم ، لكنهم يهملون واجباتهم العائلية . نحن مسئولون عن

أولادنا . وضعفنا فى أن نردعهم يعتبر خطية ، الأمر الذى ينتج عنه حتما ليس فقط قصاصهم ، بل قصاصنا نحن أيضا .

خير لك أن تقدم خدمات أقل للكنيسة وللعالم من أن تترك أولادك ليكونوا شقاء لأنفسهم . وعارا لك . تذكر أن المؤهل الوحيد لأى مركز فى الكنيسة الأولى كان هو ادارة البيت والأولاد ادارة حكيمة سليمة . أن كان أحد لا يعرف كيف يكون له أولاد فى الخضوع بكل وقار ، ويدبر بيته حسنا ، فكيف يعتنى بكنيسة الله (١ تى ٣ : ٤ و ١٢) .

لعل عالى لم يبدأ بتربية أولاده منذ حداثتهم . الأب الحكيم يبدأ بتربية أولاده ، لا من السنوات الأولى ، بل من الشهور الأولى . والتشديد المبكر فى الرعاية والتأديب يبدو هينا عندما نتذكر أن الولد عندما يربى فى طريق الله منذ حداثته لا يحيد عنه متى شاخ (أم ٢٢ : ٦) .

وفوق كل شئ ينبغى أن نسعى لتجديد حياة أولادنا وتكريسهم لله . لقد أكد الرسول بأن الله مستعد أن يعطينا حياة « من أجل الذين يخطئون ليس للموت » (١ يو ٥ : ١٦) ، وهذا الوصف ينطبق بصفة خاصة على الأولاد الصغار . لا شك فى أنه ليس بظالم لينسى دموع وصلوات الذين يتمخضون ثانية الى أن يتصور المسيح فى قلوب نسلهم (غل ٤ : ١٩) ، أو يتغاضى عن إيمانهم .

كإبن لوالدين تقيين لا يقدران تحديد ساعة تجديدى ، محبة الله تسللت الى قلبى فى أيام حداثتى الأولى ، كتسلل نور الفجر فى جو صاف ، أؤكد صدق كلمة الله القائلة « روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك لا يزول من فمى ولا من نسلك قال الرب من الآن والى الأبد » (اش ٥٩ : ٢١ ، ١ يو ٥ : ١٦) .

+ + +

٤

رؤيـــا اللــه
(١ صم ٣)

آه ، ليتك تعطينى فكر صموئيل
وإيمانا حلوا غير متذمر مطيعا وخاضعا
لك فى الحياة أو فى الممات لكى أقرأ بعين
الأطفـــال الحقـائق التى أخفيتـها عن الحكماء

[**بيونز**]

كم هو مؤثر جدا أن نلاحظ الاشارات المختلفة عن الطفل صموئيل تسرد بالتتابع فى هذا الأصحاح (١ صم ٣) ، سيما تلك التى قصد بها أن تبين الفرق بين براء ته الرقيقة ونجاسة أولاد عالى الشنيعة ، وهذا يشبه الفرق بين صوت الأجراس الرخيم وصوت عاصفة هوجاء .

قالت حنة « متى فطـم الصبى آتـى به ليتراء ى أمـام الرب ويقيم هنالك الى الأبد » ، « وأتت به إلى الرب فى شيلوه والصبى صغيـر » ، وأنا أيضا قد أعرته للرب . جميـع أيام حياته هو عـارية للرب . وســجد هنــاك للرب » (١ صم ١ : ٢٢ و ٢٤ و ٢٧) .

« وكان الصبى يخدم الرب أمام عالى الكاهن ..... وكان بنو عالى بنى بليعال . لم يعرفوا الرب » ، « وكان صموئيـل يخدم أمام الرب وهو صـبى » (١ صم ٢ : ١١ و ١٢ و ١٨) .

« وشاخ عالى جدا وسمع بكل ما عمله بنوه .... وأما الصبى صموئيل فتزايد نموا وصلاحا لدى الرب والناس أيضا » (ص ٢ : ٢٢ و ٢٦) .

« فقال الرب لصموئيل هوذا أنا فاعل أمرا فى اسرائيل كل من سمع به تطن أذناه .... وكبر صموئيل وكان الرب معه ولم يدع شيئا من جميع كلامه يسقط إلى الأرض » (ص ٣ : ١١ و ١٩) .

كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات من البراءة ، والطهارة ، والنزاهة ، والبر ، والاستقامة . كان هنالك هدف واحد نصب عينيه كل أيام حياته ، دون استثناء يوم واحد . لم تنزلق يوما ما نحو الشهوات العالمية ، أو محبة الذات ، أو التصرفات الشائنة التى كانت سائدة فى ذلك العصر الدنس ، فى أواخر أيام حياته استطاع أن يلجأ إلى حكم الشعب بكلمات خالدة تشهد الى ثقته باستقامته التى لا تشوبها أية شائبة .كانت حياته جميلة ، قوية فى موهبة ادارة دفة الأمور ، حكيمة فى توجيه الأمة من حكم القضاة الى حكم الملوك ، عادلة عدلا كاملا ، طاهرة بلا لوم ، كان يسمو فوق أقرانه كقمة جبل من الياقوت الأصفر تتلألأ عليه أشعة الشمس ، بينما يغمر الأوديه التى تحته سحاب قاتم .

لم يكن صموئيل نبيا بمعنى التنبؤ بالمستقبل البعيد ، ولم تتوفر فيه ملكة الذكاء والفصاحة التى كان يتحلى بها أشعياء ، بل كان كل ما قدمه لشعبه صفات القداسة ، وبهذه القداسة وسمو أخلاقه استطاع أن يوقف تيار خراب شعبه .

نحن أيضا قد ندعى لمواجهة عصر من التغيير . قد يكتب لأعيننا أن ترى زوال القديم ومجئ الجديد . فى أيامنا أيضا قد ينزل الرب لا الأرض فقط ، بل السماء ، لكى تبقى التى لا تتزعزع (عب ١٢ : ٢٦ و ٢٧) . فى أيامنا قد ينقل الرب التخم القديم ، مهما كان مألوفا ومقدسا ، كما حدث لخيمة الاجتماع التى فى شيلوه وتابوت العهد لاسرائيل .

لكن هنالك صفة واحدة ، فى متناول أيدينا ، ينبغى أن لا تزول ، بل تبقى غير منثلمة طول السنين ، هى الأخلاق التى بلا لوم ، النفس المرتدية ثوبا غير مدنس ، الحياة المقدسة التى تتجسم فيها هذه . « ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنيهم . ولتكن نعمة الرب الهنا علينا وعمل أيدينا ثبت علينا . وعمل أيدينا ثبته » (مز ٩٠ : ١٦ و ١٧) .

ان أعظم هدية يمكننا تقديمها لبلادنا أو لجيلنا هى الصفات النبيلة السامية ، والحياة التى بلا لوم . علينا أن نحيا الحياة الفاضلة فى قوة الروح القدس ، ولنبرهن على أن اله يوم الخمسين لا يزال حيا .

١ - تغيير صبى صغير :

كان هنالك تغيير عظيم لازم لصموئيل قريب الوقوع . الى تلك اللحظة كان يعيش بقوة دفع حياة أمه التقية . كان لازما له أن يتعمق فى الاختبارات الروحية . كان يجب أن يعتمد إيمانه لا على شهادة الآخرين ، بل على اختباراته هو ، كان يجب أن يتأكد أنه هو بنفسه قد رأى ، وتذوق ، ولمس كلمة الحياة . كان يجب أن تأتى كلمة الحياة اليه هو مباشرة ، لا عن طريق أى شخص آخر ، وأن ينقلها لكل اسرائيل .

قد يأتى هـذا التغيير لكل من يطلب ويرغـب فى الحياة العميقة الغنية . ربما تكون ابنا لوالديـن تقيين ، وقد تربيت منـذ الحـداثة تربية دينيـة ، وكان منتظرا أنك تصلى وتخدم الله ، وكنـت تسير بقوة الدفع المباركة . لكن هب أن قوة الدفع هذه تخلت عنك لحظة ، فهل فكرت فى أن تدرك المسيح كحقيقة حية لنفسك ؟ .

ربما يحطم الله - رحمة بك - تلك الأشياء التى كنت تعتمد عليها لكى تدرك بنفسك ولنفسك الأشياء الأبدية الألهية ، كأنها قد قصدت لك وحدك ان تلك الساعة مباركة فى تاريخ النفس عندما تزول تلك الأشياء القديمة التى صارت مألوفة بطول الاستعمال ، وتحل محلها رؤيا الله الواضحة . عندئذ تستطيع أن نقول مع أيوب « بسمع الأذن قد سمعت عنك . والآن رأتك عينى » (أى ٤٢ : ٥) ، ونقول مع الرسول « أنسى ما هو وراء وامتد الى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض » (فى ٣ : ١٣ و ١٤) .

أتريد أن تؤمن بأن الله قد يكون آتيا قريبا منك جدا ، ويوشك أن يعلن نفسك له فى الرب يسوع . بكيفية لا يعلنها للعالم ؟ هو مزمع أن يغير حياتك ، يرفعها الى مستوى جديد ، حتى إذا ما اضطررت لمواجهة الظروف القديمة تطلعت اليها من مستوى أعلى ، كما يتطلع السلم الحلزونى دائما الى نفس المنظر مهما صعدنا عليه درجات أعلى .

٢ - رؤيا الصبى الصغير :

١ - عندما اقترب الله من خادمه الصغير كان ذلك بمثابة شهادته لأمانته . الى ذلك الوقت لم تطلب منه سوى خدمات بسيطة : أن يغلق ويفتح أبواب خيمة الاجتماع ، أن يوقد المنارة ، ذات السبع الشعب ، فى الغروب ، ويملأها

بزيت زيتون نقى كل صبـاح ، أن يقوم بخدمات بسيطة للكاهن الشيخ نهارا أو ليلا . كانت أمثال هذه هى الخدمات المعينة له ، والتى أداها بمواظبة وبكل حرص . كان خليقا بمن وجد أمينا فى القليل أن تعطى له دائرة أوسع وأهم .

٢ - وقد أتت الرؤيا إذ كان الفجر يوشك أن يحل ، « قبل أن ينطفئ سراج الله فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله » (ع ٣) . استيقظ الصبى ثلاث مرات منزعجا من نومه الطاهر على سريره فى الغرفة التى احتلها بالقرب من المقدس . لقد سمع اسمه يندە بصوت ناعم رقيق محب ، وأعتقد أن عالى يناديه . فأسرع اليه ثلاث مرات مجتازا الدهليز المتوسط بينهما . فى كل مرة كان يركض الى عالى ويقول له « هأنذا لأنك دعوتنى » .

عندما يقترب الينا الله ليعلن ابنه فينا نميل دائما للاسراع الى مكان ما ، أو الى مرشد روحى معتقدين فى مقدرته على تفسير الرؤيا التى أعلنت الينا .

٣ - كان عالى حكيما جدا فى تصرفه مع الصبى . كان ممكنا له أن يتخذ موقفا على أساس أنه هو المستودع الوحيد للأسرار الإلهية ، أن يحذر الصبى من الاصغاء للأوهام الباطلة (حسب تفكيره) ، أن يسمح لنفسه بأن تتحكم فيه عوامل الحسد والشك التى لا ضابط لها ، أن يتمسك بشرف وعزة وظيفته .

لكنه بدلا من كل هذا ، وبدون أى أثر ينم على أن كبرياءه قد جرح ، أمسك بيد الصبى ، وقاده الى حضرة الله ، عارفا تمام المعرفة أن ختم الوظيفة المقدسة الذى نزع منه يوشك أن يسلم ليد هذا الصبى .

لو كان عالى قد تمسك بشكليات الكهنوت فقط لكان قد وقف حائلا بين الله وبين الصبى ، واستمع الى اعترافاته ، واستخدم معه نفوذه المرعب ، ووجهه كما شاء ، كأنه نائب عن الله . لكنه ، بدلا من هذا ، قال له بكل لطف « أذهب اضطجع ويكون إذا دعاك تقول له تكلم يا رب لأن عبدك سامع » (ع ٩) .

ليست مهمة خادم الله أن يزيد المنزعجين انزعاجا واضرابا ، بل أن يقول لكل منهم « أذهب اضطجع ، اطمئن ، اهدأ قدام الله . انتظر لأنه لابد أن يوافيك ثانية ويكون إذا دعاك تقول تكلم يا رب لأن عبدك سامع » .

وكما قال توما الكمبيسى « لست أريد أن يكلمنى موسى ، أو أى واحد من الأنبياء ، بل كلمنى أنت أيها الرب الاله ، ملهم ومنير كل الأنبياء . لأنك أنت وحدك القادر أن تعلمنى بدونهم تعليما كاملا ، أما هم فانهم بدونك لا يقدرون أن يفيدونى شيئا .

« كلمنى أنت لتعزية نفسى مهما كان يعتورها من النقص ، ولاصلاح حياتى كلها ، ولمجدك وسبحك وكرامتك الى الأبد » .

٤ - أما الرسالة التى حملها الصبى فقد كانت مزعجة جدا . نحن لا نعجب أن كان قد « خاف أن يخبر عالى بالرؤيا » (ع ١٥) . لقد بدأ يتمم واجباته اليومية بأدب جم ، وصمت تام ، وفتح كالمعتاد أبواب بيت الرب ، لم يكن يليق به أن يتعجل ويفضى الرسالة المزعجة جدا التى حملها . كانت هذه ناحية جميلة أخرى فى صفات الصبى .

كان قد أخطأ فهم صفات عالى . لم يكن يدرك أن مثله يفضل أن يموت عن أن يتذمر ، يسلم نفسه لله فى خضوع تام دون كلمة احتجاج أو دفاع ، وإذا ما عرف أسوأ الظروف أجاب بوداعة « هو الرب ما يحسن فى عينيه يعمل » (ع ١٨) .

٥ - جميل أن نلاحظ « أن الرب استعلن لصموئيل فى شيلوه بكلمة الرب » (ع ٢١) . ينبغى أن لا نطلب أن يستعلن لنا الرب بالأحلام أو الرؤى ، بل بكلمة الله . ليس شئ أكثر ضررا من أن نتعود الاصغاء الى أصوات ، أو نطمع فى الأحلام . كل أنواع الأوهام والتخيلات تأتى من هذا الباب . وأفضل شئ هو أن نقرأ الكتاب المقدس بكل وقار وتأمل ، قائلين « تكلم يا رب لأن عبدك سامع » .

واستجابة لهذا تأتى رسالة واضحة ، محددة ، متكررة ، يؤكدها ويدعمها كل فقرة فى الكتاب المقدس ، وقائلة :

« هذا هو الطريق ، أسلك فيه . هذه هى مشيئتى ، تممها . هذه هى كلمتى ، رددها » .

فلنسمع الى ما يقوله الرب الاله .

+ + +

٥

مصيبة على مصيبة
(١ صم ٤ و٥ و٦)

آه ، لقد زالت الأشياء العتيقة لكن الروح
القدس سيحفظ الجديـــدة فى المجـــد والقوة
وستبقى نار يوم الخمسين مشتعلة على مذبح
القـلب الســرى دون تغييـــر ودون ضعف أو وهـــن

[**هويتير**]

أن الكلمات المحدودة فى هذه الاصحاحات (٤ : ١ - ٢ : ٧) تتضمن جزءا خطيرا من الكتـاب المقـدس ، وتغطى نحو أربعين سنة وتفاصيـل تاريخ حيـاة صموئيل ونفوذه المتزايد يقدمها الينا كاتب هذا السفر على أقساط صغيرة جدا. لكن طريقة سرد الحوادث مشوقة جدا ، ويجب أن يفهمها من يريدون أن تكون لديهم فكرة كاملة عن الخدمة العظيمة التى قدمها صموئيل لشعبه . وسوف يتضح أيضا بين العمل الذى أتمه ، والعمل الذى نحن فى أشد الحاجة اليه الآن .

كان ذلك العصر عصر تفكك وفوضى . فانه بعد موت يشوع ، وكالب وكل رجال ذلك الجيل « قام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذى عمل لاسرائيل » (قض ٢ : ١٠) . لم يوجد شخص واحد ، أو سبط واحد قادر على أن يتحد الشعب تحت قيادة واحدة ، أو يدعوهم الى عبادة الاله الواحدة السامية ، عبادة رب واحد ، تلك العبادة التى ميزت مؤسسى أمتهم . كانت ربط وحدتهم الوطنية قد تفككت ، وكل سبط ، وكل مدينة كبيرة ، نادت باستقلالها عن باقى الأسباط والمدن . وضعفت الحالة المعنوية فى الحياة الوطنية . وحق عليهم هذا القول الذى يمثل تمام التمثيل عصر القضاة « كل واحد عمل ما حسن فى عينيه » (قض ١٧ : ٦ ، ٢١ : ٢٥) .

كان المركز الوحيد الذى يجتمعون حوله هو خيمة الاجتماع ، وتابوت العهد، ورئاسة الكهنوت . لكن حتى تأثير هذه ضعف جدا . « وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب . وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها » (قض ٢ : ١١ و ١٢) .

لهذا لم يكن هنالك ما يمنع من اعتداء الأمم المجاورة عليهم . كان بنو عمون يغزون أرض الموعد من الشرق ، والعمالقة والمديانيون من الصحراء ، والفلسطينيون من الجنوب الغربى . وكان القضاة يقامون من وقت لآخر ، لكن سلطتهم كانت وقتية ، ومحدودة . وفى أغلب الحالات كانت هذه السلطة تنتهى بموتهم ، كما كانوا واسطة لانقاذ ناحية واحدة من الأرض فقط . « حينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى . وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم » (قض ٢ : ١٨ و ١٩) .

تتصل روايتنا بصفة خاصة بالأقاليم الجنوبية والوسطى من أرض كنعان التى كانت خاضعة لنير الفلسطينيين القاسى ، بالرغم من أعمال البطولة التى قام بها شمشون ، الذى عاصر صموئيل فى أيامه الأولى . ويبدو الفلسطينيين أشدت قوتهم جدا فى ذلك الوقت بالامدادات التى كانت تصلهم من مركز امبراطوريتهم فى جزيرة كريت المجاورة ، ولهذا جعلوا حالة العبرانيين غير محتملة .

أننى أرى بأن تسلل هؤلاء الفلسطينيين من بلادهم ليتسلطوا على العبرانيين فى الأرض التى أعطاها الله لهم ميراثا ، تلك الأرض التى لم يكن الفلسطينيين أى حق فى امتلاكها ، إذ كانت ملكا للشعب المختار ، إنما يرمز الى أشياء كثيرة فى اختباراتنا . فمثلا يرمز الى الرغبات الدنسة ، والعادات الشريرة ، التى تحررنا منها مرة بنعمة ابن الله المقام من الأموات ، لكنها ربما تسللت الينا فى السنوات التالية لكى تعود فتتسلط علينا .

ثم هو يرمز أيضا الى هجوم روح العالم على الكنيسة ، وروح الشر على الدولة . أن قوات الشر لن تهدأ . وكما أن عوامل التدمير والتخريب تعمل بصفة دائمة فى تقويض أركان المنازل تدريجيا مع الزمن ، وفى غرس الحشائش فى حدائقنا ونحن نيام ، هكذا الحال معنا ، فان الميول الشريرة فى القلب ، وفى الكنيسة ، وفى الأمة ، تحارب بصفة دائمة ضد ناموس الذهن ، وتسبى الناس الى ناموس الخطية (رو ٧ : ٢٣) .

فى المحاولات الوقحة التى تسعى لتسلب منا يوم الرب وتحوله الى مسرات عامة ، وفى عوامل الرذيلة ، التى بلا حياء ، بأشكالها المختلفة ، وفى محبة المال الجشعة التى تحاول أن تتسلط على كل مصالحنا ، وفى المسرات العالمية التى هجمت على المجتمع ، وفى روح العالم والتنعم التى اقتسمت قلوب وحياة المدعوين مسيحيين مع الروحيات والسماويات - فى كل هذه تواجهنا جحافل الفلسطينيين وهم يتسللون من مستواهم الواطئ الى المستوى الروحى العالى . ليس لهم أى حق فى هجومهم ، لكنهم لن يكلوا عن محاولة اثبات ادعاء اتهم . وفى بعض الأحيان نحن نكاد نيأس ، ونظن أنه لا فائدة من مقاومتهم ، ونقول : ما الداعى لهذا الصراع المستمر ؟ أليس الأفضل أن نكف عن الصراع ونستسلم ، وفى أحيان أخرى نتحمس لبذل مجهود خطر نحو الحرية كما كان يفعل بنو اسرائيل .

١ - محاولة منحوسة :

« وخرج اسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب ونزلوا عند حجر المعونة (١) وأما الفلسطينيون فنزلوا فى أفيق » (١ صم ٤ : ١) . من هذه الكلمات نستنتج بأن اسرائيل هم الذين بدأوا الحرب ، لأن نير الفلسطينيين كان أمر من أن يحتمل . لكنه يكاد يكون مؤكدا أن الحملة كانت من البداية مشئومة ، وأنه قد أسيئ تدبيرها .

سبق أن أعطى موسى ارشادات واضحة جدا عن كيفية بداية أى هجوم والاستمرار فيه (تث ٢٠) . لكن يبدو أنه لم يتبع أى جزء من هذه الارشادات فى هذه المناسبة . فلم يدع أى كاهن للسؤال عن فكر الله . ويبدو أنه لم يستشر حتى صموئيل الذى كان الشعب قد بدأوا يعترفون به أنه خادم الرب ونبيه . لقد كانت ثورة من شعب مستعبد ، مقترنة بروح الكراهية والانتقام من مستعبديهم ، بسبب اهاناتهم ، وتعذيبهم أياهم .

بمثل هذه الروح نحن فى بعض الأحيان نثور على الخطايا القوية التى تسلطت علينا . لقد رأينا الخراب الذى كانت تجلبه علينا ، وأغمضنا عيوننا عن الخزى والعار والاغاظة التى كانت تسببها للآخرين ، لقد أحسنا بامتهان كرامتنا وشرفنا ، فحاولنا أن نهجم على معذبينا . لقد تعهدنا كتابة بالامتناع

---

(١) حجر النصرة حسب ترجمة اليسوعيين .

عن شرب الخمر ، وأقسمنا أن لا نخضع قط للخطية المحيطة بنا ، ونذرنا بأن نتحرر من كل عبودية . لكننا بعد أيام معدودة عدنا الى حالتنا الأولى . ولم تكن حالتنا أفضل من حالة اسرائيل . لأن هذه الحرب ليست للأقوياء (جا ٩ : ١١) .

وإذ دعى الجنود الاسرائيليون بعجلة ، دون أن يزودوا بالسلاح الكافى ، فقد هزموا هزيمة مخزية . إذ خر صريعا فى ساحة الحرب أربعة آلاف رجل (ص ٤ : ٢) ، ودب روح الجبن والخوف فى كل الصفوف .

هكذا تكون النتيجة دائما عندما يسقط شعب الله الههم من حسابهم . وعندئذ يكون تأديبهم مكلفا جدا وضروريا جدا ، ولذلك يسمح الله لهم بالتأديب مرارا وتكرارا ، ويبعدهم عن الطرق غير الصالحة .

٢ - الالتجاء الى التابوت للنجاة . دون الالتجاء الى الله :

فى مساء ذلك اليوم المروع عقد شيوخ اسرائيل مجلسا حربيا (ع ٣) . واضح أن هزيمتهم كان يجب أن تعزى لضعف علاقتهم مع الرب . لهذا قالوا « لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين » . كانوا شاعرين بأنهم أسقطوا الرب من حسابهم ، ولذلك اعتزموا اتخاذ طريقة طيبة يلزمون بها الله ليقف بجانبهم ضد أعدائهم ، فصرخوا « لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل فى وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا » .

لقد تذكروا المناظر العجيبة التى لعب فيها هذا التابوت أدوارا هامة : كيف هربت أمامه مياه الأردن ، وسقطت أسوار أريحا . وكان خروجه - بناء على كلمات موسى مشرعهم العظيم - يعنى دائما تبدد وهروب أعداء الرب . ويقينا ... أنه كان لابد أن يفعل هكذا أيضا . لم يدركوا أن معونة الله لا تتوقف على مجرد وجود رمز مادى له ، بل على الشروط الأدبية والروحية التى يجب أن يفهموها ويتمموها . لا يخلصنا من التجارب مجرد الاعتماد على المظاهر الخارجية ، أو السحر أو الشعوذة ، بل على الإيمان القوى والصلاة الحارة .

وكان عند وصول التابوت الى المحلة فى الوقت المناسب ، يحمله اللاويون ، ويرافقه ابنا عالى لحراسته ، « أن جميع اسرائيل هتفوا هتافا عظيما » بفرح منقطع النظير . وواضح أن عالى لم يكن موافقا على أن يترك التابوت مكانه المقدس « لأن قلبه كان مضطربا لأجل تابوت الله » . لكنه كثيرا ما خضع للشعب عندما كان يرى ان احتجاجه عليهم لا يجدى نفعا . والأرجح أنه لم يوجد أى واحد غيره يخاف على التابوت ، لأنه « كان عند دخول تابوت عهد الرب الى المحلة أن جميع اسرائيل هتفوا هتافا عظيما حتى ارتجت الأرض ».

وحالما عرف الفلسطينيون - بواسطة جواسيسهم - سبب هذا الهتاف العظيم فزعوا جدا ، لأنهم هم أيضا كانوا يدركون أن وصول التابوت يعنى حضور اله اسرائيل « لأنهم قالوا قد جاء الله الى المحلة . وقالوا ويل لنا لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله . ويل لنا من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين الذين ضربوا مصر بجميع الضربات » . وهم أيضا لم تكن لديهم فكرة عن تلك الاعتبارات الأدبية التى بها يتعاون الله مع شعبه .

كان ضروريا أن تعطى أجابة حاسمة عن تلك الأفكار المادية التى كانت لدى العبرانيين وأعدائهم . كان يجب أن يبين بأن مجرد امتلاك رمز العهد لا قيمة له طالما كان هنالك تمسك بالآلهة الغريبة وعشتاروث ورجاسات الأمم (ص ٧ : ٣ و ٤) . أن الالتجاء الى الشكليات ، والرجوع الى السوابق المباركة ، والاعتماد على الرموز المقدسة ، هذه أيضا كلها عديمة الجدوى ما لم يكن القلب طاهرا والأيد نظيفة « أن راعيت أثما فى قلبى لا يستمع لى الرب » (مز ٦٦ : ١٨) .

ويبدو أن الفلسطينيين بذلوا أقصى جهدهم فى الاستعدادات الحربية الجبارة ، لأنهم اعتقدوا أنهم سوف لا يحاربون لحما ودما ، بل الآلهة التى قادت اسرائيل فى سلسلة طويلة من الانتصارات ، وتقدموا الى الحرب ترن فى آذانهم كلمات قادتهم « تشددوا وكونوا رجالا أيها الفلسطينيون . لئلا تستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم فكونوا رجالا وحاربوا » (ص ٤ : ٩) أنظر أيضا (١ كو ١٦ : ١٣) .

كانت نتيجة ذلك اليوم المروع محزنة لأقصى حد . « وانكسر اسرائيل وهربوا كل واحد الى خيمته . وكانت الضربة عظيمة جدا . وسقط من اسرائيل ثلاثون ألف رجل » (ع ١٠) . ولابد أن يكون التابوت قد تكدست حوله جثث كثيرة ؟ لأن العبرانيين استماتوا فى الدفاع عن رمز إيمانهم . لكن دفاعهم كان عديم الجدوى ، لأنه « أخذ تابوت الله ومات ابنا عالى حفنى وفينحاس » . هذا ما تنبأ به صموئيل ، وهذا ما تم .

وبعد الظهر « ركض رجل من بنيامين وجاء الى شيلوه وثيابه ممزقة وتراب على رأسه » (ع ١٢) ، حاملا الأنباء الأليمة . وإذ جاز وسط الصفوف المتلهفة انبعث صراخ من كل جانب وصار يتزايد حتى وصل الى قمته فى مدينة رئيس الكهنة . « ولما جاء الرجل ليخبر فى المدينة صرخت المدينة كلها »، وفى المساء صعد نحيب شديد ، لأنه لم يكن هناك ما يمنع الجيش المنتصر من دخول المدينة التى حرمت فى يوم واحد من أبطالها ومن الهها .

كان عالى الكاهن ، المتقدم فى السن، والأعمى، والمتلهف لمعرفة النتيجة، قد جلس على كرسى فى ساحة المدينة. كان قد سرى الى نفسه أعلان داخلى هنالك أنباء اليمة فى الجو، وعندما تعالى الصراخ سألة الكهنة واللاويين الحاضرين ، ولعله سأل أيضا صموئيل ، وكانوا كلهم فى انتظار أية أوامر منه لطلب أية معونة، فسمع عالى صوت الصراخ فقال «ما هو صوت الضجيج هذا ؟ » .

وفى نفس اللحظة ظهر الرسول ومثل أمام الجماعة ، وعرف عالى بنفسه ، فسأله عالى فى لهفة « كيف كان الأمر يا ابنى ؟ » وبدون انذار أو مقدمات ، وبدون أية محاولة لتلطيف وقع النبأ الأليم قال « هرب اسرائيل أمام الفلسطينيين . وكانت أيضا كسرة عظيمة فى الشعب ومات أيضا ابناك حفنى وفينحاس . وأخذ تابوت الله .

تلقى عالى الشيخ المحطم هذه الأنباء فى صمت . ضربته الرصاصات الثلاث الأولى ضربا موجعا ، وليس قاتلا . ولكن « لما ذكر تابوت الله سقط عن الكرسى الى الوراء الى جانب الباب فانكسرت رقبته ومات » .

أما امرأة فينحاس فقد مثلت هول الموقف بكلمة واحدة قالتها - عند احتضارها - لتدعو بها طفلها الذى ولدته وقتئذ قبل موعده ، إذ دعته «ايخابود قائلة قد زال المجد من اسرائيل». لقد حزنت فعلا لأنها أصبحت أرملة، ولأن حماها مات فى الوقت الذى كانت البلاد فى أشد الحاجة اليه . لكن حزنها كان أشد من الكل لأن التابوت قد أخذ ومعه زال المجد . كانت هذه سيدة أمينة مخلصة ، وتستحق أن تحسب مع حنة فى ولائها لإسم الله وبيته .

لكن متاعب أشد حلت فيما بعد . ففى فزع وتعجل حمل الاسرائيليون بقايا خيمة الاجتماع المقدسة ، ومعداتها ، وأخفوها . وفى السنوات التالية وجدت فى نوب (١ صم ٢١ : ١) . لقد تم نقل هذه الآثار المقدسة قبل أن يهجم الفلسطينيون على المدينة المهجورة بجيوشهم الجرارة . قال ارمياء، بلسان الله، « اذهبوا الى موضعى الذى فى شيلوه الذى أسكنت فيه اسمى أولا وانظروا ما صنعت من أجل شر شعبى اسرائيل » (أر ٧ : ١٢) . ومن كلمات المرنم النبوية التالية يتضح ما حل فيما بعد بالمدينة التى ظلت ثلاث مئة سنة مركزا للحياة الوطنية والحياة الروحية :

ورفض مسكن شيلوه
الخيمة التى نصبها بين الناس

وسلم للسبى عزه
وجلاله ليد العدو
ودفع الى السيف شعبه
وغضب على ميراثه
مختاروه أكلتهم النار
وعذاراه لم يحمدن
كهنته سقطوا بالسيف
وأرامله لم يبكين (مز ٧٨ : ٦٠ - ٦٤)

٢ - اسم الله المرعب :

يشير هذا الجزء من التاريخ الى الاستثارة المتزايدة فى الأمم المجاورة عن طبيعة اله اسرائيل .

لم تكن هنالك طريقة أخرى يعلن بها روح الله شعب فلسطين عن قداسة الله وقدرته ، إلا تلك التى اتخذها فى المناسبة الحالية . فقد حملوا التابوت من ساحة الحرب الى هيكل داجون فى نشوة الانتصار. وبدا لهم أنهم لم ينتصروا على إسرائيل فقط ، بل على الههم المدافع عنهم ، وأن داجون أعظم من الرب .

كانت تعتبر كارثة عظيمة لو سمح لهم باعتناق هذه الفكرة بصفة دائمة . ولهذا كان يجب أن يعلن الله فى فلسطين عظمته التى لا يدنى منها ، التى ينفرد بها ، كما فعل فى مصر قبل ذلك بعدة أجيال . أنه لا يمكن أن « يعطى مجده لآخر ، ولا تسبيحه للمنحوتات » (اش ٤٢ : ٨) . ولذلك تمشى مع الآراء المادية الخاطئة لعبدة الأوثان هؤلاء العمى والتقى بهم فى دائرتهم . لقد رفضوا أن يتأثروا برسالة أى نبى . وكانوا مستعدين لاحتقار ورجم أى شخص يقاوم عبادة داجون الوطنية العامة .

لكنهم لم يمكنهم مقاومة النتائج التى فوجئوا بها ، إذ وجدوا فى صباح يومين متتاليين ، أن تمثالهم منطرح على الأرض أمام التابوت ، رمز للرب ، وفى المرة الثانية وجدوا أن « رأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة » ومفصولة عن جسده ، « وبقى بدن السمكة فقط » .

ولكى يتضح جليا أن هذا لم يحدث عرضا ، بل من صنع الله ، وأنه غاضب عليهم ، « ثقلت يد الرب على الأشدوديين وأخربهم وضربهم بالبواسير

فى أشدود وتخومها » ، وفى كل مدينة نقل اليها التابوت ، وافتقدوا بفيران مدمرة فى كل الأقطار التى قد ينقل اليها .

ونحن ينبغى لنا ، بطبيعة الحال ، أن لا نتوهم بأن الله لم يحب تلك النفوس الجاهلة ، لكن لم تكن هناك طريقة أخرى لاقناعهم بطبيعته الحقيقية وصفاته التى ينفرد بها . لم ترسل ضربات مصر لقصاص فرعون فقط بسبب كبريائه وعناده وتصلفه على القدير ، بل لكى يضطر المصريون للاعتراف بأنه هو إله السماء العظيم ، الذى رأوا لمحة عنه من وقت لآخر .

وعلى هذا المثال ، وفى هذه المناسبة ، اضطرهم تمثال داجون الساقط على وجهه ، والمرض الأليم الذى ضربوا به ، وتلف محصولاتهم ، إلى أن يصرخون الى السماء (ع ١٢) ، كأنهم قد أدركوا أن الذى يتعامل معهم شخصية أعظم من داجون ، الكائن الأعظم ، الأسمى من كل الالهة المحلية .

يا له من اعلان سام عن الطرق الإلهية مع الإنسان . يالها من رغبة لا نهائية ، تلك التى يريد بها أن يكسب ولاء واخلاص كل البشر . ان الاعلان البالغ حد الكمال ، الذى لا يدنى منه ، والذى عمله لهذا الغرض ، هو فى ابن محبته . « الإبن الوحيد الذى هو فى حصن الآب هو خبر (١) » . (يو ١ : ١٨) .

لكن ماذا كان يجدى التحدث عن ابنه فى تلك الأيام الأولى ، التى فيها أظلمت قلوب البشر بسبب اسوأ الأفكار وأحط الأخلاق ؟ كان يجب أن يكون هناك « أمر على أمر ، فرض على فرض » (أش ٢٨ : ١٠ و ١٣) . كان يجب « التغاضى عن أزمنة الجهل » (أع ١٧ : ٣٠) . كان يجب تخفيف النور عن الأعين الضعيفة السقيمة . كان يجب أن يستخدم الله اللغة التى يفهمها بنو البشر الذين أحبهم ، كما كشف يديه وجنبه ، فيما بعد ، لتوما فى شكه ، متنازلا لاستخدام طريقة الايضاح التى طلبها توما .

لو كان ممكنا للفلسطينيين أن يفهموا رسائل كرسائل يوحنا ، لكانت بلا شك قد كتبت اليهم لتعليمهم وتصحيح أخطائهم ، ونقلت اليهم عن طريق أحد رجال الله . لكن طالما كانوا لم يستطيعوا فهم مثل وسائل التعليم هذه ، فقد علمهم عن طرح تماثيلهم إلى الأرض ، والضربات التى لازمت نقل التابوت الى أى مكان عندهم ، والاتجاه السليم الذى اتخذته البقرتان المرضعتان فى

---

(١) « أعلنه » حسب الترجمة الانكليزية « أخبر عنه » حسب آخر ترجمة عربية منقحة .

الطريق المستقيم من بلادهم الى بيت شمس بالرغم من أنهما كانتا تجاران من أجل صغارهما .

وبنفس المقياس كان يتعلم سكان تلك المدينة التى على الحدود ، بيت شمس* ، درسا قاسيا بأن الله اله قدوس ، وأنه لا يسمح لهم باظهار حب الاستطلاع والفضول ، كعادة الناس ، وعدم الاحترام فى تقبل هذا التابوت غير مسموح به للكهنة ، بل حتى لرئيس الكهنة نفسه « وبالأحرى لهم ، لقد سبق أن أكد الله بصراحة ، عندما هلك ابنا هرون يوم تكريسهما للكهنوت ، أنه يتقدس فى القريبين منه ، ويتمجد أمام جميع الشعب (لا ١٠ : ٣) .

كان يجب أن الاحترام اللائق به يظهر فى احترامهم لأمتعة القدس ، التى كان يجب أن يلفها الكهنة بحرص قبل أن ينقلها اللاويون (عد ١ : ٥٠ و ٥١ ، ٤ : ٥ و ١٦ - ٣٠) . كان القصاص الذى أعطى لهم نتيجة عدم احترامهم هذا باعثا لهم على ذلك الاعتراف المبارك بقداسة الله المهوب ، كما « قال أهل بيت شمس من يقدر أن يقف أمام الرب الاله القدوس هذا » ؟

ولكن عندما نقل التابوت باحترام الى قرية يعاريم ، مدينة الغابات وهى تبعد عن وادى بيت شمس بثلاثة أميال ، وادخل الى بيت أبيناداب ، وقدس العازر ابنه لحراسته ، كانت البركة التى حلت ببيته دليلا على محبة الله وعطفه ، وعلى أنه مستعد أن يسكن مع « المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامه » (أش ٦٦ : ٢) .

أيها الحبيب ، لا تخش الرب بلقب جبان ، بل بولاء ومحبة ودالة البنين ، وافتح قلبك ، لا ليتقبل فقط تابوت العهد ، بل ذاك الذى هو كفارة لخطايانا .

✣ ✣ ✣

٦

أعـادة عملية البناء

(١ صم ٧ : ٢ (١))

اصمت وتشدد أيها الأخ الحبيب وكف عن
البكاء واحفظ منافذ نفسك طاهرة من كل
عيب حتى إذا ما حان الوقت لانتهاء الحياة تستطيع
أن ترى بوضوح غروب الشمس البهيج وأنوار الموت

[براوننج]

بينما كانت الحوادث المبينة فى الفصل السابق تجرى ، كان صموئيل يحصر تفكيره فى العمل النبيل العظيم ، أعادة عملية البناء . حالما يحدث جرح فى جسمنا ، أو كسر فى عظامنا ، تبدأ الطبيعة بأن تسخر قواتها المعالجة لاصلاح ما فسد ، وهكذا تعيد بناء الهيكل المتهدم . وكما هو الحال فى الحياة الطبيعية الالهية لاصلاح ما فسد فى حياتنا . يقينا أن هذا عمل مبارك يشبه عمل الله القدير ، الذى ، عندما كانت الأرض خربة وخالية ، بدأ يبنى فى وسطها أماكن تصلح لسكن الإنسان .

لهذا العمل كرس صموئيل العشرين سنة التالية مباشرة لموقعة أفيق . ويبدو أن الغزو الفلسطينى كان قد خمدت قوته قليلا عما كانت عليه فى بداية الهجوم ، وأنهم قد انسحبوا من احتلال الأقاليم الداخلية فى اسرائيل . ولهذا استطاع أن يتابع جهوده الهادئة المعتدلة من أجل بلاد آبائه ، بعيدا عن روح التحمس والمقاومة .

ويبدو أنه اتخذ اقامته فى الرامة ، التى تذكر فيها أيامه الأولى التى قضاها فيها . هنا جعل مركزه الدائم ، حيث التف حوله بعض الشبان . كانوا نواة مدارس الأنبياء . وهنا أيضا تـزوج وأنجب ابنين . كان اسـماهما ينمان عن

---

(١) « وكان من يوم جلوس التابوت فى قرية يعاريم أن المدة طالت وكانت عشرين سنة » .

تقوى والدهما ، وعن سيره مع الله ، فالأول اسمه « يوئيل » ومعناها « الرب هو الله » ، والثانى اسمه « أبيا » ومعناها « الرب هو أبى » .

استطاع صموئيل أن يسير مع الله ، ويحتفظ بحياة تقية وسط الفوضى العامة فى الحياة الدينية التى نشأ فيها ، فقد كان التابوت فى مكان وبقايا خيمة الاجتماع فى مكان آخر ، وكانت قد بطلت ممارسة الطقوس والأعياد التى كانت تساعد كثيرا على التقوى فى الأيام السالفة .

لعل هذا هو السبب فى أن الله يسمح من وقت لآخر بأن تتزعزع الأشياء المصنوعة لكى تظهر بأجلى وضوح غير المتزعزعة ، وتطلب بغيرة أوفر (عب ١٢ : ٢٧) . فى العصر الحاضر نسمعه يقول « منقلبا منقلبا منقلبا أجعله » (حز ٢١ : ٢٧) ونرى نظريات مباركة تهاجم بعنف ، وكنائس تهدد بالخراب وعقائد قديمة تنافس بلا رأفة . لكن المسيحية تخرج من هذه كلها وقد ازدادت ضياء كما يخرج الذهب من البوتقة مصفى .

وفى نفس الوقت لنقل مع صموئيل « الرب هو الله » ، و « الرب هو أبى » . لنتمسك قبل كل شئ بمحبة أبينا الثابتة ، غير المتغيرة ، الذى يحبنا بمحبة لا يعادلها شئ فى الأرض أو فى السماء .

أدرك صموئيل أنه ينبغى أن يتحقق أمران قبل امكان علاج حالة اسرائيل المحزنة ، أو تحقيق المثل الإلهى الأعلى .

(اولا) يجب القضاء على الفوضى الضاربة أطنابها ، وتحقيق الوحدة الوطنية ، كان غير مجد التفكير فى حفظ البلاد من غارات الشعوب المجاورة طالما كان كل سبط مكتفيا بالاحتفاظ بكيانه ، ويصد أعداءه وقتيا دون أن يبالى بحالة الأسباط المجاورة ، وحالة البلاد كلها بصفة عامة . كان يجب أن يصبح اسرائيل شعبا واحدا ، تحفزه غيرة مشتركة نحو استقلاله واستقامته . ليفتخر كل سبط بامتيازاته الخاصة ، ويتمم رسالته الخاصة ، لكن لتتحد كل الأسباط فى الدفاع عن استقلال ومجد الشعب المختار .

هذه يجب أن تكون وجهة نظرنا فى عصرنا الحاضر . فانقسامات الكنيسة تسبب لها الخزى والعار ، وتجعلها ضعيفة أمام أعدائها . فافرايم يحسد يهوذا ، ويهوذا يغيظ أفرايم . وعدوهما المشترك يستغل مهاتراتهما المتبادلة ومنازعاتهما . أنه لمنظر محزن أن نرى انقسامات المسيحيين أمام العالم الساخر بهم . ونحن لن نستطيع أن نجعل الناس يؤمنون إلا إذا تعلمنا كيف نوحد الصفوف ، ونطيل أناتنا على كل من يحبون الرب يسوع ، المتحدين به على أساس أنه هو رأسهم الحى ، حتى وان كانت طرق مناداتهم بالحق تختلف كثيرا عن طرقنا .

(**ثانيا**) يجب استئصال الشرور التى فتت فى عضد الأمة . لقد ترك الشعب اله أبهائهم وعبدوا بدلا عنه تماثيل آلهة الفينيقيين والفلسطينيين . وأقيمت الهياكل بوفرة للبعل وعشتاروث حتى غطت الأرض . وارتكبت المخازى والدعارة فى كل مكان . وكان واضحا أنه لا يمكن أن يخلص الشعب من نجاسات الشرور ، التى كانت سببا فى خراب الكنعانيين الأقدمين ، إلا عن طريق نهضة روحية قوية .

كانت هذه هى فرصة صموئيل . « وكلم صموئيل كل بيت اسرائيل قائلا أن كنتم بكل قلوبكم راجعين الى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم ، وأعدوا قلوبكم للرب ، وأعبدوه وحده » (١ صم ٧ : ٣) . لا يمكن أن يعيش الناس بدون الله بصفة دائمة . قد تكون هنالك فترات أهمال روحى ، ونجاسة ، والتمرغ فى الخطيئة . وهذه تعتبر بمثابة عبادة البعليم وعشتاروث ، التى كانت تعبد قديما . لكن حيث حدث سقوط يجب أن يكون هنالك قيام ، « وينوح كل بيت اسرائيل وراء الرب » (١ صم ٧ : ٢) . فليتهيأ خادم الرب ليقوم بمهمته ، لأن ساعته قد جاءت .

كان صموئيل رجل صلاة من الطراز الأول. وقد عرف فيما بعد فى صفحات الكتاب المقدس بأنه يدعو باسم الرب (١صم ٩: ٦و ٧ و ٨ و ٩، مز ٩٩: ٦،أر ١٥: ١) .

علاوة على هذا فقد كانت حياته سامية جدا ، بلا لوم . يقال بحق أن فن قيادة الناس وارشادهم هو امتياز أولئك الذين نشأوا فى قوة طبيعية وطهارة وصلاح منذ فجر الحياة ، أولئك الذين يستطيعون أن يتطلعوا باتضاع وشكر الى الوراء الى رجولتهم وشبابهم وحداثتهم ، دون أن يروا فيها أى خدش فى طهارتهم ، أو أى شئ يكدر ذاكرتهم . ويقينا أن هذه كانت هى حياة صموئيل.

ولقد كان أيضا يمتاز بحكمة عملية ، وكانت له قوة التأثير على ضمير الشعب ، ولهذا فكانت نتيجة جهوه أنه « كان من يوم جلوس التابوت فى قرية يعاريم أن المدة طالت وكانت عشرين سنة . وناح كل بيت اسرائيل وراء الرب » (١ صم ٧ : ٢ و ٣) .

لاحظ هاتين العبارتين « كل بيت اسرائيل » ، هنا نجد أعادة الوحدة المفقودة . « ناحوا وراء الرب » ، وهنا نجد توبة عامة فى كل الشعب ، كانت نتيجتها اصلاحا شاملا : « فنزع بنو اسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب وحده » (ع ٤) .

ليتنا نرى رجوعا مماثلا إلى الله فى أيامنا ، وفى بلادنا . « يا رب عملك فى وسط السنين أحيه . فى وسط السنين عرف » (حب ٣ : ٢) .

✣ ✣ ✣

٧

غلبة الإيمان

(١ صم ٧ : ١ - ١٤)

يارب أعد الينا مرة أخرى الأيام السالفة التى فيها امتلأ العالم بالإيمان. أعد الينا الغيرة المتقدة والقلوب النارية القوية والأيدى التى تؤمن وتبنى

[لونجفلو]

بعد عشرين سنة قضاها صموئيل فى جهود هادئة متواصلة دفع شعبه لاظهار الوحدة القديمة التى جعلتهم كتلة واحدة أمام أعدائهم ، وحيث كان هناك تشوق ظاهر نحو الله . ويخبرنا الكتاب المقدس أن « كل بيت اسرائيل ناحوا وراء الرب (١) » (ع ٢) . وإذ انجذبوا معا الى الرب فقد انجذبوا معا نحو بعضهم البعض ، كما تتحد برامق العجلة فى محورها ، إذا كان الرب يسوع هو مركز حياتنا فيتحتم أن ننجذب كلنا ، فى صداقة أمينة ، مع كل الذين يجعلون المسيح هو الكل فى الكل .

فى (ع ٣ و ٤) يتضح أن صموئيل على الأرجح قدم نصائح غالية لا عدد لها لكل بيت اسرائيل . كان يتجول فى البلاد من أقصائها إلى أقصائها ، حاثا الشعب على الرجوع للرب ، ونبذ الآلهة الكاذبة وعشتاروث ، وتوجيه قلوبهم إلى اله آبائهم وعبادته وحده . فكانت التماثيل فى كل مكان تطرح إلى الأرض ، وبطلت الأرجاس القبيحة من الغابات والأودية .

---

(١) « اقبلوا الى الرب » حسب ترجمة اليسوعيين ، « انجذبوا معا إلى الرب » حسب الترجمة الانكليزية المنقحة .

١ - الدعوة للاجتماع فى المصفاة :

تطلبت النهضة أخيرا اجتماعا عاما « فقال صموئيل اجمعوا كل اسرائيل الى المصفاه » (ع ٥) .

كرس اليوم للصوم « وصاموا فى ذلك اليوم » (ع ٦) ، وذلك كما أوصى الناموس فى يوم الكفارة العظيم . اعترف الشعب بخطاياهم ، وذللوا نفوسهم ، واتضعوا قدام الرب . وفضلا عن هذا أدخل طقس جديد . فأنهم « استقوا ماء (من بئر مجاور) وسكبوه أمام الرب » فى رهبة كما كان يحدث فيما بعد فى عيد المظال . عندما كان ذلك العيد العظيم يقرب على الانتهاء ، إذ يحتفل به فى الهيكل ، كانت عادة الكهنة أن يخرجوا الى عين سلوام ، يرافقهم اللاويون المغنون ، ويحضروا من هناك ماء فى اناء ذهبى . وكان هذا الماء يسكب عند قاعدة المذبح ، فى ساعة تقديم ذبيحة الصباح ، بينما يتغنى المرنمون - وهم بملابسهم البيضاء - بكلمات اشعياء النبى « تستقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص » (أش ١٢ : ٣) .

من المستحيل أن نقرر أن كان هذا الطقس الذى أجراه صموئيل هو بداية الاحتفال العظيم الذى كان يجريه الكهنة واللاويون فيما بعد . قد يكون هذا هو الحال . غير أن المعترف به بصفة عامة أن سكب الماء ، فى خدمة الهيكل ، كان تذكارا لخروج الماء من الصخرة عند ضربها فى البرية ، كما كان رمزا لسكب الروح القدس (يو ٧ : ٣٧ - ٣٩) .

قد يشير سكب الماء ضمنا الى أنهم سكبوا من كل قلوبهم ينابيع من التوبة والدموع ، وأنهم رغبوا بحزنهم الشديد أن يغسلوا أرضهم ويطهروها من شرور السنوات الماضية المكدسة . أو قد يشير الى أن الشعب أدركوا عجزهم التام . فأصبحوا كالماء المهراق على الأرض الذى لا يمكن جمعه ثانية .

لكن مهما كان الباعث على سكب هذا الماء ، فلابد أنه كان منظرا جميلا جدا عندما أعاد صموئيل - وهو ممثل شعبه - كل الأمة إلى الولاء الكامل والطاعة الحقيقية لاله آبائهم . لقد كان هذا عملا مجيدا فى بداية حياته . ونحن لا ندهش إذ نجد أن الشعب هتفوا فجأة ونادوا به قاضيا (ع ٦) .

آه من لنا بمن يقنع كنيسة الله اليوم لنزع الشرور التى تعطل شهادتها . فى بعض الأحيان نسمع أنه فى مبان متصلة بالكنيسة تجرى حفلات عالمية ، وحفلات راقصة ، وتمثيليات ماجنة ، وحفلات هزلية وأشياء أخرى كثيرة ، مما

يدل على انحطاط وفساد الحياة الروحية ، كما تدل الفطريات على فساد الجو الذى تتكاثر فيه . يا لها من نتيجة مباركة أن كان أولاد الله يأتون إلى المصفاة ويعترفون بخطاياهم كما فعل اسرائيل ، ويقولون « قد أخطأنا إلى الرب» (ع ٦).

٢ - غلبة الإيمان :

وصلت أنباء هذا الاجتماع العظيم الى الفلسطينيين ، الذين تأكدوا أن هذه علامة على عودة روح الحياة الوطنية « فصعد أقطاب الفلسطينيين الى إسرائيل » (ع ٧) . تجمعت الجنود من كل مكان فكونوا جيشا عظيما ، وصار هنالك خوف شديد لئلا يتكرر ما حدث فى أفيق (ص ٤) . ودب الذعر فى كل جماعة اسرائيل . كان يبدو أنه لا يوجد إلا رجاء واحد ، هو أن يقوم الله لمعونة شعبه ، وإلا سحقهم العدو سحقا . ماذا يستطيع أن يعمله الخروف الواحد الجبان أمام الذئاب ؟ ماذا يستطيع أن يفعله جماعة من الفلاحين العزل من السلاح أمام أمثال هؤلاء الجنود ؟ ماذا تستطيع الأمة ، التى كانت قد عادت اليها روح الوطنية منذ فترة قصيرة ، بعد سنوات طويلة من الفوضى والضعف ، أن تفعله أمام هجوم هؤلاء الأعداء الألداء الأشداء ؟ « وقال بنو اسرائيل لصموئيل لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب الهنا فيخلصنا من يد الفلسطينيين » (ع ٨) .

أيه أيتها النفس ، هذا هو الرجاء الوحيد أمامك . فقد أذلتك الخطايا وأخضعتك كما أخضع الفلسطينيون اسرائيل . انك تئنين فى السجن كشمشون لذ قص شعره . يبدو أنه لا رجاء فى الخلاص لأن حياتك الأدبية قد ضعفت إذ سمحت للشرور بالتسلط عليك ، وهذه الشرور تماثل تلك التى غرقت فيها الأمة اليهودية أيام القضاة .

أنزعى هذه فقط ، وتحررى منها . وباسم الله اطرحى عنك كل اعتماد على ذاتك أمام الصليب الذى مات عليه يسوع . اقبلى الغفران الذى لن يحرم من يد أعدائك مهما كثرت العراقيل ، والتجارب ، والخطايا المحيطة بك .

لو كان المجربون يغسلون نفوسهم فقط فى المياه المطهرة التى لكلمة الله ، ويتعودون صلاة الإيمان ، فان الرب يحارب عنهم وهم يصمتون .

كانت قوة صلوات صموئيل معروفة فى كل أرجاء البلاد . كان الشعب قد بدأوا يؤمنون بها . كانوا يحسون أنها هى الحصن الذى يحفظ حريتهم . فان صلى صموئيل فقط ضمنوا النجاة . كانوا يدركون أنه صلى . من أجلهم ، والآن توسلوا اليه لكى لا يكف عن الصلاة .

لكن صموئيل لم يصل فقط ، بل فعل أكثر من هذا ، فانه « أخذ حملا رضيعا وأصعده محرقة بتمامه للرب » ، مشيرا بهذا إلى رغبته فى أن يخضع اسرائيل خضوعا كاملا لارادة الله . ينبغى أن يكون هنالك تكريس قبل أن يكون هنالك إيمان أو نجاة . لا يكفى نزع الخطية فقط بل يجب أيضا أن نكرس أنفسنا بكليتنا لله . ينبغى أن نصعد المحرقة بتمامها ، أن الفشل فى السلوك يدل دائما على فشل القلب . أن كنت منهزما دائما أمام الفلسطينيين فتأكد أن هنالك نقطة ضعف فى تكريسك الداخلى .

وبينما كان دخان هذه المحرقة يرتفع فى الجو الهادئ ، وكانت عيون عشرات الألوف شاخصة الى صموئيل ، الذى كان - كنبى - له الحق أن يتقدم على الكهنة فى هذه الخدمة الرهيبة . وإذ كانت أصوات صراخة لطلب المعونة الإلهية تصعد الى السماء ، « تقدم الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل » .

ألا تستطيع أن تراهم يزحفون فى صعودهم الى الجبل ، ويحيطون بجماعة اسرائيل العزل من السلاح ، الذين لم تكن لديهم قوة للمقاومة ؟ .

لكن صوت الله تجاوب فجأة مع صوت النبى . « فأوعد الرب بصوت عظيم فى ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام اسرائيل » (ع ١٠) . أكفهر الجو فجأة إذ هبت عاصفة قاتمة ، وصارت أصوات الرعد ترن فى الجبال . وبمجرد أشارة من صموئيل انقض رجال اسرائيل على العدو الهارب . فنزلوا من الجبل مسرعين ، وأخذوا الأسلحة التى ألقاها العدو فى هربه ، وجردوا الموتى من أسلحتهم .

ويحدثنا يوسيفوس عن ظرف آخر زاد فى أهوال تلك الغارة ، فقال « لقد أباد الرب صفوفهم بزلزلة . فارتعدت الأرض تحت أقدامهم ، وهكذا لم يعد مكان يقفون عليه فى أمان . والبعض سقطوا على الأرض عديمى القوة والآخرون ابتلعتهم الفجوات التى انفتحت تحتهم » .

ولم تتوقف متابعة اسرائيل للفلسطينيين إلا عندما وصلوا إلى ظل حصنهم فى بيت كار ، أو عين الكروم ، كما تسمى اليوم .

هذه هى الرسالة العظيمة المقدمة الينا من كل هذه الرواية . لو أن كنيسة الله فقط نزعت الشرور التى تحزن الروح القدس ، لو أننا خرجنا فقط واعتزلنا، دون أن نمس نجسا ، وطهرنا أنفسنا من كل دنس الجسد والروح ، فان الروح القدس لابد أن يتدخل لخلاصنا نحن أيضا . لابد أن يخلصنا الرب ، ويحارب اعداءنا نيابة عنا ، فيعظم انتصارنا بالذى أحبنا ، ولا يكون أمامنا إلا أن نأخذ الغنيمة .

٨

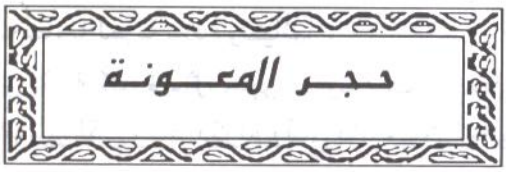

حجـر المعـونـة

وبهذه القوة ركبت (أنا) محطما كل
العادات الشريرة فى كل مكان واجتزت أرجاء
وثنية وأخضعتها واصطدمت بجماعات وثنية
وحطمتهـا وفى هذه القـوة جئـت منتصـرا

[تنيسون]

« فأخذ صموئيل حجرا ونصبه بين المصفاة والسن ودعا اسمه حجر المعونة وقال الى هنا أعاننا الرب (١ صم ٧ : ١٢) . كان هذا هو نفس المكان الذى فيه القى اسرائيل تلك الهزيمة الشنيعة، التى أدت إلى أخذ التابوت منهم (ص٤:١) . يا له من منظر عجيب أن تتم النصرة فى نفس المكان الذى تمت فيه الهزيمة .

منذ تلك اللحظة ثبتت عظمة صموئيل فى البلاد . ولم يعد الفلسطينيون يقتربون من حدود اسرائيل مدة قضائه . « وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل أيام صموئيل » (ع ١٣) . « والمدن التى أخذها الفلسطينيون من اسرائيل رجعت الى اسرائيل من عقرون الى جت» . والأموريون ، الذين كانوا منضمين للكنعانيين ، وجدوا أنه من مصلحتهم الانضمام إلى صموئيل ، والكف عن العداوة مع اسرائيل « وكان صلح بين اسرائيل والأموريين » (ع ١٤) .

قال أحد المفسرين : « لم يكن نجاح اسرائيل عند حجر المعونة هذا مجرد نصرة واحدة ، بل كان علامة على روح جديدة فيهم ، أحيت روح الأمة طول مدة أيام صموئيل ، ومدة حكم داود وسليمان المختلفة وحلت محلها رغبة شديدة عامة فى وحدة كاملة . واكتسحت الى حد كبير من بين الشعب المختار عبادة كنعان الوثنية ، التى أضعفت الروح الوطنية بين كل الأسباط التى مارستها ، وتوطدت أركان عبادة رب الجنود النقية ، ليس فقط بعناية وحراسة سبط لاوى ، بل بنظام الأنبياء الجديد » .

أى شئ لا تستطيع أن تفعله الصلاة ؟ أنها لا تستطيع فقط أن تفتح وتغلق السماء ، بل تعطى الشخص المصلى سلطة على عصره لا تنازع ، فيعترف الناس أن مخلص المدينة ليس هو الرجل السياسى، ولا رجل العلم ، ولا الرجل الادارى ، بقدر ما هو الرجل الذى تعلم كيف يسير مع الله ، والذى يكون بأخلاقه وصلواته حاميا لحرية بلاده ولكيانها .

هنالك أحجار أثرية كثيرة مثل حجر المعونة متناثرة هنا وهنالك ، فى كل العالم سعى الإنسان لكى يخلد ذكراه بآثار دائمة من الطبيعة . وبهذا أظهر حقارته كما أظهر عظمته .

لقد أظهر حقارته لأن كل مسعى كهذا يعتبر بمثابة اعتراف بأن أيامه زائلة ، وشعوره بتفاهة تمسكه بالأرض التى ليس هو إلا غريبا ونزيلا عليها .

وأظهر عظمته لأنه قادر على أن يحيط نفسه بهالة من الذكرى الدائمة ، فى الصخور الصلبة ، والكهوف المظلمة ، والأنهار العميقة الجارية ، من أجل هذا تكتظ كل بقعة من ممالك العالم القديمة بالتذكارات .

فلنتوقف قليلا عند قاعدة هذا الحجر لنتعلم درسا آخر أو اثنين . لأن الحجارة لها آذان وأصوات . قال يشوع أن الحجر الذى نصبه فى نهاية أيام حياته سمع ، لأنه « يكون شاهدا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذى كلمنا به » (يش ٢٤ : ٢٧) . وقال ربنا ان الحجارة التى حوله كان ينتظر أن تصرخ « فأجاب وقال لهم أنه ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » (لو ١٩ ٤٠) .

١ - موقعه :

لقد أقيم على أرض شهدت هزيمة مروعة ونكبة شديدة . ففى الأصحاح الرابع نرى أن موقعة أفيق العظيمة تمت فى هذا المكان . « وخرج اسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب ونزلوا عند حجر المعونة وأما الفلسطينيون فنزلوا فى أفيق » (ص ٤ : ١) . « فأخذ الفلسطينيون تابوت الله من حجر المعونة الى أشدود » (ص ٥ : ١) .

لابد أن الكثيرين ممن كانوا حول صموئيل ، عند أقامة هذا الحجر وتسميته ، كانوا موجودين منذ عشرين سنة عند تلك الموقعة الأليمة التى أطاحت بمجد اسرائيل . هنا كانت الحرب على أشدها ، وكثر عدد القتلى ، فكانت جثث العبرانيين والفلسطينيين تسقط كسقوط أوراق الشجر ، وتدوسها أقدام المحاربين . هنا وصلت الحرب الى أقصى حدودها حول تابوت الله .

فى ذلك الموقف الحرج بذلت جهود جبارة لانسحاب اسرائيل من تلك الحرب المخزية ، لكن بدون جدوى هنالك سقط حفنى وفينحاس . فى هذا المكان ثبت اسرائيل برهة وجيزة ، لكنهم عادوا فانهزموا . وهرب أبناء الجنس المختار - الذين لم يتزعزع آباؤهم أيام جدعون ويفتاح - كما يهرب الخروف أمام الذئب .

لكن بالرغم من كل هذا ، وبالرغم من أن المكان كانت تحف به ذكريات الخزى والعار والفضيحة ، التى كانت نتيجة آثام الشعب والكهنة ، بالرغم من كل هذا فقد أقيم الحجر الذى كان يتحدث بوضوح عن المعونة الإلهية .

يا له من تشجيع قوى يتضمنه هذا لجميعنا . فنحن أيضا ربما نكون مجتازين فى هذه الساعة بالذات ساحات حرب كانت يوما ما أماكن هزيمة محزنة . وبين الآونة والأخرى نلتقى بأعداء سلامنا فى حروبنا الأدبيه التى يجب أن نصمد فيها . لكن آمالنا قد خابت ، وديست أعلامنا فى التراب والدماء . واعتزمنا أن لا نستسلم قط ، لكننا استسلمنا . وأعتزمنا أن نحتفظ بنذرنا وأن نفى بكل وعودنا ، لكننا فشلنا فشلا ذريعا ، وانتصر علينا عدونا ، وغلبتنا الخطية المحيطة بنا ، رغم كل جهودنا .

لكن تشجع أيها القارئ العزيز . ففى نفس المكان الذى سقطت فيه سوف تقوم وتثبت ، « لأن الله قادر أن يثبتك » (رو ١٤ : ٤) ، وفى نفس المكان الذى أنهزمت فيه سوف يعظم انتصارك (رو ٨ : ٣٧) سوف تطأ نفس تلك الساحات بهتاف الفرح . والصخور التى شهدت أوراق الأشجار تسقط فى الخريف سوف ترى أوراق الربيع الخضراء الزاهية . تشدد وتشجع . فان حجر المعونة سوف يقام فى نفس ساحة قتال موقعه أفيق المخزية .

٢ - ذكرياته الماضية :

أية أحداث كان يمكن أن يتحدث عنها هذا الحجر لو كان قد كشف الحجاب عن معاملات الله العجيبة مع شعبه . لقد كان يتطلع الى الوراء على عمل العشرين سنة البطئ ، التى كان صموئيل النبى يقود فيها الشعب ليرجعوا الى آله آبائهم ، ذلك العمل الهادئ ، غير المنظور ، كعمل الحشرات المرجانية فى أعماق المحيط العظيم الذى يستمر فى العمل الى أن تظهر جزيرة صغيرة تتوجها أشجار النخيل المورقة .

كان يتطلع الى الوراء على مناظر كثيرة من تحطيم التماثيل ، إذ كانت تماثيل البعليم وعشتاروث تحطم من دان الى بير شبع ، والانصاب تكسر ، والمذابح تهدم .

كان يتطلع إلى الوراء على دعوة اسرائيل إلى ذلك الاجتماع الخالد فى المصفاة ، عندما سكب الماء أمام الرب اعترافا بالخطية ، وعلامة على التذلل والتوبة (١ صم ٧ : ٦) .

كان يتطلع إلى الوراء بصفة خاصة على ذبيحة المحرقة ، التى كانت تعلن عن عزم اسرائيل على أن يكونوا من ذلك الوقت مكرسين لله تكريسا كليا ، وعلى صراع صموئيل الشديد وتشفعاته (ع ٩) .

وفوق كل شئ كان يتطلع إلى الوراء على تلك اللحظة الخالدة عندما اقترب الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل « فأرعد الرب بصوت عظيم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام اسرائيل » (ع ١٠) .

لو كان ذلك الحجر قد نحت ألواحا من الذكريات فى قلبه القديم وعيونا وآذانا ، لما كان يقينا قد نسى ذلك الهجوم الجنونى الذى هجم به رجال اسرائيل على أعدائهم الهاربين المذعورين لينتقموا منهم فى ساعة واحدة بسبب اساءاتهم ومضايقاتهم لهم طول مدة العشرين سنة الماضية (ع ١١) .

هل حدث فى حياتك شئ كهذا ؟ أن الكثير يتوقف على اجابتك . أن كان منذ سقطتك الأخيرة وهزيمتك لم يحدث لنفسك شئ مثل ما حدث فى المصفاة فثق أنه لا يوجد أى احتمال لحدوث أى تغيير . فانك سوف تهزم كما سبق أن هزمت ، وسوف تسقط كما سبق أن سقطت . إلا إذا سكبت قلبك أمام الله . ونزعت عنك أصنامك ، واعتزمت على أن تتبعه اتباعا كاملا .

إذا ما سمح لى بالتحدث عن اختباراتى وجب أن أعترف بالفشل المستمر فى حياتى طالما بقى فى قلبى ما لا يتفق مع مشيئة الله . كانت القواعد التى وضعتها لحياة نقية مقدسة ، وحضور المؤتمرات الخشوعية المؤثرة جدا ، والكتب النافعة ، والعظات القوية ، قليلة الفائدة. كان يحدث هناك اصلاح وقتى.

لكن عندما استعدت الى الذاكرة منظر المصفاة ، وتأملت فيه مليا ، تمت النصرة فى نفس مكان الهزيمة .

فليتأمل القارى العزيز فى هذا . أنك لا تستطيع أن تبعد العثة عن بيتك طالما كانت بطانية قديمة واحدة مليئة بالعثة موجودة فى صندوق مهجور .

لا تستطيع أن تبعد الدفتريا عن بيتك طالما كانت هنالك بؤرتها فى البيت . لن تستطيع أقامة حجر المعونة إلا إذا وقفت على مرصد المصفاة ، وهجرت كل خطية معروفة ، وكل اشتراك فيما هو مكروه فى عينى المسيح . لن تنجح معك قوته الحافظة إلا بهذه الطريقة .

قد تقول بأنك لا تستطيع . لكن أعلم بأن الشر يتشبث بك كما التف الثعبان حول لاوكون (١) وابنيه . لقد لفت الخطية حبائلها القوية حولك ، وأصبحت تهددك بالهلاك . كيف تتخلص من الخطية التى تغريك باغراءاتها القوية لدرجة أنك أصبحت تشعر بأنك لا تستطيع أن تعيش بدونها ؟ آه ، هذه هى النقطة التى يريد الطبيب الأعظم أن يتدخل فيها لانقاذك وخلاصك . هو مستعد أن يعمل لك ما تعجز أنت عن أن تعمله .

والسؤال الوحيد هو : هل أنت تريد ؟ هل تريد بأن يخلق فيك الارادة ؟

يحدث فى كثير من الأحيان أن الارادة ترفض وتقاوم . فى مثل هذه الحالة يوجد ملجأ عظيم: قدم ارادتك للمسيح ، وقل له أنك لا تقدر أن تحيا كما تريد، أو كما ينبغى ، وأطلب منه أن يتولى حالتك المتعبة ، التى تكاد تكون خطرة .

لا شك فى النتيجة فإنه يستلم ما تقدمه اليه فى نفس اللحظة . وعندما يستلمه ، فإننا نستطيع أن نطمئن قلوبنا بالتعزية التى قدمتها نعمى لراعوث فى لحظة خالدة من حياتها « أجلسى يا بنتى ..... لأن الرجل لا يهدأ حتى يتمم الأمر اليوم » (را ٣ : ١٨) .

٣ - الكتـــابة التى نقشت عليه :

« إلى هنا أعاننا الرب » . يقينا أنه إذا كانت للحجر ذكرياته الماضية كما رأينا ، فإن له آماله نحو المستقبل . فقد كان يتطلع الى الأمام ، كما الى الوراء. كان يبدو أنه يقول : كما أعان الله فى الماضى ، فإنه سوف يعين . كان من المستحيل احراز مثل تلك النتائج التى شهدها فى العشرين سنة الماضية ، والتى بهذه النصرة المجيدة ، إلا إذا كان هو قد قدم المعونة الحقيقيه الفعالة . وهل كان ممكنا أن يفعل كل هذا دون أن يكون مستعدا أن يكمل ما بدأه ؟ هل يمكن أن يبدأ البناء دون أن يحسب حساب النفقة أنه قادر أن يكمل ؟ هل يمكن أن يبدأ معركة حربية دون أن يكون واثقا من الانتصار ؟ .

---

(١) Laocoon كاهن فى طرواده التف حوله وحول ابنيه ثعبان فقتلهم .

لنحرص ، ونحن سائرون فى الحياة ، على أن نقيم أحجار المعونة ، حتى إذا ما تراكمت علينا مسئوليات جديدة ، أو هددتنا صعوبات لم نحسب حسابها ، نتشجع بأن نرنم مع نيوتن :

ان محبتـــه بين الماضـــى تمنعنـــى من أن أفكـــــر
بـــأنه يتـــركنـــى أخيـــرا لتبتلعنـــى المتـــاعـب
وكلما تأملت فى كل حجر من أحجار المعونة الجميلة
تأكدت من رغبـــة الله فى معونتـــــى الى النهـــاية

فى كل أيام حياتك . ان كنت فقط تعتمد على الله ، ان كنت فقط بالإيمان تستمد منه نعمة فوق نعمة، أن كنت فقط تطلب منه أن يكمل ويديم ما بدأ به ، فإنـك عنـدئذ تجـد الفـرص لاقامة أحجار المعونة هـذه ، وتقول مع الرسـول « إذا حصلت على معونة من الله بقيت الى هذا اليوم شاهدا للصغير والكبير » (أع ٢٦ : ٢٢) .

وآخر حجر نقيمه سيكون على حافة الأبدية . إذ تولى ظهورنا لأرض غربتنا ، ونبدأ فى الدخول الى الأبدية ، نقيم حجرا كبيرا لمجد الهنا ، مرددين مرة أخرى بتنهد عميق ورضاء كامل .

« إلى هنا أعاننا الرب »

+ + +

٩

فشـــل ذريـــع
(١ صم ٧ : ٨)

ان الذين تعمقوا فى روح الصلاة يستطيعون تحمل الآلام بالصبر والذين تعلموا كيف يصلون بروح الصلاة يستقون مســرة من بئر الآلام المظلم
[هفتون]

أن أسمى محك للأخلاق هو الفشل والاخفاق الظاهرى . عندما تكون أمورنا ناجحة . وخططنا فى طريق النضوج والاثمار ، نكون هادئين ومطمئنين وفى أحسن حال . لكن حقيقة حالنا لا تظهر فى مثل هذه الظروف . أما إذا أنعكس التيار ضدنا ، وحول الناس وجوههم عنا ورفضوا مشورتنا ، ووقفنا موقف الدفاع أمام هجمات الأعداء . عندئذ تتبين حقيقة معدننا .

والآن نرى كيف تصرف صموئيل إزاء فشل ذريع . وأقل ما يمكن أن يقال عنه هنا هو ما قيل عن أيوب فى القديم أنه استمر متمسكا بكماله .

١ - كيف حــدث الفشـــل :

خلال السنوات التى تلت نصرة أفيق المجيدة أقام صموئيل نفسه ليؤسس فى قلوب مواطنيه شيئا من ذلك الايمان العميق بملك الله (١) ، الذى كان محببا جدا عند كل العبرانيين الأتقياء .

كان مقر ادارته ، ومقر اقامته فى الرامة ، التى قضى فيها أيام طفولته السعيدة . ومن هناك قام برحلات مختلفة . وحيثما حل كان يتصرف فقط كممثل لله الملك . لم يكن هو سوى رسول وخادم رب الجنود . بكل قوة أخلاقه ،

---

(١) التى يسميها البعض Theocracy أى حكومة الهية يديرها الكهنة كنواب عن الله .

وفصاحة لسانه ، كان يؤكد للشعب بأنهم هم رعية الله ، الذين يجب عليهم الولاء له وحده ، وطلب الارشاد منه فى وقت الحيرة ، والنجاة فى وقت الحروب .

لم يكونوا فى حاجة الى ملك ، فقد كان الرب هو ملكهم ، ولا ولاة سوى من ينطقون بكلامه ، ولا قوانين أو تشريعات سوى تلك التى وضعها هو . كانت هذه فكرة جميلة رائعة . وحيثما ذهب هنا أو هنالك فى كل أرض اسرائيل كانت تجرى على شفتيه هذه الكلمات ، كنغمة موسيقية رائعة الجمال « تكلم يا رب فان عبدك سامع » .

كانت هذه الفكرة فى ذهنه عندما أسس مدارس الأنبياء . أن تأسيس هذه المعهد العلمى يرجع الى صموئيل الذى رأى أنه خير ما يحتاج اليه عصره . لأن الكهنة كانوا قد خسروا حقهم فى الوقوف بين الرب وشعبه . وعالى وابناه فشلوا كلية فشلا مخزيا فى تحقيق الغرض الذى من أجله أقيمت وظيفتهم ، وفى أحياء الآمال لاعادة الحياة للكهنوت .

كان واضحا أنه يجب ايجاد طائفة دينية أخرى . كانت الأيام تتطلب أشخاصا يتعلمون ناموس الله ، وسكونون قادرين على تفسير كلمة الله للشعب ، ومن بينهم يقوم من وقت لآخر أشخاص يقولون فى النور ما سمعوه فى الظلام ، ويذيعون على السطوح ما همس به الله لهم فى الآذان فى الخفاء.

ازدهرت هذه المدارس فى أيام ايليا واليشع ، وكان بعضها فى نفس المواقع التى أقامها عليها صموئيل (ص ١٠ : ٣ - ٥ ، ١٩ : ٢٣ و ٢٤ ، ٢ مل ٢) .

إذ أسس صموئيل هذه المعاهد كان أمامه قصد واحد . كانت رغبته الملحة أن يرسخ فى عقول مواطنيه فكرته الرائعة عن ملك الله . وكيف كان ممكنا أن يصل إلى هذا إلا عن طريق هؤلاء التلاميذ الشبان الغيورين ؟ ولابد أنه كان أمرا مؤثرا فيهم جدا أن يعيشوا فى صلة كاملة مع هذا الرجل العظيم ، الذى كان اداريا مقتدرا ، كما كان قديسا فى نفس الوقت ، والذى كانوا يوقرونه بسبب سمو أخلاقه ، ويحسون بتأثير مثله العليا .

لقد رأوا كيف كان موقرا فى مدينته من الصغير والكبير (ص ٩ : ١٢ و ١٣) ، وكيف كان سهل الاتصال به لكل من كان فى حاجة إلى مساعدته (ع ٩) ، وكيف كان يصارع فى الصلاة ، وكيف كانت صلواته مقتدرة فى فعلها (ص ٧ : ١٧ ، ٨ : ١٠ و ٢١ و ٢٢) ، ولقد كانوا يحسبونه شرفا عظيما أن يعاشروه .

لكن يبدو أن فشله فى تحقيق غرضه السامى كان يعزى لفشل ابنيه . فان صموئيل عندما شاخ كان غير قادر على إجراء العدل ، والاستمرار فى تقديم المشورة لشعبه فى شئونهم الوطنية والعائلية .

كان عبء ادارة المملكة ، باسم الملك غير المنظور ، قد ثقل عليه جدا ، فأقام ابنيه لمساعدته فى أقصى حدود المملكة من الجنوب . لكن التجربة برهنت على فشل ذريع . « ولم يسلك ابناه فى طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاء » (ص ٨ : ٣) .

هذا عجل بالكارثة . « فاجتمع كل شيوخ اسرائيل » وعقدوا اجتماعا عاما يمثل كل الشعب » ، « وجاءوا إلى صموئيل الى الرامة ، وطلبوا منه أن يتخذ اجراء يضمن به دوام سلطته » . « وقالوا له هوذا أنت قد شخت وابنك لم يسيرا فى طريقك . فالآن أجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب » (ع ٥) .

كان هنالك ما يعزز هذا الطلب من وجهة النظر البشرية . فقد كان الفلسطينيون يدفعون بجيوشهم فى قلب البلاد (ص ١٣ : ٣ و ٥) ، وكان ناحاش العموني جارا خطرا على الحدود الشرقية (ص ١١ : ١) ، وكان هنالك خوف أن يتفرق الشعب مرة أخرى بعد موت صموئيل .

لكن هذا الطلب ، من الناحية الأخرى ، خيب آمال صموئيل . فقد أظهر له أن مثله الأعلى كان أسمى مما يقدره الشعب ويحتفظون به . لم يقدروا أن يؤمنوا بغير المنظور فقط . لهذا أصروا على أن تكون لهم رموز الملكية وعظمتها .

هذا هو فشل قلب الإنسان بصفة عامة . فانه يتوق دائما الى الأمور المحسوسة والمنظورة . وكما فعل بنو اسرائيل إذ صرخوا قديما « اصنع لنا آلهة تسير أمامنا » ، هكذا يطلب الناس ما يقدرون أن يلمسوه ويروه ويسجدون أمامه .

لهذا فان كل عبادة روحية تميل إلى أن تكون مادية . من العسير أن نؤمن بأن الله روح ، وأنه ينبغى أن يعبد بالروح والحق ، ومن اليسير أن ندخل فى هذه المناقشة : هل يعبد الناس فى هذا الجبل أم فى أورشليم ؟ (يو ٤ : ٢٠) .

كتب هذا الفصل فى بلاد تأسست كنيستها فى العصر الرسولى ، كنيسة أثناسيوس وكيرلس ويوحنا ذهبى الفم . كانت هذه الكنيسة منذ أيامها الأولى تعنى بدراسة الكتاب المقدس ، كما كانت الصلوات التى ترفعها تتسم بالروحانية العميقة . أما إذا انقلبت الأوضاع وأصبحت تهتم بشكليات العبادة أكثر من أهتمامها بعمقها ، فترت همتها ، وضعفت رسالتها .

ولمحاربة رغبات كهذه كتبت الرسالة الى العبرانيين ، لكى ترتفع عقولنا وقلوبنا الى حيث ذهب الرب قبلنا ، وتستقر هناك بصفة دائمة . فاننا لم نعط

جبلا ملموسا بل جبلا ثابتا راسخا ، جبل صهيون . ولم نعط مدينة ترتفع مناراتها عالية ، بل مدينة يقينية نسير فى شوارعها كل يوم - أورشليم السماوية . وليس لنا الآن جمهور المصلين الذين يتدافعون بالمناكب عند صعودهم الى هيكل سليمان ، بل زملاؤنا فى العبادة الكثيرون جنود الملائكة ، وأرواح الأبرار المكملين ، كنيسة الأبكار ، الذين يمكننا الاتصال بهم كل ساعة بالصلاة (عب ١٢ : ٢٢ و ٢٣) .

٢ - كيف تقبل صموئيل هذا الفصل :

«فساد الأمر فى عينى صموئيل إذ قالوا أعطنا ملكا يقضى لنا» (ص ٨: ٦) . لم تكن اساءاتهم أنهم رفضوه هو شخصيا ، بل أنهم رفضوا الله ، رفضوه أن يكون ملكا عليهم . لقد فشلوا فى أن يروا هذه الفكرة العظيمة ونزلوا الى مستوى الأمم المحيطة بهم . لقد خاب الأمل الوحيد الذى كان أمامه . وكان واضحا أنه من المستحيل تحقيق حلمه الجميل طالما كان مستحيلا تخيل ظروف أحسن لتحقيقه . ان كان قد فشل فى اسرائيل فلن تقوم له قائمة ، إلا أن قام ملكوت الله الذى لن يزول .

تحت هذه الظروف المريرة لجأ صموئيل الى ميناء الملجأ الوحيد ، الملجأ الوحيد الأمين لكل النفوس المثقلة والقلوب الكسيرة ، لجميع المتعبين والثقيلى الأحمال . « وصلى صموئيل الى الرب » (ع ٦) .

قد يقرأ هذه الكلمات كثيرون ممن خابت آمالهم . قد يقرأها بعض الشابات اللاتى كن يحملن بالمثل الأعلى فى الحياة الزوجية السعيدة المباركة ، لكن أحلامهن ذهبت أدراج الرياح . قد يقرأها بعض الرجال الذين كانوا يرجون أن يتمموا خدمات عظيمة فى حياتهم وأن ينجحوا فى أعمالهم العالمية ، وأن يقودوا المجتمع ، وأن يكون لهم تأثير قوى فى الدولة . قد يقرأها بعض الخدام الذين فى بداية دعوتهم المقدسة كانوا يحملون بالتوفيق العظيم فى خدماتهم ، لكن أحلامهم تبخرت ولم يبق لها أى أثر .

ماذا يفعل كل هؤلاء ؟ الى أين يذهبون ؟ أى ملجأ هناك لكسيرى القلوب ؟

ليست هنالك اجابة لهذه الأسئلة سوى ما فعله صموئيل إذ « صلى الى الرب » . فاذهب اليه وحدثه بكل شئ . بلل قدميه بالدموع . هو يستطيع أن يفهم ، وأن يعطف ، وأن يعصب ويشفى . هنالك بلسان فى جلعاد ، هنالك طبيب شاف . هنالك عون لمن لا عون له ، وتعزية لمن لا تعزية له . عندما تخبر الله بكل شئ تكون قد سرت مسافة طويلة فى الطريق الى السلام . وعندما

لا تقدر أن تتكلم إذ تختنق بالعبرات . فان الآب يرى ، ويعرف ، ويعزى . بمحبته تكون « كإنسان تعزيه أمه » (أش ٦٦ : ١٣) .

عندئذ أجاب الرب خادمه - وهو دائما يجيب . قد يكون الصوت خفيفا ويكاد يكون غير مسموع ، لكنه يتكلم يقينا . قد لا تكون الكلمات متوافقة مع أفكارنا فى بداية الأمر . قد تكون الكلمات مرة فى الفم ، لكن حلوة فى القلب بعكس درج النبى . « لا تهتموا بشئ بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع » (فى ٤ : ٦ و ٧) .

٢ - استجابة الله وتشجيعه :

عندما صرخ صموئيل إلى الرب من جهة ضيقة نفسه الشديدة كان واضحا فى إجابة الله أنه كان ينبغى أن يغض النظر عن مثله الأعلى الذى وضعه نصب عينيه . كانت الفكرة الواضحة التى ينبغى أن ينزل إلى أسفل لكى يكون خاضعا لملك . فقد قال له الله القدير « فالآن اسمع لصوتهم » (ع ٩) .

وفى نفس الوقت خف حزنه جدا إذ أدرك أن الله شريك معه فى الحزن ، وأن حزن قلب الله أشد من حزنه « لأنهم لم يرفضوك أنت بل أيای رفضوا » (ع ٩) . أنه لشرف عظيم للإنسان أن يدعى للدخول فى شركة مع الله فى الحزن الشديد الذى يجلبه البشر لروحه القدوس الرقيق العطوف .

٣ - آلام اللـــه :

يقينا أنه لا يمكن لأى إنسان أن يحسب هذه العبارة متطرفة التى تنسب الآلام لله بسبب رفض الناس له ورفض ملكه عليهم ، وأغاظتهم لروح نعمته . ألم يتألم يسوع عندما لم تقبله خاصتـه (يو ١ : ١١) عندما لم يؤمن به أخـوته (يو ٧ : ٥) ، وعندما رفضت المدينة ، التى أحبها من كل قلبه ، أن يستظل بظل جناحيه (لو ١٣ : ٣٤) ، وعندما تركه تلاميذه المختارون وهربوا ؟ (مت ٢٦ : ٥٦) لقد برهن رفض الناس لذبيحة نفسه على رقة محبته . وهذه المحبة لم يكن ممكنا أن تستمر طويلا فى داخله دون أن تسبب له آلاما شديدة بسبب خطية البشر . قال أحد الكتاب الحديثين « هنالك قول مأثور بأن القسوة والجبن يتمشيان معا . هكذا يتمشى انكار الذات مع الرقة . فهاتان ناحيتان لفكرة واحدة ، لأن الرقة المسيحية هى وليدة الصليب . قبل حياة المسيح وموته كان يبدو كأن ملء العطف البشرى مستحيل » .

والآن ، أن كان صحيحا ، أن كان صليب المسيح قد نفث فى العالم روح الرقة والعطف ، فكم كان قويا هذا العنصر فى طبيعته المقدسة ، وكم كانت آلامه شديدة عندما أخرجه خارجا حراس الكرم وقتلوه ، على أنه لم يكن هو المتألم وحده . فان الآب تألم معه . لأن من رأه فقد رأى الآب . لقد علمنا هو بأن الله لم يكن غير قابل للتألم . فانه قد حن وتألم ، وأحب كالآباء الأرضيين ، لكن بمقياس يليق بلاهوته وصفته غير المحدودة .

يا من حملت كل الأثقال أحمل أثقالنا
أحمل أثقالنا مهما كانت ثقيلة
أحمل آثامنا ، وعارنا ، وشقاءنا
أحمل أثقالنا يا الله الهى لأنك تقدر
اطلبنا فتجدنا لأننا لا نقدر أن نطلبك

لقد قال صموئيل بأن الله تضايق من خطية الشعب وتمردهم (ع ٨) .

٤ - تصرف صموئيل النبيل إزاء الشعب :

كان طلب الشعب ملكا مؤسسا ، بلا ريب ، إلى حد ما ، على ما ورد فى (تث ١٧ : ١٤ و ١٥) (١) الذى يبدو أنه تنبأ عن أزمة كالتى حدثت وقتئذ . وفى تسبحة حنة أيضا كانت هنالك نبوة واضحة عن اليوم الذى فيه « يعطى (الرب) عزا لملكه ويرفع قرن مسيحه » (١ صم ٢ : ١٠) .

لكن هذه الطلبة بدت لصموئيل سابقة لأوانها ، ومنبعثة من عاطفة غير نبيلة ، وبتعجل . فان الشعب صمموا على فكرهم دون محاولة معرفة فكر الله ، وبدلا من استشارة النبى المتقدم فى الأيام أملوا عليه ارادتهم .

تحت هذه الظروف ، وبارشاد الله صراحة ، قدم صموئيل احتجاجه للشيوخ الذين انتدبوا لمقابلته ، واحتجاجه للشعب عن طريق هؤلاء الشيوخ وبين لهم « قضاء الملك الذى يملك عليهم » .

كان مستحيلا أن ملكا طلب بهذه الروح التى ظهر بها الشعب ، يمكن أن يكون رجلا حسب قلب الله ، فقد طلبوا ملكا يماثل الملوك المجاورين فى القامة والقوة الحربية والأعمال الجبارة . كان هذا أعظم فى نظرهم من متانة الأخلاق،

---

(١) « متى أتيت الى الأرض التى يعطيك الرب الهك وامتلكتها وسكنت فيها فان قلت (أنت) أجعل على ملكا كجميع الأمم الذين حولى فانك تجعل عليهم ملكا الذى يختاره الرب الهك » .

والطاعة لله ، والولاء لشريعة موسى . وكما أحبوا هكذا تم لهم . آه ، كثيرا ما أعطانا الله سؤالنا ، لكنه « يرسل هزالا فى أنفسنا » (مز ١٠٦ : ١٥) .

٥ - الاخطار التى رآها صموئيل عن بعد :

كان منتظرا أن تظهر فى ملوك اسرائيل كل مظاهر البذخ والاسراف التى كانت تقترن بها حياة الملوك المجاورين . كان منتظرا أن يسخروا الشبان لصنع السلاح وحمله ، والاشتباك فى الحروب ، وخدمة العرش . « يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرساته فيركضون أمام مراكبه ، ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه » . وكان منتظرا أن يسخروا - بدون أجر - بينهم لتفليح أراضيهم . « يجعل لنفسه رؤساء العوف ورؤساء خماسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده » . ومن بنات وزوجات الشعب يأخذون « عطارات وطباخات وخبازات » وكل ما يؤدى إلى بذخهم . ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده » . وتفرض على محصول الأرض ضرائب ثقيلة ، وعلى الغنم والبهائم (ص ٨ : ١١ - ١٧) .

كل ذلك يحدث والشعب واقفون صامتين ، ينظرون أن أموالهم ، التى حصلوا عليهم بالعناء والتعب ، تبعثر على ملذات الملك وشهواته . ان تجربة وجيزة من هذا النوع كان لابد أن تؤدى إلى صراخ شديد عندما تتنبه الأمة الى غلطتها الشنيعة . لكن لأن الخطوة أتخذت بتعجل كان لابد أن تكون الغلطة عديمة العلاج « فتصرخون فى ذلك اليوم » (ع ١٨) .

لكن أحتجاج صموئيل كان عديم الجدوى . « فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا لا بل يكون علينا ملك» (ع ١٩) . لقد اتكلوا على الإنسان وجعلوا البشر ذراعهم ، وحاد عن الرب قلبهم (أر ١٧ : ٥) . وكانت النتيجة أنهم كانوا سيرون ملكهم يقتل ، وأرضهم تداس ، وثروتهم الوطنية تنهار جدا .

هل يطلب قلبك ملكا ، هل يطلب ما يخضع الشهوات الثائرة المتمردة فى داخلك ؟ أحذر لئلا تختار حسب نظر عينيك أو سماع أذنيك . لا تسمح بأن تتحكم فى الاختيار أهواؤك أو رغباتك . احذر من شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة . ليكن ملكك هو من اختاره الله ، ذاك الذى رفع فوق الجلجثة ، والذى رفعه رئيسا ومخلصا (أع ٥ : ٣١) . هو لا يأخذ منك بل يعطيك . هو لا يفقرك بل يغنيك . ان قضيبه هو القصبة المرضوضة ، واكليله اكليل الشوك .

وعندما رأى صموئيل أن الشعب مصمم على طلباته فض الاجتماع ، معتزما بكل شهامة أن يبذل كل ما فى وسعه من أجل خيرهم . هذا فعله اطاعة للأمر الالهى الذى تمشى مع أفكاره .

كان هذا تصرفا رائعا ، يتفق مع ما قاله أحد المفسرين « أن صموئيل واحد من أبطال التاريخ ، الذين فى الأوقات الحرجة ، وبقوة أخلاقهم وجهودهم المنقطعه النظير ، يخضعون للنظم القديمة القائمة ، أولا ضد ارادتهم ، وفيما بعد - عندما يقتنعون بالحاجة الملحة - يبدأون ، نظما أفضل ، ذات نتائج مباركة ، وسط آلام شخصية كثيرة » .

كان صموئيل فى الأيام الأولى من حياته ، حتى أيام عز قوته ، يسعى لتوطيد أركان المعاهد القائمة . لكنه بدأ يدرك ببطء ، ورغم ارادته ، أنه يجب أن يكف عن بذل مجهودات جديدة فى هذه الناحية ، بل يجب أن يكرس جهوده لتأسيس نظام جديد . ولكى يفعل هذا كان يجب أن يضحى باعتقاداته السابقة ، كان يجب أن يهدم نفس البناء الذى أسسه بتضحيات كثيرة ، كان يجب أن يكون الثانى بعد أن كان هو الأول بلا منازع .

وعندما أدرك أنه لا مفر من هذا صار أقدر منظم للعصر الجديد . قال أحدهم : « أن كانت أعمال داود المنظورة أعظم وأكثر لمعانا من أعمال صموئيل فلاشك فى أن مجد داود كان مستحيلا أن يصل الى ما وصل اليه دون صموئيل الأقل بروزا ، والأعظم تأثيرا . ولهذا فان كل عظمة وأمجاد الجيل التالى كانت ترجع الى صموئيل منشئها الحقيقى .

هنالك أزمات خطيرة فى حياة البعض منا تؤثر فينا فى الصميم . فالأشخاص الذين أحببناهم ، وبذلنا من أجلهم تضحيات كثيرة ، قد تحولوا عنا فجأة . أنهم يطلبون شيئا آخر ، يطلبون المزيد . ونحن ندرك أننا يجب أن نتنازل عن مراكزنا ، وقد نجرب بأن نفعل هذا متذمرين ومتضجرين . فلماذا نفسح الطريق لغيرنا ؟ لماذا نتنازل عن حقوقنا ونرفض أن ندافع عن مطالبنا ؟.

فى أوقات كهذه لنذكر بطولة صموئيل وشهامته . لنعترف بأن إرادة الله تقودنا فى الطريق السليم . لنعتن برعية الله التى أقمنا عليها نظارا أكثر مما نعتنى بأنفسنا . لنوفق أنفسنا حسب النظام الجديد . بل لنمهد له الطريق بكل قدرتنا ، عالمين أن دماء تضحياتنا سوف تكون أفضل ما يدعم أركان عملنا ببركة الله .

١٠

صوت الظروف

(١ صم ٩ و ١٠)

نعم ، أنت تفعل خيرا إذ تقيم
سياجا حول إيمانك الداخلى أقم حصنا
قويا لمقاومة الشكوك التى تهاجمك
كل الوسائل لازمة ، لأن الصراع عنيف

[كولرد ج]

« من كان حكيما يحفظ هذا ويتعقل مراحم الرب » . بهذه الكلمات يلخص المرنم صورة الخمس التى صور بها الحياة البشرية فى (مز ١٠٧) : طريق جماعة المتغربين ، اختبارات السجين وقد فترت همته فى سلاسله ، شفاء المريض من كآبة نفسه التى طال عليها العهد ، نجاة ربان السفينة التى عذبتها العواصف الشديدة والأمواج العنيفة ، بزوغ حديقة غناء وسط برية قاحلة ناشفة . لدى التأمل الدقيق فى هذه كلها يتبين أنها تقدم شهادتها وتأكيدها بأن الله فى كل الحوادث يسمح بكل الأشياء ، ويوجهها ، ويتحكم فيها ، ويسخرها لكى تتمم خطته الكاملة .

فى كل أسفار الكتاب المقدس لا نجد صفحة توضح هذه الحقيقة أكثر عن الاصحاحين موضوع تأملنا ، اللذين يبينان كيف أن الله يعمل بوضوح وبقوة فى ظروف حياتنا .

فى الصباح الباكر جدا من النهار رؤى ثلاثة رجال نازلين على سفح الجبل المقامة عليه مدينة الرامة ، وخارجين من باب المدينة (ص ٩ : ١١ و ١٢ و ١٤ و ٢٦) . كانت الجماعة بارزة جدا ، تضم الرائى ، المتقدم فى الأيام (أى صموئيل) « وشابا حسنا » كان سينتخب ملكا ، وهو لا يدرى ، وراعيا ، هو دواغ كما

يروى التقليد ، الذى لعب فيما بعد دورا أسيفا جدا ، لكنه كان وقتئذ مجرد خادم يلازم ابن سيده .

عندما غادروا باب المدينة طلب من الخادم أن يتقدم الى الأمام قليلا لكى لا يشهد المبايعة الخطيرة ، التى بدأت عصرا جديدا فى حياة شاول . « وفيما هما نازلان بطرف المدينة قال صموئيل لشاول قل للغلام أن يعبر قدامنا . فعبر . أما أنت فقف الآن فأسمعك كلام الله » (ص ٩ : ٢٧) .

١ - الظروف التى ادت إلى هذا الحادث :

١ - ضياع أتن قيس ، أبى شاول . وكان ضياعها أليما جدا . « فقال قيس لشاول ابنه خذ معك واحدا من الغلمان وقم اذهب فتش على الأتن » .

وعندما تركا البيت لم يكونا يدركان الى أى مدى يمتد تفتيشهما . « فعبرا فى جبل أفرايم . ثم عبرا فى أرض شليشة . فلم يجداها . ثم عبرا فى أرض شعليم فلم توجد . ثم عبرا فى أرض بنيامين فلم يجداها » . لقد قضيا ثلاثة أيام فى هذا البحث بدون جدوى . كانا يوقفان كل من يجدانه ويسألانه أسئلة كثيرة ، ويتتبعان كل أثر على الطريق . فذهبت كل مساعيهما أدراج الرياح .

أتن ضالة ؟ وما قيمتها ؟ فلتصل . لكنها تستحق البحث عنها ، ليس من أجل قيمتها فقط ، بل لأن من يفتش عليها كان سوف يرتقى عرش المملكة قريبا . كن أمينا فى القليل ، فيأتمنك الله على الكثير . تمم العمل الذى أمامك من أجل الله ، فيدعوك الى أجل الخدمات . كثيرا ما كان العثور على الكنز المخفى يتوقف على العناية التى نبذلها فى جر المحراث ، أعمال الحياة اليومية المتواضعة .

٢ - وبترتيب العناية الالهية ، التى يدعوها البعض صدفة ، وجد شاول وغلامه نفسيهما فى أرض صوف . وهناك توقف شاول منزعجا لئلا يكون أبوه قلقا عليه ، « تعالى نرجع لئلا يترك أبى الاتن ويهتم بنا » . لقد بينت هذه الملاحظة ناحية طيبة فى أخلاق شاول . فالملاحظ ، بصفة عامة ، أن من يهتم بشعور أقرب الناس اليه يكون جديرا بأن يصلح لقيادة الناس .

ليت كل شبابنا وشاباتنا ، سيما المتغربين عن أوطانهم ، يكونون أكثر أهتماما بعواطف أبائهم وأمهاتهم ، الذين تنطر قلوبهم ، وتنهمر الدموع من عيونهم ، لأن الأنباء لا تصلهم إلا نادرا جدا عن أبنائهم وبناتهم ، لقد خشى شاول من تأثير هذه الأيام الثلاثة على أبيه . وماذا يكون تأثير ثلاثة أسابيع أو ثلاثة شهور ، دون أن تصله أية أنباء ؟ .

٣ - وإذ رتبنا ربع شاقل فضة ، وجد فى قاع جيب الغلام ، لتقديمه هدية للرائى ، صعدا الى المدينة الصغيرة ، التى كانت قائمة على جبل . ان التقاءهما بصموئيل موجود فعلا فى المدينة ، وأنه فى طريقه الى وليمة على المرتفعة ، والتقاء هما بصموئيل نفسه فى الطريق الرئيسى ، والأنباء التى وصلتهما بأن الاتن قد وجدت - كانت هذه كلها اشارات واضحة تدلهما على الطريق الذى ينبغى أن يسلكاه ، الى أن وصلا الى المكان الذى ينتظرهما ، الى المقعد والنصيب اللذين أعدا حسب تعليمات النبى .

كيف كانت يد الله ظاهرة بوضوح فى كل هذه الظروف . لم يكن ممكنا أن تحدث مصادفة . واضح أن كل خطوة اتخذت كان وراء ها عقل مدبر ، لقصد واضح ، هو أن يدفع شاول إلى المكان المعين لكى يقف ويسمع كلام الرب .

وإن كان هذا ما حدث فى تلك الظروف ألا يجب أن نعتقد بأنه هو ما يليق بأن يحدث فى كل الظروف ؟ أن كانت شعرة واحدة لا تسقط من رؤوسنا الى الأرض بدون أذن الله ، ولا عصفورٌ واحد يسقط من الشجرة . فهل يمكن أن نقول عن أى شئ أنه أتفه من أن يدخل ضمن خطة الله ؟ .

وحتى إذا فرضنا أن حوادث كثيرة بتحريض الاشرار،فانها مع ذلك قد سمحت بها ارادة الله أن تصل الينا. ولذلك يحق لنا أن ندرك بأن ارادة الله قد تدخلت فيها لتأديبنا، وللسمو بحياتنا، تماما كتلك التى يتضح أنها مرسلة منه مباشرة.

لقد كان قصد الله يتمشى مع الأعمال التى ارتكبها قاتلو ربنا يسوع المسيح . لم تكن هنالك حادثة واحدة فى تلك الأيام الأليمة غير مرسومة فى خريطة العناية الإلهية . وطالما كان الله هو هو فى كل مكان ، بحيث لا يمكن أن نقول انه كان حاضرا هناك أكثر مما هو حاضر هنا ، أو أنه كان أكثر قوة مما هو الآن ، فيجب أن نعترف بأنه لا يزال يعمل فى كل ظرف من ظروفنا ، كما كان يعمل فى تلك الأيام المروعة التى شهدت فيها الخليقة منظرى جثسيمانى والجلجثة بتأثير واضح .

يجب أن لا ننسى قط الأتن الضالة ، ولقاء شخص معين فى الطريق على غير انتظار ، والعثور أو عدم العثور على تلك العملة فى الجيب - هذه كلها تدخل ضمن الخطة الإلهية ، أن من له العين المفتوحة يستطيع أن يقرأ كتابة الله بخط يده ، ويتخذ الطريق السوى ، كأن الملائكة قد برقت أمامه لترشده الى الطريق الذى يسلكه . والطريق الممهد يؤدى دائما الى المقعد الخالى ،

والنصيب المعد . قد يكون الطريق طويلا ، لكن الآب لن يقود ابنه الواثق فيه المطيع له الى أماكن خطرة ، أو الى قفر ليموت من شدة البرودة . هنالك دائما مرمى يهدف اليه الطريق . واكتشاف ما أعده الله للذين يحبونه يكون فقط من نصيب العين المفتوحة ، والأذن المستعدة ، والقلب المطيع .

٢ - حادث مسح شاول للمرة الاولى :

قضى شاول تلك الليلة فى بيت صموئيل ، على السطح . أعد النبى هناك فراشا لقصد معين كان يحتل كل تفكيره . لأنه عندما كان البيت هادئا صعد خفية الى ذلك الشاب الذى كان يتأمل فى أحداث ذلك اليوم ، « وتكلم مع شاول على السطح » .

اشتاق صموئيل أن يبعث الحماس فى نفس شاول . لعله همس فى أذنه الصاغية محدثا اياه عن آماله ومخاوفه ، عن آماله التى فشلت ، وعن مخاوفه التى بدت على أنها على وشك أن تتحقق . لعله حدثه عن رفض الشعب اياه ، وعن فساد حياة بنيه . ولعله حدثه عن اشتياق قلبه لظهور شخص ما فى ذلك الموقف الحرج ، ليتمم المقاصد الإلهية ، وهكذا بكل مهارة وحكمة أيقظ صموئيل نفس ذلك الشاب النائمة ، الذى كان يعيش فى دائرة ضيقة محدودة ، لا يفكر إلا فى الغنم والبهائم ، فى الكروم والمحصولات ، فى أحاديث عامة الشعب دون أى تفكير فى مصلحة الأمة العامة .

وقبيل الفجر أصعد صموئيل شاول « وكان عند طلوع الفجر أن صموئيل دعا شاول عن السطح قائلا قم فاصرفك » وإذ نزل كلاهما ووصلا إلى طرف المدينة ، أمر الغلام بأن يعبر قدامهما ، وإذ وقف الاثنان معا أخرج صموئيل قنينة الدهن من عبه ، وصب على رأس الشاب المنحنية أمامه ، ومنحه المسحة التى كرس بموجبها ملكا ، « وقبله » ، علامة ولائه واخلاصه ، وقال « أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا » .

كانت هذه ساعة رهيبة فى حياة شاول . ولا عجب أن كان « عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلبا آخر » . لم يقل الكتاب أنه أعطى « قلبا جديدا » ، ذلك لأنه لم يحدث تغيير جوهرى فى حياته الروحية ، وإلا لما كان قد هلك كما حدث له عند جلبوع . لكنه سارت له أهداف جديدة ، وأفكار جديدة عن أهمية الحياة ، وعزم جديد ومقاصد جديدة . الأشياء العتيقة مضت ، وصار الكل جديدا ، الى حد محدود .

فلنلاحظ هذا الفرق . من الممكن أن يصير للمرء قلب آخر ، لا قلب جديد . من الممكن أن تخطر بالبال أفكار أقوى ، ومثل أعلى جديدة ، لكن قد يكون هنالك حجر صخرى يمنع الجذور من أن تمتد . لقد كانت الخدمة سطحية فقط ، وتبخر الندى بسرعة أمام الشمس ، وانقشعت الغيوم التى كانت تبشر بالمطر . فاحرص على أن يكون العمل الذى تعمله للأبدية أكيدا .

٣ - الظروف التالية :

عندما نكون فى الطريق الذى رسمه الله فلنتأكد من أن الظروف الخارجية تتعاون معنا . أن كنا عندما نسافر فى القطار نجد من يسألنا عما إذا كان القطار الذى ركبناه هو الذى يقصده ، فاننا نجد راحة إذ نرجع الى جدول القطارات لنرى أن كانت أسماء المحطات التى نمر عليها هى نفسها الموجودة فى الجدول . هكذا عندما نتساءل - كما يحدث عندما تواجهنا الصعوبات والمشاكل - عما إذا كنا سائرين وفق مشيئة الله ، فإنه مما يشجعنا جدا ويعزينا أن نلتقى بالظروف المؤيدة التى تخبرنا بأننا فى الطريق المستقيم . أليس هذا هو المقصود بهذه الكلمات . « اجعل كل جبالى طريقا » (أش ٤٩ : ١١) .

لم يكن كافيا أن يسمع بطرس صوتا يتحدث الى قلبه ، أو يرى ملاءة مدلاة من السماء . بل كان يجب أن يرى الثلاثة الرجال المرسلين اليه من كرنيليوس . وهم يقرعون الباب ، وواقفون أمامه يسألون عنه (أع ١٠) .

فى كل المواقف الخطيرة يليق بنا أن ننظر الى الظروف المؤيدة . وهذا ما سنتأمل فيه فى الفصل التالى .

+ + +

١١

حسبما تسمح الفرصة

(١ صم ١٠ : ٧ (١))

لا توجد صحراء فى أرض الحياة وحتى تلك المنطقة التى ترى قاحلة إذا تعبت فيها بالإيمان والرجاء تكاثر فيها المحصول السماوى الغنى

[كمبل]

دفعت الظروف صموئيل لكى يقيم شاول ملكا فى السر . كانت ظروف أخرى ، خاصة وجليلة ، تحمل طابع الله ، مزمعة أن تؤيد هذا العمل الخطير . وقد سبق أن رآها النبى الشيخ بوضوح كامل لا يخطئ ، وقد تم كل واحد بدقة تامة . « وأتت جميع هذه الآيات (٢) فى ذلك اليوم » .

١ - أولا « عندما قبر راحيل فى تخم بنيامين » قابل رجلان شاول وقالا له « قد وجدت الأتن التى ذهبت تفتش عليها . وهذا أبوك قد ترك أمر أتن وأهتم لك قائلا ماذا أصنع بابنى » (ص ١٠ : ١ و ٢) .

كان هذا دليلا واضحا جدا على ارادة الله واختياره . كان يشير الى أنه منذ الوقت قد أعفى شاول من الاهتمام بالمزارع والحقول ليكرس نفسه لعمل آخر أسمى وأفضل . فالاتن يمكن أن توجد دون تدخله . إذ يمكن لغيره الاهتمام بها وبأمثالها . أما هو فإن المملكة تنتظره ، وقلوب الناس كانت تتهيأ . ان الربط العائلية ، ومحبة الأب والعائلة لها دائما التزاماتها ، لكنه كان يجب أن يترك لغيره الاهتمام بالممتلكات فى جبعة .

لا تزال هذه العلامة لها قيمة عظيمة جدا لكل من يشعرون بأنهم قد دعوا لتكريس حياتهم بكليتها لخدمة الله . ان كان الأمر يستدعى بقاءهم فى عائلاتهم

---

(١) « وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجدته يدك لأن الله معك » .

(٢) « العلامات » حسب الترجمة الانكليزية .

لاعالة الآباء والأمهات المتقدمين فى السن ، أو الأخوة أو الزوجة أو الأولاد ، فليس لهم الحق فى التنحى عن هذا الواجب المقدس ، وذلك الالتزام المبارك ، الى أن يأمرهم الله بالتفرغ لخدمته . ان الرسالة التى يوجهها الله لأمثالهم هى ذلك الكلام الواضح الذى يبعث به الرسول بولس الى تلاميذ كورنثوس فى وقت عدم استقرار : « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها » . « ما دعى كل واحد فيه أيها الأخوة فليلبث فى ذلك مع الله » . (١ كو ٧ : ٢٠ و ٢٤)

عندما يقدم الله دعوة واضحة، لا لبس فيها ولا خطأ، كتلك التى تقبلها شاول على يدى صموئيل فعلى من يتلقاها أن ينتظر بثقة وصبر حتى يسمح الله للظروف بأن تؤيدها . سوف تأتى الرسالة ، بهذه الصورة أو بغيرها ، دون ابطاء طويل، بأنه «قد وجد الاتن» . سوف يكون أى ظرف من هذا القبيل تأكيدا شديدا بأن صوت الرب يتكلم إلى القلب، وبأن عمود السحاب يشير الينا باتباعه .

٢ – وبعد ذلك تقدم شاول الى الامام ، ممتلئا دهشة وخوفا ، وعند « بلوطة تابور (وهو مكان غير معروف مطلقا) صادفه هناك ثلاثة رجال صاعدون الى الله الى بيت أيل » التى كانت مقدسة بذكرياتها المباركة منذ أيام إبراهيم ويعقوب (ع ٣) .

كان هؤلاء الرجال حاملين ، كما تنبأ صموئيل لشاول ، « ثلاثة جداء وثلاثة أرغفة وزق خمر » كتقدمة لذلك المكان المقدس . فحيوه أولا بالتحية الشرقية التى لا تتغير « سلام لك » ، وقدموا اليه « رغيفى خبز » (ع ٣) ، كأنهم أطاعوا اقتناعا داخليا ، بعثه فيهم الروح القدس ، بأن ذلك الذى التقوا به لم يكن مجرد عابر طريق عادى ، بل شخصا يجب أن يلقى منهم كل ولاء .

يا لها من دروس مستترة وراء هذا التصرف أيضا . ألم يدل على أن الله يلزم الأمة بأن تؤدى الولاء والاحترام للملك الذى اختاره ، وأن ذلك الملك سوف لا يعوزه شئ من ضروريات الحياة ؟ ألم يؤكد له بأنه ينبغى أن لا يقلق من جهة ما يأكل أو يشرب أو يلبس ، إذ طالما كان يطلب أولا ملكوت الله وبره فهذه كلها تزاد له ؟ .

هذا أيضا هو ما يلقاه كل خادم لله يسلك فى طريق الطاعة . ربما يكون قد ترك عملا يدر عليه أرباحا طائلة . ربما يبدو بأنه سوف ينتقل من السفينة الى المياه المضطربة الهائجة . ربما يوجه اليه اللوم ، كما وجه لموسى بلا شك، بأنه يخاطر بنفسه وبمن معه فى برية غير مأهولة لا نبات فيها ولا ماء . لكنه ان كان فقط أمينا لدعوة الله فانه لم يندم ، سوف ينال طعامه وشرابه دون أى ريب ، سوف يتساقط من السماء حيث تظلل السحابة رأسه ، سوف تؤمر

الغربان أولا ، ثم الأرملة ، ثم الملائكة ، لتقديم الطعام له . سوف يعنى الله بجسده فى الحياة ، ويدفنه بيده فى الممات ، كما حدث مع موسى ، أو بيد الأتقياء كما حدث مع استفانوس عندما حمل وسط مناحة عظيمة .

فى احدى المناسبات فى حياة الرب يسوع قدم لتلاميذه درسا خالدا فى هذه الناحية ، فان محصل الجباية تقدم الى بطرس طالبا منه أن يوفى معلمه الدرهمين . ولما عجز عن ايفائهما تقدم الى معلمه بهذا الطلب . ولا شك فى أن بطرس لو كان مستمرا فى تأدية حرفته الأولى كصياد لما وجد مبررا للارتباك ، إذ كان يمكنه ايفاء الطلب من كده . لكنه لم يجد فى جيبه ما ينقذه من هذه الورطة . أما المعلم فقال له « اذهب الى البحر والق سنارة السمكة التى تطلع أولا خذها ، ومتى فتحت فاها تجد استارا فخذه وأعطهم عنى وعنك » (مت ١٦ : ٢٤ - ٢٧) .

كان بطرس قد ترك مهنته التى يعيش منها ، وذلك اطاعة لدعوة مخلصه ، فاعتبر الرب بأنه هو المسئول عن تدبير كل أعوازه التى كان يكسبها من عمله . وقد أدمج الرب نفسه فى الحاجة العامة عندما قال « عنى وعنك » . ان خرجت لاتمام رسالة المسيح ، فانه لن يكون ظالما حتى ينسى .

تأكد بأنه هو الذى يوفى الدرهمين وكل الالتزامات الشرعية الأخرى . «لا تلق برجاءك على غير يقينيه الغنى»،أى الغنى غير الثابت، أو على تقدمات الأغنياء الشحيحة، «بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع » (١تى ٦ : ١٧)

٣- وأخيرا جاء شاول الى «جبعة الله (١) حيث انصاب الفلسطينيين» (ع ٥). ولعل هذه الأنصاب كانت أعمدة أو آثارا، تذكارا للانتصار فى موقعة مشهورة.

وبجوار هذا الموقع تقريبا ، وربما على مقربة من بيته ، صادف شاول جماعة من الشبان متصلين بمدرسة الأنبياء التى أسسها صموئيل . وكانوا « نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعود » (ع ٥) . فحلت عليهم روح النبوة ، وسرت العدوى الى شاول إذ رأهم يتنبأون . لقد حدث تغيير عجيب فى حياته فى فترة تغيبه الوجيزة عن بيته لدرجة أنه انجذب نحو هذه الحركة التى لم يكن قد رآها من قبل ، أى حركة التنبؤ . وبدأت نفسه تستجيب لهذه الحركة الغريبة. امتلأت نفسه أشواقا من نحو الله، وميلا للمؤثرات الروحية، وشعورا بغير المنظور الأبدى . «فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم» (ع ١٠) .

---

(١) « أكمة » حسب ترجمة اليسوعيين وحسب هامش ترجمة بيروت أو جبل الله » حسب الترجمة الانكليزية .

ليس هنالك مبرر لكى تتعجب من هذا ، فليس أمرا شاذا أن نجد أشخاصا يتأثرون وقتيا بمؤثرات روحية قوية ، ويثورون فى حركات تشنجية ، دون أن يتخلصوا نهائيا من طريقة حياتهم السابقة ومن أنانيتهم . من الممكن أن يستنير المرء ويذوق الموهبة السماوية ، ويصير شريك الروح القدس ، ويذوق كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ، ومع ذلك يسقط . وقد تشرب الأرض المطر الآتى عليها مرارا كثيرة ، ومع ذلك تنتج شوكا وحسكا (عب ٦ : ٤ - ٨) والبذار قد تنبت بسرعة حيث لا يوجد عمق أرض ، ومع ذلك تذبل سريعا . وسيمون تأثر جدا بكل ما رأى ولمس أثناء زيارة فيلبس للسامرة ، لكن الرسول بطرس صرح بأنه كان لا يزال « فى مرارة المر ورباط الظلم » (أع ٨ : ٢٣) .

لكن التأثير الذى كان فى شاول وقتياً وسطحيا قد يصبح فى كل واحد منا دائما . قد يملأنا روح الله ، ويدوم فينا ، كما حدث مع من حل عليهم فى الأيام الأولى للكنيسة . بعد أن يحل علينا الروح القدس لأول مرة قد تتكرر عملية الملء كما حدث لأول من تجددوا فى مرتفعات آسيا الصغرى ، وهكذا يصبح الامتلاء مستديما ، كما كان الحال مع استفانوس . أنظر (أع ٤ : ٨ ، ١٣ : ٥٢ ، ٦ : ٥) .

كلما دعانا الله إلى خدمة خاصة أمدنا بمسحة خاصة من الروح القدس . أذكر كيف قال الرب لموسى « أنظر . قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة » .

هذا ما يحدث دواما . فكلما جاءت دعوة وجدت المؤهلات اللازمة للقيام بها . لكن يجب أن نتطلع الى فوق فى انتظارها ، يجب أن نطلبها ونمتلكها ، يجب أن نعتبر بأنها قد أصبحت ملكا لنا ، حتى وأن كنا لا نحس بها ، يجب أن نتخذ الطريق المعين لنا من قبل ، وإذ نطيع فاننا فجأة نحس بالامتك شاكرين . آه ، ليت روح المسيح يملأ بقوة كل خدامه لكى يؤهلوا لمطالب العصر الحاضر ، ولكى يقول الرب عن كل واحد منهم « هوذا عبدى الذى أعضده ..... وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » (أش ٤٢ : ١) .

وهذا التغيير العجيب الذى حدث فى ذلك الفلاح الشاب أده كل من كانوا يعرفونه من قبل . «فقال الواحد لصاحبه أشاول أيضا بين الأنبياء» ؟ لقد أحدث ذلك دهشة كما حدث عندما انضم شاول الطرسوسى الى المسيحيين الذين كان يضطهدهم سابقا، وكما حدث عندما صار يوحنا بنيان ونيوتن خادمين للكلمة.

لكن واحدا من المتقدمين فى السن أدرك السبب . فقد كانت مقابلة شاول لصموئيل بدأت تشيع ، ولهذا قال : ألم يكن مع صموئيل باعث هذه النهضات المباركة السامية ؟ فأى عجب أذن أن كان يشترك معه فى مواهبه ؟ .

وعندما زالت نشوة الفرح والتعجب ، وعاد شاول فامتلك كل حواسه « جاء الى المرتفعة » ، ربما للتأملات والصلاة ، لكى يحرك أهمية الحوادث التى ازدحمت حوله فى الساعات الأخيرة . الى من يذهب يا الله القدوس . فى لحظات الحياة الخطيرة ، إلا إليك ؟ فأنت وحدك العليم بكل شئ .

وقبل أن يعرف صموئيل ضيفه المنذهل الخائف ، أمره بأن يتصرف فى كل ظروف حسبما تسمح الفرصة (ع ٧) . هنالك مجال دواما لتدريب الذهن المقدس . قد تكون العناية الإلهية هى التى رتبت الظروف ، لكننا قد نستخدمها للخير أو للشر ، قد نتخذها كأحجار نطأ عليها الخطوة الأولى ، أو قد نتخذها صخرة عثرة ، قد تأتى الظروف للجميع بالتساوى ، لكن واحدا يتلقى دروسها ويستجيب لها بكيفية تختلف عن صديقه أو جاره . فى بعض الحالات تنتج الشمس والمطر زهورا وحنطة ، وفى غيرها تنتج شوكا وحسكا . أن الارشاد الالهى فى حياتنا لا يحول دون ضرورة تدريب ذكائنا الذى يتطلع الى الأمام والى الوراء ، والى فوق ، لكى نتأكد من ارادة الله .

هنالك دائما فى نظام الحياة حاجة ملحة لتدريب قوة تمييزنا التى من خلالها قد يضئ نور الله كأنه من زجاج شفاف . نحن لسنا بهائم عجمى تساق ، ولم نخلق لنواجه القضاء والقدر أو الصدفة . ولسنا آلات تحرك ذاتها . طالما كنا نطلب الأرشاد فإنه يعطى الينا مجانا . لكن عندما يعطى يجب أن نستخدمه ، وهو عديم الجدوى إلا إذا استخدمناه . « والذين ينالون فيض النعمة وعطية البر هم الذين يملكون فى الحياة » (رو ٥ : ١٧) .

فى تلك الليلة الخالدة التى خلص فيها ملاك الله بطرس من سجنه ، يقول لنا الكتاب المقدس ان الملاك رافقه « زقاقا واحدا وللوقت فارقه » (أع ١٢ : ١٠) وبعدئذ « جاء بطرس وهو منتبه الى بيت مريم » .

طالما كان فى حالة ذهول ، وشبه نائم ، كان ضروريا أن يقوده الملاك . لكنه حالما أنتعش تركه لكى يتصرف بما يرشده اليه عقله المستنير .

قال ربنا « من يغلب أعطيه حصاة بيضاء » (رؤ ٢ : ١٧) هى يقينا الأوريم والتميم . وتعرف بها ارادة الله . ليت الرب يمنحنا هذا الامتياز المبارك أن نتقبل من يده هذه الحصاة ، لكى نستطيع أن نردد قول الرب « دينونتى (١) عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يو ٥ : ٣٠) .

+ + +

(١) « حكمى » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

١٢

صراع داخلى وصراع خارجى

(١ صم ١١)

ماذا يحدث أن كان الله قد أمر بأن أجوب أولا بالضيقات والأتعاب والإهانات والتعيير والاحتقار والظلم وأنا فى حالة وضيعة وكل شئ ضدى

[ملتون]

تسجل لنا الآية الحادية عشرة انتصارا عظيما تم على يد شاول . وكان هذا أول عمل عام فى ملكه ، وقد تم بعد شهر من تنصيبه ملكا . فبرر فى الحال اختياره ، وأسكت صوت رافضيه . ولقد برز كبطل وكملك أمام أعين شعبه ، وأمام الأمم المحيطة بهم .

لكن ، فى هذا الاصحاح ، تبدو للعيون التى تتطلع الى أعمق من السطح ، حرب أخرى ، كانت هناك الحرب الخارجية التى قام بها شاول من أجل وكانت هنالك الحرب الداخلية السابقة التى قام بها من أجل نفسه ضد نفسه . ولأنه انتصر فى الحرب الأخيرة ، التى لم تكن لها علامات للعين المجردة ، فقد سلك باستقامة فى الحرب مع ناحاش ، وانتصر .

هذا ما يحدث دواما . فإنه بجوار الحرب توجد حرب أخرى . بجوار الحرب التى يشهرها الناس ضد الخطية وظلمة العالم توجد دائما حرب داخلية يجب أن يشهروها ضد أنفسهم ومن أجل أنفسهم . قال أحدهم : أن كانت قد تعرف بهوارد Howard مبشر السجون العظيم ، أو عرفت كلاركسون Clarkson محرر العبيد ، لو كان قد سمح لك بقراءة أسرار قلب جاريسون Garrison الأمريكى العظيم ، محب خير البشر ، لكنت قد عرفت أن كل واحد كان متعبا ، بل مجهدا ، بسبب الحرب الداخلية ، وأغلق باب قلبه عن الحرب

الخارجية ، لكى يحول تفكيره الى نفسه ، ولكنت قد سمعت جندى المسيح يقول لنفسه : « كان من الميسور لى أن أنتصر ، وأكسب الحرب الداخلية بصفة دائمة ، لو كنت فقط قد وجدت أرضا ثابتة أقف عليها ، بدلا من هذه الرمال التى لطبيعتى المتذبذبة وطباعى غير الثابتة » . وربما تكون قد سمعت أولئك الجنود العظماء يقولون : « كان خيرا لنا أن نكف عن الصراع الخارجى لكى نوجه كل اهتمامنا للصراع الداخلى » .

ومع ذلك فإنه خير لنا أجمعين أن يسير هذان الحربان جنبا إلى جنب - لأنه إذا كان الإنسان يحارب فقط ضد شر العالم ، دون أن يعرف شيئا عن الصراع الداخلى ، فقد يصبح متكبرا ، ويتوهم أنه ترفع عن الخطية العامة والتجربة العامة . ومن الناحية الأخرى أن كنا فقط نحصر مجهودنا فى الصراع الداخلى أعتلالا ، وتركيزا فى أنفسنا ، وكآبة ، وغما ، وانقباضا .

فليتمش هذان الحربان معا . ولتكن الانتصارات التى نحرزها من أجل الله فى الصراع الخارجى متوازنة مع شعورنا المخيف بالفشل الذى نحمله كلنا فى اختباراتنا الداخلية . ليسير هذان جنبا إلى جنب ، وليدرك كل إنسان أنه إذا انتصر فى الداخل انتصر فى الخارج ، وإذا فشل فى الداخل فشل فى الخارج . سيكون انتصارنا فى الخارج بنسبة انتصارنا فى الداخل ، كما كان انتصار شاول على العمونيين بنسبة انتصاره على قلبه .

فى هذا الأصحاح نرى فكرتين رائعتين : (الأولى) صراع شاول الداخلى وانتصاره ، **(الثانية)** صراع شاول الخارجى وانتصاره .

١ - صراع شاول الداخلى وانتصاره :

١ - لقد حارب تجربة الكبرياء المخادعة . إذ أراد صموئيل أن يؤسس المملكة الجديدة دعا الى اجتماع عام كبير فى المصفاة حيث سبق أن تمت فيها فى الأيام السابقة هزيمة شنيعة ونصرة عظيمة . اجتمعت هناك جماهير كثيرة من الأسرائيليين ، وشرعوا ينتخبون ملكهم بالالتجاء الى الله عن طريق القرعة . وبعد الصلاة تمت عملية القرعة ، وترك أمرها لله . فأخذ أولا سبط بنيامين ، ثم عشيرة مطرى ، ثم بيت قيس ، وأخيرا أصابت القرعة شاول بن قيس . « ففتشوا عليه فلم يوجد » . كان قد عرف من حديثه السابق مع صموئيل أنه هو الملك المختار من الله . وأنه قد مسح بالزيت المقدس ، وأن منظره منظر ملكى . إذ « كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق » .

لو كان قد أتيح لأى إنسان أن يتقدم إلى الأمام ، ويسمح لنفسه بأن يتغلب عليه الطمع ، لكانت تلك هى اللحظة المناسبة لكى يبرز شاول الى الأمام ويقدم نفسه لشعبه كمستحق للعرش دون أى منازع . ومع ذلك فانه هو شخصيا لم يوجد إذ فتشوا عليه . بحثوا عنه فى كل مكان بدون جدوى . وإذ بحثوا مرة أخرى ولجأوا للأوريم والتميم لطلب الأرشاد علموا أنه « قد اختبأ بين الأمتعة » (ص ١٠ : ٢٢) .

كان هذا التوضيح جميلا جدا . وان أعجابنا بالنواحى الطبيعية فى صفات شاول يزيد عظمة تواضعه وعدم ميله لأن يكون فضوليا متطفلا . هذا يذكرنا باثناسيوس الذى ترك مدينة الاسكندرية لكى لا يختار أسقفا وبامبروسيوس الذى حاول أكثر من مرة أن يتجنب المسئولية التى وضعت فى ميلان . ويذكرنا أيضا بيوحنا لفنجستون الذى عندما أختير ليعظ عظته المشهورة سافر فى الحال فى اتجاه آخر ، وبعد ساعات ، عندما أرشده روح الله . عاد ليحمل مسئوليته المباركة .

ان الذين يطلبون لأنفسهم المراكز الرفيعة ، بباعث من روح الكبرياء ، والافتخار بأنفسهم ، يفشلون . أما الذين يتضعون ، ويعتقدون أن غيرهم أفضل منهم ، الذين لا يميلون الى حب الظهور ، فان الله يرفعهم .

٢ - وكانت هنالك تجربة قوية هاجمته ، هى شهوة الانتقام لنفسه . وسط الهتافات التى ارتفعت عند تنصيبه ملكا ، قائلة « ليحيا الملك » ، كانت هنالك أصوات تذمر من بنى بليعال ، الذين قالوا « كيف يخلصنا هذا » . (ص ١٠: ٢٧) ان صوتا واحدا من هذه الأصوات يكفى لافساد كل أصوات الاستحسان والمديح التى قد يهتف بها الجماهير أمامنا . أى إنسان يقوم بخدمة عامة لم يحس بأن أصوات الهتاف والمديح قد أفسدتها كلمة انتقاد واحدة ، أو كلمة حقد وضغينة ، فان نقطة خل واحدة تفسد شرابا كثيرا ؟ .

لابد أن تكون هذه الأصوات قد كسرت قلب شاول . لابد أن يكون سم الأفعى قد وصل الى قلبه . لكنه انتصر على شهوة الانتقام ، ووطئها بقدميه . ثم أنه لم يكن جبانا ، لأننا نقرأ فى الاصحاح موضوع تأملنا (ص ١١) أنه عندما سمع صراخ أهل يابش جلعاد « حمى غضبه جدا » (ع ٦) . كان ممكنا له أن يشعل نار غضبه ضد أية اساءة ، لكنه فى هذه الحالة كبح جماح غيظه ، « كان كأصم » (ص ١٠ : ٢٧) .

« كان أصم » . يالها من كلمة رائعة الجمال . ادعى أنه لا يسمع . لقد سمع فعلا ، وكانت كل كلمة تنزل الى قلبه فتجرحه . لكنه تلقاها كأنه أصم . أنها لقوة عظيمة أن يتصرف المرء كأنه أصم إزاء الشتائم ، والانتقادات . والكلمات الجارحة ، وينظر اليها كأنه لم ينطق بها ، متحولا من الإنسان الى الله ، تاركا لله أن يظهر حقه ، واثقا أن الله - آجلا أو عاجلا - لابد أن يعطيه فرصة ، كما أعطى شاول ، لاظهار قدرته الحقيقية وطباع نفسه .

لو كان شاول قد أصغى إلى هؤلاء الرجال ، ووضع كلامهم فى قلبه ، ربما يكون قد أنزلق إلى موقف كئيب مربك ، لأنه من الناحية الأخرى إذا ما تغاضى عن اساءتهم عرض نفسه لتهمة الجبن ، أما إذا انتبه اليها فربما يكون قد تصرف بعنف معهم ، وبهذا يبعد عنه عددا كبيرا من شعبه . ولهذا فلم يكن ممكنا أن يتصرف بطريقة أفضل من أن يقف أمامهم كأصم . وأن يتغلب على روح الانتقام لنفسه بروح كبح جماح نفسه .

٣ - كانت هنالك تجربة أخرى لابد أن تكون قد ضغطت على نفسه . هى حب الظهور . عندما انفض الاجتماع عادة من المصفاة الى جبعة . لقد سبق أن أعلن له صموئيل أنه صار ملكا ، وقبله علامة على ولائه له . لقد أعطيت علامات كثيرة على أنه هو مختار الله لاسرائيل . لقد وقف ، بين هتاف الشعب كملك الأرض المعترف به . ولقد رافقه الى بيته جماعة من الشبان « مس الله قلبها » ، ملتهبة قلوبهم بالتحمس لملكهم ، وهم يهتفون هتاف الفرح . كان يدرك بأنه قادر على أن يسترد حوله شهامة وقوة أرض آبائه .

ومع ذلك فانه عندما عاد الى جبعة أظهر منتهى النبل اذ رجع الى حياته الريفية رغم كل تجربة نحو حب الظهور والبذخ . فقد أمسك بالمحراث ثانية ، وسار وراء البقر شهرا من الزمان ، وهو يتأمل فى الفرصة العجيبة التى التقى بها ، ومتسائلا عن الوقت الذى يسمح الله له به ليفتح له الباب فيتقدم لاعتلاء العرش الذى أصبح من حقه فعلا .

كانت هذه عناصر نفس عظيمة حقا . نحن لا ننسى موقعة جلبوع (١) . ولا جنوبه الشاذ الذى لوت سمعته فيما بعد ، ولا شروعه أكثر من مرة ومن مرتين فى تصويب رمحه نحو داود ، ولا تحوله الى الكآبة والحزن وحدة الطبع، ولا كيف أنه كان يحمل قلبا يميل إلى سفك الدماء ، ومات منتحرا . أما فى

---

(١) التى خر صريعا فيها .

هذا الوقت ، على الأقل ، فقد ظل متواضعا ، وتغلب على شهوة الانتقام ، تاركا لله أن يظهر حقه ، وتغلب على شهوة حب الظهور التى تجربنا كلنا ، عاكفا على اتمام عمله اليومى ، ومنتظرا حتى يدعوه الله ليمسك دفة سفينة الدولة . ونحن لا يسعنا إلا أن نعجب بهذا جدا .

وأنت أيضا قد تشعر بأن فيك صفات طبيعية محبوبة كثيرة . لكن ان لم يستلم الروح القدس فضائل نفسك الطبيعية ليقويها فانها لا تقدر ان تقاوم صراع العالم المخيف . أحرص على أن يعمل الرب يسوع المسيح بقوة فى صفات طبيعتك المحبوبة ، ويعمل بها ، لكى يحل ابن الله فيك بصفة دائمة .

٢ - الصراع الخارجى :

فى مساء أحد الأيام ، إذ رجع شاول من الحقل سمع صوت بكاء أليم . وإذ أقترب من جبعة سأل عن البعث لهذا البكاء « ما بال الشعب يبكون » ؟ عندئذ سمع أن العمونيين شددوا الضغط على مدينة يابيش ، فى أرض جلعاد ، عبر الأردن وكان العمونيون قد هزموا شر هزيمة أمام يفتاح منذ مائة سنة ، لكنهم لم يكفوا قط عن المطالبة بالبلاد .

اجتمع عدد وفير جدا من العمونيين تحت قيادة ناحاش الملك ، وحاصروا مدينة يابيش جلعاد . بذل أهل المدينة أقصى جهدهم ليفكوا الحصار ، لكن دون جدوى. أعطاهم ناحاش المتغطرس مهلة سبعة أيام ، فان لم يأت الخلاص بعدها قور ناحاش كل عين يمنى لهم، الأمر الذى يجعلهم بلا شك غير صالحين للحرب لأن العين اليسرى كانت دائما يغطيها الترس الذى يلبسه الجندى .

وفى يأس « جاء الرسل إلى جبعة ، بنيامين ، لأن يابيش جلعاد فى أيام القضاة رفضت الاشتراك فى الحرب التى أشهرت ضد سبط بنيامين لابادته ، وأعطت أربعمائه من بناتها ليتزوجن بأبناء بنيامين . لذلك كانت هنالك رابطة قرابة بين شعب يابيش جلعاد وشعب جبعة . وفى تلك الساعة الحرجة أحسوا بأن لهم الحق أن يطلبوا النجدة . وان لم يقدموا هم النجدة فمن ذا الذى يقدمها ؟ .

لكن شعب جبعة تملكهم اليأس فقد بدا لهم أنه من المستحيل تقديم النجدة اليهم فى تلك الفترة الوجيزة . كان شاول يعيش فى وسطهم ، لكنهم لم يأملوا أنه يستطيع اغاثتهم . وكاد اليوم ينتهى وهم فى يأس قاتل .

وفجأة أحسن الرجل الذى انتصر على نفسه بقوة جديدة حلت فى قلبه . ونحن نقرأ هذه العبارة الجميلة « فحل روح الله على شاول (١) وبعد قليل نقرأ هذه العبارة » فوقع رعب الرب على الشعب » (ع ٧) ، ثم نقرأ « صنع الرب خلاصا فى اسرائيل » (ع ١٣) .

ان كنت مخلصا فى الحرب الداخلية . ان كنت بنعمة الله تطأ على الخطايا المحيطة بك بسهولة ، فسوف يأتى اليوم أيضا فى حياتك عندما يحل روح الله بقوة مكتسحة ، ويعينك على اتمام ما كنت تراه قبلا مستحيلا ، وإذ يعمل فيك فانه يعمل أيضا فى الشعب وفى العدو .

وللحال « أخذ شاول فدان بقو وقطعه » (ع ٧) ، ووزع القطع على « كل تخوم اسرائيل » . يقول سر والتر سكوت Sir Walter Scott ان زعماء الأرض الجبلية فى اسكتلندا قديما كانوا يستدعون القبائل للحرب بطريقة مماثلة .

وللوقت لبى كل شعب أرض اسرائيل دعوة الملك . كانوا فى بداية الأمر مجموعة من عامة الشعب غير مدربين على الحرب . لكن شاول ، بقوة الله ، نظم صفوفهم ، وقسمهم الى ثلاث فرق ليهجموا على العمونيين فى الصباح ، بعد ذلك أرسلت رسالة لأهل يابيش جلعاد تقول « غدا عندما تحمى الشمس يكن لكم خلاص . فأتى الرسل وأخبروا أهل يابيش ففرحوا » (ع ٩) .

وعندما بزغ نور الصباح فوق جبال وأودية جلعاد هجم جيش شاول ، من ثلاث نواح مختلفة ، على جيش العدو النائم . فاستيقظوا فزعين ، ونهضوا على أقدامهم ، وإذ كانوا لا يزالون يغالبهم النوم عجزوا عن مقاومة رجال اسرائيل . وكانت الهزيمة كاملة ، إذ أن بنى اسرائيل « ضربوا العمونيين حتى حمى النهار (حتى الظهر) . والذين بقوا تشتتوا حتى لم يبق منهم اثنان معا » (ع ١١) . كانت هذه نصرة عجيبة ، وبداية سعيدة لحكم جديد .

ألا ترغب فى نصرة كهذه على خطية العالم ؟ أن كنت تريد فينبغى أن تنتصر على نفسك أولا . منطق ذاتك لتجاهد « جهاد الإيمان الحسن » (١ تى ٦ : ١٢) . لنذكر بأن هنالك دوائر متعددة لذلك الصراع .

(**أولا**) هنالك أولا بطبيعة الحال الدائرة الخارجية . دائرة الظروف ، ينبغى أن يبدأ المرء بهذه . هذه حق . أنها لحكمه عظيمة أن تمتنع عن أى عمل يكون

---

(١) (ص ١١ : ٦) « فحل روح الله بقوة » حسب الترجمة الانكليزية .

مصدرا مستمرا للتجربة . أن تنتقل من البيت الذى يعيش فيه أناس أشرار ، أن تتجنب تلك الكتب أو الصحف أو الرياضة التى تعثرك بصفة مستمرة ، أن تنسحب من صداقة أو معاشرة أولئك الذين كانوا لعنة على حياتك هذا أول ما يجب أن تعمله . كن على حذر من ظروفك . لا تلمس ، ولا تذق » ولا تمسك ما يعثرك . اخرج واعتزل . بأية تضحية نج نفسك من ظروف الحياة التى تجربك بأن تخطئ .

(**ثانيا**) وهنالك الدائرة الداخلية ، دائرة العادات . ان كانت ظروفنا تشبه ملابسنا ، فان عاداتنا تشبه جلدنا ، وينبغى على كل إنسان أن يجاهد جهاده الوحيد ضد عاداته : قد تكون عادة شرب المسكرات هى المتحكمة ، أو التدخين ، أو النجاسة . لا يمكن أن تحطم القيود التى ربطتك إلا قوة الله ، هذا هو نوع الصراع الثانى فى حياة الإنسان .

(**ثالثا**) وهنالك حرب ضد الوراثة . ربما كان والدك عاطفيا ، ونقل إليك – ربما من أجدادك – عواطف حادة عنيفة ، ربما كانت والدتك مغرورة بنفسها ، أو متكبرة ، أو حادة الطبع ، ونقلت إليه بعضا من صفاتها وطباعها فأصبحت غير قادر على أن تلتزم الهدوء ، وتكبح جماح غضبك . وتتصرف كأنك أصم . كل واحد منا يجب أن يواجه فى حياته بعض الميول الطبيعية التى ورثها ، وهذه تجعل الحرب أشد عنفا . أكتب قائمة لها ، فكر فيها ، اعرفها وعندئذ ، باسم الله ، ضع قبر المسيح بينك وبينها ، وواجهها فقط بمن مات من أجلك مت عنها كلها ، مت عن أدم الأول ، مت عن نفسك لأنك قمت لآدم الثانى . بهذا تقطع ربط العادات الموروثة وتنال الميراث الأبدى .

وبعد أن تقول وتفعل كل هذا ، بعد أن تنظم ظروفك الخارجية عندما تحطم بنعمة الله قيود العادات ، عندما تموت عن العادات الموروثة ، عندئذ تواجه القلعة الداخلية ، قلعة الذات . هنالك أشياء يجب أن لا تفعلها ، تجارب ينبغى أن لا تستسلم لها ، الذات التى يجب أن تصلبها .

آه ، ينبغى أن نحارب حروبنا ، وننتصر بقوة المسيح الذى أحبنا . وبعد الانتصار فى حربنا الداخلية تأتى الحرب مع العمونيين . وعندئذ « لا يبقى منهم أثنان معا » . فجاهد جهاد الإيمان الحسن ، أمسك بالحياة التى تستحق أن يسمى حياة .

+ + +

١٣

لن نصير متروكين قط
(١ صم ١٢ : ٢٢ (١))

من أجل مجد هذه الليلة و آلامها أسبح أسمك وأشكرك أيها المسيح أنك لم تخذلنى ولم تتركنى أثناء هذه الساعات الأليمة بل وهبتنى نصرة لا تقدر بثمن والآن إذ اشتركت فى آلامك فانك قد دعوتنى واخترتنى وقدستنى من أجل هذا العالم

[م . هاملتون كنج]

إذ كانت كل البلاد قد وصلت اليها أنباء بطولة شاول فى أنقاذ يابيش جلعاد بدا لصموئيل ان هذه ساعة مناسبة لتأييد المملكة فى يده ومن أجل هذا جمع الأمة إلى اجتماع عظيم فى الجلجال .

وفى ذلك المكان حل بنو اسرائيل فى الليلة الأولى بعد عبور نهر الأردن ، وكانت لا تزال قائمة الأثنا عشر حجرا التى ترمز لعبور نهر الأردن . هناك أيضا تم ختان بنى اسرائيل لتطهير الشعب من خطية أعمال هذه الفريضة فى البرية . وهنالك أيضا مارسوا أول فصح فى أرض الموعد . وسط هذه التذكارات المخيفة وذكريات الماضى اجتمع الشعب من الأماكن البعيدة والقريبة ليتوجوا شاول ملكا . لقد سبق أن نودى به ملكا فى المصفاة ، وكان يجب أن يتوج فى الجلجال. كان ذلك مبايعة له بالملك ، وتأييدا من كل الشعب.

وبعد هذا الاحتفال العظيم «ذبحوا هناك ذبائح سلامة أمام الرب، وفرح هناك شاول وجميع رجال اسرائيل جدا » (١ صم١١: ١٥) وكانت هذه هى اللحظة التى اختارها صموئيل ليتنازل عن وظيفته كقاض، وكان هو آخر القضاة، وأول الأنبياء.

---

(١) « لأنه لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم » .

١- تنـازل صموئيـل :

يجب أن تكون هنالك نهاية لأطول وأنجح خدمه . قال كاتب سفر يشوع بن سيراخ مشيرا الى هذه الحادثة فى تاريخ حياة صموئيل «قبل أن ينام صموئيل نومه الطويل دافع عن براءته أمام الله وأمام الشعب».(يشوع بن سيراخ ٤٦:١٩) .

نعم ، سوف يأتى النوم الطويل للجميع ، وطوبى للذين ، قبل أن يميلوا رؤوسهم للنوم الطويل ، وقبل أن تدخل أرواحهم لتنال الجزاء الأخير ، يستطيعون أن يبسطوا أيديهم ويكشفوا قلوبهم أمام كل من عرفوهم جيدا ، ويقولوا « هذه على الأقل طاهرة » .

هذا ما استطاع صموئيل عمله بنعمة الله . فانه إذ وقف أمام كل رجال اسرائيل كاشفا رأسه ، ومشيرا الى شعره الأبيض ، قال « أما أنا فقد شخت وشبت .... وأنا قد سرت أمامكم (كما يسير الراعى أمام خرافه) منذ صباى الى هذا اليوم » (ص ١٢ : ٢) . لقد كانت حياته بلا لوم . ومن أجل نفسه ، ومن أجل الله الذى كان يمثله ، اشتاق الحصول على اعتراف من الشعب بنقاء سيرته من كل لوم . ومن أجل ذلك قدم هذا الدفاع « هأنذا فأشهدوا على قدام الرب وقدام مسيحه. ثور من أخذت وحمار من أخذت ومن ظلمت ومن سحقت ومن يد من أخذت فدية (رشوة) لأغضى عينى عنه». فصاح كل الشعب بصوت واحد وقالوا « لم تظلمنا ولا سحقتنا ولا أخذت من يد أحد شيئا » (ع ٣ و ٤) .

لكن ذلك الرجل الشيخ لم يكتف بهذا، بل أراد أن يربط الشعب بقسم قوى، على أساس أنهم قـدام الله وقدام الملك . ولهذا قال وهو رافـع يده الى السماء « شاهد الرب عليكم وشاهد مسيحه اليوم هذا أنكم لم تجدوا بيدى شيئا » ، وأن كلامكم حق . وعندئذ أجاب كل الشعب بفم واحد وقالوا « شاهده » (ع ٥).

فتعزى صموئيل وأضاف قائلا « نعم الله شاهد ، الله نفسه الذى أقام موسى وهرون وأصعد أباءكم من أرض مصر » (ع ٦) .

آه . ليت كل قادتنا اليوم كانوا أطهار الأيدى وأنقياء القلوب كما كان صموئيل . ليته يتبين عندما تقرأ سجلات أعمالهم أمام كرسى الدينونة ، أن أصحاب المراكز الرفيعة لم يستغلوا مراكزهم من أجل ازدياد ثروتهم ، ولم يعملوا من أجل منفعتهم الشخصية ، بل كانوا طاهرى الأيدى وأنقياء القلوب . سعيدة هى الأمة التى يكون قادتها خالين من كل اشتراك فى جريمة الرشوة ومن اقتناء ثروة على حساب ضيق شعبهم .

٢- وأشـار إلى خطيـة شعبـه :

كانت هذه فرصة عظيمة ليبين لهم أين كانت غلطتهم . والشخص ذو اليد الطاهرة له الحق فى أن ينتقد أخطاء الآخرين باخلاص . احرص على أن تكون عينك بسيطة ، وأن تكون قد أقتلعت الخشبة منها قبل أن تشرع فى أن تخرج القذى من عين أخيك . لقد بين صموئيل لذلك الجمهور العظيم من الشعب أخطاءهم فى نواح مختلفة ، وتجاسر على أن يعلن جرائم أمته ، لكى يروها كما هى .

(**اولا**) لقد بين لهم الفرق بين طريقة تصرفاتهم السابقة وطريقتهم الأخيرة . لقد نقل أفكارهم إلى مصر ، وبناء على هذا قال : عندما كان أباؤكم مستعبدين للمصريين ، وتحت ضغط وظلم فرعون ، صرختم الى الرب فتحنن وصنع لكم خلاصا . وفى أيام القضاة ، عندما حل بكم الضيق أولا على يد سيسرا ، ثم على يد الفلسطينيين ، ثم شعب موآب ، صرختم الى الله طالبين الخلاص ، فجاء الخلاص .

أما الآن ، فاذ هجم عليكم ناحاش ملك العمونيين ، فانكم ، بدلا من عقد اجتماع عظيم للصلاة ، أصريتم على أن أعين لكم ملكا . فلماذا حل بكم هذا الفساد ؟ لماذا أهملتم الصلاة الآن بعد أن كانت هى ملجأكم الطبيعى منذ ثلاثمائة سنة ؟ أليس سبب انحرافكم عن موقفكم السابق هو لأنكم توقفتم عن الصلاة ؟ وهذه خطية شنيعة .

ألا يجب أن نحرص دواما على أن ننتظر الله حتى يعين لنا مخلصا بدلا من أن نقول بغطرسة سوف نعمل هذا أو ذلك ؟

(**ثانيا**) وفى تصرفه مع الشعب نظر الى التاريخ الماضى نظرة جديدة . هم من جانبهم أشاروا الى النكبات المتوالية التى حلت ببلادهم : كيف أن العمونيين ، والفلسطينين ، والموابيين ، وسيسرا ، وأمماً أخرى محيطة بهم . ضايقوهم ، وأخضعوهم لسلطانهم . فاتخذوا من ذلك حجة لضرورة اقامة ملك لهم ليخلصهم من مثل هذه الضيقات .

أما صموئيل ، فانه بطبيعة الحال ، أعترف بالنكبات المتوالية التى حلت بشعبه . لكنه لم ينظر اليها كما نظروا هم . بل قال : أنتم تطلبون ملكا لكى يضع حدا لمثل هذه النكبات . لكننى أقول لكم ، سواء أقمتم ملكا أو لا أن نسيتم الله كما سبق أن نسيتموه ، وان رجعتم الى البعليم وعشتاروث كما سبق أن رجعتم اليها ، فلن يخلصكم من مثل هذه النكبات ملككم ، أو أية طريقة أخرى من الحكم تخترعونها .

وبتعبير آخر بين لهم أن سبب كل المتاعب التى حلت بهم لم يكن وجود أو عدم وجود ملك ، بل ابتعادهم عن الله .

(**ثالثا**) وبين لهم أن الله لم يتأخر قط عن أن يرسل اليهم مخلصا عندما كانت تدعو اليه الحاجة . إذ قال لهم . تأملوا فى تاريخكم الماضى . فقد أقام لكم من يغيثكم فى وقت الشدة من غير الملوك تأملوا ألم يقم لكم موسى وهرون ؟ ألم يقم لكم يفتاح ، وباراق ، وجدعون ، وشخصى ؟ أنظروا كيف أن الله فى الساعة المظلمة ، واستجابة للصلاة ، كان دواما يرسل اليكم الشخص الذى تحتاجونه . ألم يكن خليقاً بكم أن تثقوا فيه ، وبدلا من الالحاح فى طلب ملك كان يليق بكم أن تنتظروه لكى يخلصكم كما فعل فى الماضى ؟

(**اخيرا**) قال : يا مواطنى لقد فسدتم جدا ، لقد تلاشى ايمانكم . لقد طلبتم ملكا منظورا ، ولكنكم نسيتم الرب غير المنظور . لقد عظمتم الذراع البشرى ، لكنكم نسيتم قوة القدير . لقد كنتم تتمسكون مفكرة عهد الملكية ، مع أن الله كان هو ملككم ، ورأسكم الحقيقى ، وقائدكم ، وحامى أمتكم . كان يجب أن تعتمدوا عليه وحده .

السنا معرضين كلنا لنفس عدم الإيمان هذا ، فنحن نتطلع الى المنظور ، وننسى غير المنظور. الجو مشحون بالقلق،والضجيج ، والمشاحنات ،مع أن المسيح منتظر دائما لينير سرج المنارات الذهبية ، ويمسك الكواكب بيمينه . كانت شجاعة، وشهامة ، ونبلا، وحقا ، أن يبين صموئيل لشعبه كيف أنهم انحرفوا عن أساسات الإيمان القديم القويم ، الى وثنية عملية ، والى عدم الإيمان .

٣- ثقة صموئيل الوطيدة :

إذ تنازل عن وظيفته لشاول ، الذى كان ينبغى أن يكون منذ ذلك الوقت راعى وقائد الشعب المختار ، وإذ بين لهم أخطاءهم وانحرافهم ، استمر يقول بعذوبة حلوة « لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم » (ع ٢٣) . آه ، ليتك تخبئ هذه الكلمات فى قلبك ، وتعمقها فى نفسك . لا يترك الرب شعبه . ربما يكونون قد تركوا مثلهم الأعلى ، أو انحرفوا لحيظة عن ثقتهم القديمة . لكن الرب لا يمكن أن يترك شعبه ، من أجل اسمه العظيم .

كيف لجأ القديسون فى القديم لهذه الحجة بصفة دائمة . فمثلا فى (خر٣٢:١٢) حيث يتكلم الله عن نبذ شعبه عندما عملوا العجل الذهبى وعبدوه بدفوف ورقص ، تجاسر موسى الى الدخول الى حضرة الله وقال « يا رب ، أنك لا يمكن أن تفعل هذا . لأنك أن فعلت قال المصريون أنك لم تقدر أن تدخلهم أرض الموعد ، وان قدرتك غير كافية لاتمام ما وعدت به . انك لا يمكن أن تفعل هذا » ، وإلا ساءت سمعتك .

وفى (يش ٧ : ٩) عندما هرب اسرائيل أمام رجال عاى « مزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه الى الأرض أمام تابوت الرب الى المساء » وصرخ قائلا « يا الهى ، أن انهزم شعبك هكذا فماذا يقول المصريون ؟ وماذا يقول الفلسطينيون ؟ وماذا تقول أمم كنعان ؟ وماذا تصنع لاسمك العظيم ؟ وماذا تكون النتيجة ان كنت لا تعطينا هذه الأرض التى وعدتنا بها ؟ » .

وفى (اش ٤٨ : ٩ و ١١) ، فى التاريخ المتأخر لشعب الله ناقشهم أشعياء بصدد خطاياهم ، وتحدث اليهم باسم الله قائلا « من أجل اسمى أبطئ غضبى ومن أجل فخرى أمسك عنك حتى لا أقطعك . من أجل نفسى أفعل . لأنه كيف يدنس اسمى . وكرامتى لا أعطيها لآخر » .

وفى (خر ٢٠) تكررت هذه الكلمات الرائعة ثلاث مرات « صنعت لأجل اسمى لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين هم فى وسطهم » . ان اسم الله هو صفات الله . أنه ملتزم من أجل اسمه بأن لا يترك شعبه .

واستمر صموئيل الشيخ فى الحديث فقال « قد شاء (١) الرب أن يجعلكم له شعبا » . الله يخفى مبرراته . فهو يحب لأنه يريد أن يحب . ولهب محبته لا تحتاج الى وقود . والعليقة لا تحترق لكى تدوم . ويحق لنا أن نضع مع هذه كلمات الرسول العظيم « الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل أثم ويطهر لنفسه شعبا خاصا » (تى ٢ : ١٤) . هذا التأكيد ينطبق على الناس .

(١) **كأفراد** . الله لن يتركك . لم يخترك بسبب صلاحك أو جمالك ، ولن يتركك لأنك فشلت فى مثلك الأعلى . وهو قد اتخذك له ابنا بالتبنى وبالنعمة ، ليس لأنه وجد فيك شئ خاص يجذبه اليك ، بل لأنه أراد . قد يأتى يوم يفسر لك فيه السبب ، أما الآن فلا يقدر أحد أن يعرف سبب اختياره اياك لتكون خاصته دون باقى الناس .

« قد شاء (سر) الرب أن يجعلنا له أبناء وبنات » ربما نكون قد أخطأنا اليه وأحزنا روحه القدوس . ربما نكون قد اختلطنا مع من نعيش بينهم . لكن الله لن يترك شعبه . ولو كان قد فعل لأتهمت محبته بأنها ليست لا نهائية ، وبأنها قد توقفت بعد أن وصلت الخطية الى مستوى معين . وبأنها لم تقدر أن تتغلب على الخطية . ولطعن أيضا فى قدرته واحتجت الأرواح الهالكة فى جهنم بأنه حاول أكثر مما يقدر أن يتمم ، وأنه لم يحسب حساب النفقة

---

(١) « سر » حسب الترجمة الانكليزية ، « أحسن » حسب ترجمة اليسوعيين

وأتهم أيضا ثباته وعدم تغيره . وشاع فى كل المسكونة أنه اختار نفسا خاطئة ، وطهرها وألبسها بره ، وأحبها وباركها ، وبعد ذلك غير موقفه نحوها ولو عرف بأن الله متغير لتحطمت قلعة الأبدية ، وتزعزع عرش السماء ، وتدحرجت فيها السماء الزرقاء نحو الخراب والدمار .

الله لن يترك العمل الذى بدأه فى قلب الإنسان . ولهذا فينبغى أن نتأكد من قدرته اللانهائية ، ليس فينا أى استحقاق أمام الله . ليس فينا أى جمال أو جاذبية أمام ذاك الذى يكشف أعماق القلوب . ليست خدمتنا له . لكنه هو أحبنا ، وسيستمر بأن يحبنا . أية ، أيتها النفس البشرية ، أن الله لن يتركك .

(٢) **الكنيسة** . لماذا لم يمكن أن يترك الله شعبه ؟ لأن الشعب المختار كان يرمز لما يجب أن تصل اليه كل أمة . ولذلك كان يجب أن يستمر فى بنائهم ، لكى لا يتحطم الرمز ، وكان يجب أن يعمل بهم لكى يأتى بأمم أخرى الى مستواهم ، لو كان الله قد تركهم فكيف كان ممكنا أن يرجو بأن يجدد العالم؟

وما حدث مع اسرائيل يمكن أن يتم مع الكنيسة . قد توجد فيها نقائص وأخطاء يجب أن تصحح . لكن الله لا يمكن أن ينبذها ، حتى بالرغم من نقائصها وأخطائها . سوف ينقيها ويطهرها الى أن تدرك مثلها الأعلى ، وتصبح عروسه الكاملة .

(٣) **كأمة** . لا يمكن أن تستمر مملكتنا (بريطانيا العظمى) وتتمادى فى روح المادية والالحاد كما هى فاعلة الآن لا يمكن أن يسمح الله بأن تصل الى أحط درجات الفساد والانحطاط ، ولا يسمح لها بأن تسير فى طريق روما واليونان ، لايمكن أن يترك الشعب الذى باركه واستخدمه منذ أيام الفريد Alfred الذى مهد الطريق للارساليات والمدنيه المسيحية فى كل العالم. من أجل اسمه لا يقدر أن يفعل . يقينا أنه سوف تأتى نهضة دينية – أن عاجلا أو آجلا – فتميد الينا محبتنا الأولى .

(٤) **ويطبق على العالم** . لا يمكن أن يترك الله هذا العالم ، مهما فاحت منه الروائح الكريهة ، روائح التجديف والنجاسة ، والظلم والخطية . لقد تشبع بدماء ابنه ودماء رسل قديسيه . لقد تبلل بدموع أقدس النفوس التى وجدت تحت السماء ، ومع ذلك فسوف يلبس جمالا رائعا لا تشوبه شائبة . سوف يصير لكل المسكونة عينة عما يقدر الله أن يعمله للعالم الساقط وجنس البشر المنحط . الله لا يمكن أن يترك أرضنا . وسوف يأتى اليوم الذى فيه نراها متلألئة بالنور الذى سطع فى الجنة ونرى بنى البشر يمشون فى ثياب بيضاء ، ثياب الطهارة ، والمحبة ، والحق . « لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم لأنه قد شاء (سر) الرب أن يجعلكم له شعبا »

١٤

لن أكف عن الصلاة
(١ صم ١٢ : ١٦ - ٢٥)

من يستطيع أن يحصى عدد القلوب التى تسبح الله التى تتصاعد منها الصلوات فى صمت ليلا ونهارا ان الذبيحة لا زالت تقدم الخفاء والعالم لا يعرفهم ، أما هو فيقدر أن يغيث خاصته

[أ . بروكتر]

فى كل تاريخ حياة صموئيل لا يوجد أجمل من المنظر الختامى لتصرفه كقاض وقائد للأمة العبرانية . لو كان قد مات وهو صغير السن لكان مركزه فى تاريخ بلاده ، بل فى التاريخ العام ، أقل أهمية جدا ، ولكان تقديرنا لصفاته أقل . طبيعى أنه وجده عسيرا جدا أن يتنازل عن مركزه لكى يبدأ نظاما جديدا للحكم لا يرضى به ، طالما كان شعبه سيتخلون عن أعظم مجد لهم ، إذ كان الله هو ملكهم . لكنه كبت استياءه الشخصى الشديد ، وبذل أقصى جهده لينقل الأمة الى الطريق الجديد الذى تختارته ، وبذلك أقصى عناية فى اختيار الملك ، ومهد السبيل لانتقال الأمة من النظام القديم الى الجديد ، رغم آلامه الشخصية .

لا يمكن أن ننتقل من أنباء الدعوة الى اجتماع عظيم أمام الرب فى الجلجال . لتأييد اختيار شاول ، دون أن نلاحظ الاشارات المتكررة لقوة صموئيل فى الصلاة . فانه يبدو أمامنا مقتدرا فى الصلاة كما كان مقتدرا فى الشئون الادارية والسياسية . وتاريخ حياته كلها يظهره بأنه كان مشبعا بروح الصلاة والتضرعات .

فانه اذ كان ولدا صغيرا وقف فى خشوع كامل وصلى صلاته الخالدة « تكلم يارب لأن عبدك سامع » وفتح أذنيه جدا ليسمع أقل همسة . ولقد ذكر فى سفر المزامير « بين الذين يدعون باسمه وهو استجاب لهم » (مز ٩٩ : ٦) .

ويشير ارمياء النبى الى قدرته العجيبة التى أظهرها فى صلاته الشفاعيه عندما توسل من أجل شعبه (ار ١٥ : ١) . وكل الشعب عرفوا صراخ نبى الرب الطويل الذى اخترق السماء . كانت صلواته منقذة لهم فى شدائدهم ، كما احرزت لهم النصرة فى حروبهم (١ صم ٧ : ٨ ، ٨ : ٦) . كان هنالك طريق مفتوح بينه وبين الله ، ولذلك كان يستطيع أن يعرف افكار الله .

١ - صلاة صموئيل من أجل الرعود والمطر :

أن قلب الإنسان يصرخ طالبا تصديق الله . فى كل عصر يطلب الجيل الملتوى آية ، وإذ يطلبها يبرهن على ابتعاده عن مصدر النور ، وانطماس بصيرته عن الرؤى الروحية . ان كانت طبيعتنا تحقق المثل الأعلى الإلهى ، فإنها تستطيع أن ترى الله فى كل حوادث العناية الإلهية العادية ، فى نور الصباح وفى هواء الصيف ، فى الندى الذى يتساقط بسكون وبلا ضوضاء ، وفى النسيم الذى يهب برقة على الغابات النائمة ، فى جمال الربيع ، وفى الزهور البديعة (أع ١٤ : ١٧) .

لكن عيون البشر طمست ، وأصبحوا لا يرون آثار الأقدام الإلهية فى العالم يوما فيوما قال النبى « يارب ارتفعت يدك ولا يرون » (أش ٢٦ : ١١) .

وعندما يقصر الإنسان فى أن يتبين حضور الله فى أعمال الحياة العادية الهادئة فإنه يطلب بعض ظواهر طبيعية مذهلة ، للبر هان على أن الله يتكلم . ويصرخ للرسول المرسل من السماء قائلا « قدم اثباتات غير عادية لادرك - بما لا يدع مجالا للشك - أنك صادق . فالصوت الهادئ الخفيف لا يكفينا . ينبغى أن نرى العاصفة ، والنار ، والزلزلة . عندئذ ندرك أن الله يتكلم على لسانك ، وأن الكلمة فى فمك حق » .

أدرك صموئيل هذا . ولعله اشتاق الى تأييد الهى لكلامه . ان خدام الله الأمناء يرفضون أن يعملوا فى السنوات الطويلة وسط المقاومات العنيفة والبلادة ، ان كانوا فقط يتأكدون من أنهم لم ينحرفوا عن طريق المقاصد الإلهية . « وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال أيها الرب اله ابراهيم وإسحق واسرائيل ليعلم اليوم أنك أنت فى اسرائيل ، وأنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور » (١ مل ١٨ : ٣٦) .

هكذا لجأ الى الله ، وفى لحظة حرجة ، واحد من أنبل خلفائه ، هو صموئيل النبى ، ولقد بينت كلماته ما كان يكنه قلبه فى هذه الساعة . لقد تنازل عن امتيازاته ، وقدم للأمة خليفته ، وواجه شعبه بخطاياهم ، وأعلن لهم القصاصات الشديدة التى تتبع عدم الطاعة . والآن اشتاق الى أن يستمعوا لصوت آخر . مؤكدا كلماته ، وموجها اياها بشدة الى ضميرهم والى قلبهم .

تحت تأثير هذه الأفكار ختم حديثه بهذه الكلمات « فالآن أمثلوا أيضا وانظروا هذا الأمر العظيم الذى يفعله الرب أمام أعينكم . أما هو حصاد الحنطة اليوم . فإنى أدعو الرب فيعطى وعودا ومطرا فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذى عملتموه فى عينى الرب بطلبكم لأنفسكم ملكا » . (١ صم ١٢ : ١٦ و ١٧) .

فى أثناء حصاد الحنطة ، الذى يستمر من منتصف مايو الى منتصف يونية، لا يكون للمطر أى أثر فى فلسطين . وكان حدوث الرعود ، بناء على طلب النبى الشيخ ، أمرا مذهلا ، وان دل على شئ فانه يدل على شهادة الله بصحة دعواه.

قد يظن بأن الحادثة لم يكن لها نظير ، إذ أنها حدثت فى العهد القديم ، لكننى لا أعتقد هذا فالطبيعة أشفق على الإنسان مما نظن ، لأن جمالها أو ثورتها ليسا إلا حجابا يستتر وراءه الله القدير . فكثيرا ما حدثت مظاهر طبيعية خارقة للعادة لتظهر بأن الله يتكلم .

لكن هنالك طرقا أخرى يعلن بها الله تصديقه على تصرفات خدامه الأمناء . فعندما أقام بولس وبرنابا « زمانا طويلا » فى أيقونية » كان الرب يشهد لكلمة نعمته » (أع ١٤ : ٣) .

ويلخق كاتب رسالة العبرانيين اختبارات حاملى الانجيل الأوائل عندما يقول ان الذين سمعوا الكلمة كانوا يؤيدون رسالة الخلاص العظيم . « شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب ارادته » (عب ٢ : ٣ و ٤) .

أننا نشكر الله لأن شهادة الروح القدس هى لخادمه الأمين أعظم من شهادة الرعود لصموئيل . هذا هو الذى سلح قديسى الكنيسة الأولى بقوة لا تقاوم . قال الرسل « ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضا الذى أعطاه الله للذين يطيعونه » (أع ٥ : ٣٢) . وقال الرسول العظيم « أن انجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضا وبالروح القدس وبيقين شديد » (١ تس ١ : ٥) .

ليسمح لى زملائى الخدام بأن أطلب اليهم أن يدركوا أن الروح القدس يعمل فى الكنيسة اليوم ، وأنه مستعد أن يشهد لكل كلمة مخلصة ينادى بها باسم المسيح ، وأنه يبكت على خطيه ، وعلى بر ، وعلى دينونة ، لكى لا يتوقف ايمان سامعينا على حكمة الناس بل على قوة الله شاهدا لهم الله معطيا لهم الروح القدس (١ كو ٢ : ١ - ٥ ، أع ١٥ : ٨) .

هذا هو النقص الشنيع فى كرازتنا . فنحن نكرز بغيرة وباخلاص ، لكننا لا نتطلع (بإيمان كاف) إلى تعاون الله معنا فى الشهادة ، ولا نعتمد على هذا التعاون . ونحن لا ندرك شركة المعزى . ومستمعونا لا يسمعون صوته ينفذ الى نفوسهم كوقع الرعد فى عالم الطبيعة ، ولا يقتنعون بأننا نتكلم بالحقائق الإلهية .

فلتكن أشواق قلوبنا فقط هكذا : « أيها الآب مجد أسمك » . وعندئذ يأتى « صوت من السماء قائلا مجدت وأمجد أيضا » . وإذ يقول بعض الواقفين أنه « قد حدث رعد » ، يقول آخرون « قد كلمه ملاك » (يو ١٢ : ٢٨ - ٣٠) .

آه يا الهنا ، هبنا تلك القوة فى الصلاة حتى إذا ما صلينا استجبتنا « فى ستر الرعد » (مز ٨١ : ٧) . وأرسلت رعودا ومطرا .

٢ - صموئيل لا يكف عن الصلاة الشفاعية :

وإذ ارتعب الشعب من أصوات الرعود والأمطار حرصوا على أن يفوزوا بصلوات صموئيل من أجلهم . « وقال جميع الشعب لصموئيل صل عن عبيدك إلى الرب الهك حتى لا نموت » (١ صم ١٢ : ١٩) . وإذ قالوا « إلهك » يبدو أنهم أحسوا بعدم استحقاقهم بعد لامتيازهم كشعب الله المختار ، ولهذا لم يقولوا « إلهنا » . وإذ تأثر النبى الشيخ بالتماسهم هذا له ، وكان واثقا بأن الرب إنما أراد أن يؤيد كلمته ، فقد سكن مخاوفهم ، وحثهم على أن لا يعودوا قط للأصنام الباطلة ، التى لا تفيد ولا تخلص ، وأكد لهم بأن الله لا يتركهم ، وختم حديثه معهم بهذه الكلمات الرائعة « أما أنا فحاشا لى أن أخطئ الى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم » (ع ٢٣) .

أدرك صموئيل أن الصلاة مجهود فى عالم الروح :

أن المجهود الذى نبذله فى العمل فى عالم الطبيعة يليق بالصلاة فى عالم الروح. كثيرا ما يقال أن «الكفاح صلاة» ، لكن العكس هو الأصح «أن الصلاة كفاح» . يقول يعقوب الرسول « طلبة البار(١) تقتدر كثيرا فى فعلها » (يع ٥: ١٦)

---

(١) « صلاة البار الحارة » حسب الترجمة الانكليزية ، « ما أعظم قوة صلاة البار الفعالة » حسب ترجمة اليسوعيين .

ومن أجل هذا فان ابفراس المبارك إذ لم يعد قادرا على مساعدة الأخوة فى كولوسى بأقواله وأفعاله عكف على الصلاة وجاهد كل حين لأجلهم بالصلوات (كو ٤ : ١٢) .

يعتبر الكفاح صلاة
ان تم كما تريد يا رب
وتعتبر الصلاة كفاحا
أن تمت بارشادك

لم يعد صموئيل قادرا بعد على مواصلة جهوده من أجل شعبه كما كان يفعل من قبل . فقد صارت هذه الجهود محدودة بسبب تقدمه فى السن .

وبسبب احلال نظام الملكية محل القضاء . ولذلك كان مستحيلا أن يتم جولاته السنوية كما كان يفعل قبلا .

لكنه كان يستطيع أن يحول كل هذه الجهود الى طريقة أخرى لتقديم المساعدة . فالنور تحول الى حرارة ، والماء تحول إلى بخار . كانت صلوات قديسى الله منذ ذلك الوقت تساوى جيوشاً حربية .

أن ما يفعله التلسكوب للعين ، والدراجة للقدم ، والتليفون للصوت ، والآلة البخارية فى اليد ، نحو مضاعفة القوة البشرية ، تفعله الصلاة للنفس ، لأنها توصلنا بقوة الله المقتدرة . أنها توصلنا الى مصادر القوى الروحية الأبدية الشاملة . « القوى المقتدر هو القوى المقتدر فى الصلاة ، لأنه تعلم كيف يصارع مع مصادر القوة الالهية » . لماذا أيها الإنسان لا تضع أصبعك على مفتاح القوى الأزلية الأبدية ، الذى يتجاوب فى الحال مع لمسة أصبعك ؟ يا لها من غلطة شنيعة وخسارة فادحة أن تكتفى بلمس مفتاح القوة البدنية العقلية ، مع أن القوى الروحية الأسمى فى انتظارك .

ونظر صموئيل إلى الصلاة على أساس انها غريزة روحية الهية :

لقد أعتقد بأن مقاومته لباعث الصلاة الذى نشأ فى داخل نفسه لا يمكن إلا أن تعتبر خطية.اسمعه يقول «حاشا لى أن أخطئ الى الرب فأكف عن الصلاة»

يقول الواحد منا للآخر: لنذكر بأن الناس يصلون، ويريدون أن يصلوا، سواء اعتبروا هذا منطقيا أو غير منطقى . فإنه ظاهر أن غريزة الصلاة جزء من أنفسنا . قد لا تكون الصلاة مستديمة ، فالقديس فقط هو الذى يستمر فى روح الصلاة . لكننا - عاجلا أو آجلا - سوف نبدأ بأن نصلى عندما تتحرك الطبيعة الروحية فى داخلنا . لذلك فإن الصلاة تعنى أكثر من مجرد تقديم طلبات ، أنها هى التى تحرك الروح نحو الله . فنحن إذ ندرك محدوديتنا نحاول بأن نتخطاها

لنصل إلى غير المحدود . ولذلك ففى كل صلاة حقيقية يوجد الكثير الذى لا يمكن أن ينطق به. «الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها » (رو ٨ : ٢٦) .

ان مقاومة هذه الغريزة ، سواء رفعتنا للصلاة من أجل أنفسنا أو من أجل الآخرين ، هى اساءة للطبيعة الأسمى التى فينا ، واحزان للروح القدس ، وخطية ضد الترتيب الإلهى . وعدم الصلاة ليس فقط دليلا على طبيعة فاسدة منحطة ، بل هو فى حد ذاته خطية ، تحتاج الى الاعتراف بها ، وتطهيرها فى دم الصليب. وعندما نصير قريبين ثانية بدم المسيح، استجابة لصلواتنا الضعيفة، سوف نجد أن الصلاة تنشأ بكيفية طبيعية وبغزارة فى قلوبنا ، كينبوع من أعماق غير منظورة تغذيها الآكام الدهرية . الصلاة هى استجابة النفس لله ، تحول التيار من أشخاصنا إلى الله، تصاعد البخار من الأمطار السماوية التى تقبلناها .

ونظر صموئيل الى الصلاة على أساس أمانة أؤتمن عليها . لم يعد بعد قادرا على أن يخدم كقاض . لكنه أحس بأن مصالح الأمة أوكلت اليه لكى يرفعها الى أسمى مكانة ، وإذ ما قصر فى أن يصونها ويرقيها، على الأقل بصلواته ، اعتبر ذلك خيانة . لابد أن صموئيل كان يختلى كثيرا ، كما كان يفعل موسى على الجبل ، وربنا على الجبال المحيطه ببحر الجليل ، ليسكب نفسه فى صراخ شديد ودموع غزيرة ، « من أجل أخوته وأنسبائه حسب الجسد . الذين هم اسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد » . كثيرا ما كان له « حزن عظيم ووجع فى قلبه لا ينقطع » مثل بولس (رو ٩ : ١ - ٤) .

كثيرا ما كان قلبه يتمزق عندما يرى الفلسطينيين يهجمون على البلاد ، ويضايقون الشعب بمظالمهم . أن فشل شاول فى تحقيق مثله الأعلى بعثه على أن يرفع لله صلوات أقوى لكى يخلص الملك والشعب . ولابد أن النصرة ، التى سوف نتأمل فيها فى الفصل التالى ، كانت تعزى لصلواته الحارة .

هذا مثل رائع يجب أن نحتذيه كلنا . أن السؤال الوحيد الذى يوجه للكنيسة فى أيامنا الحاضرة هو: هل يصح أن تنتظر أعلانا جديدا لقوة الروح القدس ؟. وهذا يرتبط كلية بسؤال آخر : هل يمكن أن تدفع الكنيسة كلها ليحثو كل أعضائها على أقدامهم ؟ .

أن رأت أية جماعة أهمية لهذه الكلمات فاننى أتوسل اليهم أن يتحدوا كلهم فى صلاة حارة تحرك السماء ، ويطلبوا الى الله أن « يستيقظ كما فى أيام القدم كما فى الأدوار القديمة » ويصنع عظائم كالتى أخبرنا بها آباؤنا (أش٥١ : ٩ ، مز ٤٤ : ١ ، ٧٨ : ٣ و ٤) .

١٥

سبب سقوط شاول
(١ صم ١٣ : ١٣ و ١٤ (١))

انتظر وقتك لاحظ بعينين متواضعتين هجوم
الكبرياء والجريمة أجلس فى الباب مبتسما رابط
الجأش يا من وعدت بنصرة أكيدة انتظر يوم النصرة

[ن . هـ . ج]

يحدثنا هذا الأصحاح عن مأساة أليمة ، لأنه يتضمن تاريخ حادثة كشفت عن عدم جدارة شاول ليكون مؤسس سلسلة من الملوك . لو كان قد نجح فى الامتحان فلا شك فى أنه كان قد صار ، ليس فقط أول ملك فى اسرائيل ، بل أبا لجنس ملكى ، وربما كان كل تاريخ الشعب المختار قد تغير تغييرا كليا فيما بعد . ورغم أن مملكته فى بداية الأمر كانت تبشر بالنجاح لبلاد آبائه ، فقد اتضح أنها كانت تنقصها عناصر البقاء والاستدامة ، والعوامل التى تجعلها حصن اسرائيل الدائم ضد هجمات العدو من الخارج وضد سرطان الفساد والانحلال من الداخل .

لنتأمل مليا فى هذه المأساة ليس فقط لأنها تتصل اتصالا وثيقا بتاريخ شعب الله ، بل لأنها مليئة بالتعاليم لنا . اذ تحول صموئيل من شاول الى داود قال » قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه » . وواضح أذن أن شاول لم يعد بعد « رجلا حسب قلب الله » . وخليق بنا أن نبحث باهتمام عن السبب ، لكى نتجنب الصخور التى ارتطمت فوقها هذه السفينة الصالحة وغرقت .

---

(١) « فقال صموئيل لشاول قد انحمقت . لم تحفظ وصية الرب الهك الذى أمرك بها . لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على اسرائيل الى الأبد . وأما الآن فمملكتك لا تقوم . قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب ان يتراءس على شعبه . لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب » .

فى الاصحاح الذى يحدثنا عن هذه المأساة ، عن اظلام صباح مشرق منير ، وعن تعطل وعد جميل ، نلاحظ أنه يتضمن أيضا الحديث عن غم شديد جدا حل بالشعب المختار بسبب هجوم الفلسطينيين عليهم مرة أخرى. ففى (ع ٦) مثلا نجد أن رجال اسرائيل كانوا فى ضنك ، وأنهم تضايقوا ، وأنهم اختبأوا فى المغاير والغياض والصخور والصروح والآبار . والواقع أن بعضا منهم عبروا الأردن، وهجروا أرض آبائهم فى ساعة محنتها . أما الذين كانوا لا يزالون موالين لشاول ويوناثان كنواة للجيش الملكى ، فقد تبعوه مرتعدين (ع ٧) .

لقد حل على كل الشعب روح الخوف والارتعاد ، وزالت عنهم روح الشجاعة والبطولة . وكان يبدو كأنهم لم يعودوا يقتنعون بعد بمقدرتهم على الوقوف أمام الفلسطينيين ، كما يعجز قطيع الغنم على الوقوف أمام قطيع من الذئاب .

كذلك نرقأ عن العدد الوفير جدا من جماعة الفلسطينيين ، الذين اجتمعوا من كل الأرجاء لكى يسحقوا النهضة الوطنية التى كان من ضمن علاماتها تتويج شاول ، وأعمال البطولة التى تمت على يدى يوناثان (ع ٣) . ونستطيع أيضا أن نستمع الى الأنباء التى وصلت الى شاول (ع ٥) على يد رسول ملأ الخوف قلبه ، وبالغ فى وصف الموقف قائلا عن الفلسطينيين أنهم « كالرمل الذى على شاطئ البحر فى الكثرة » .

وفى ١٩ و ٢٠ نجد برهانا أسيفا آخر على تعاسة الشعب . فقد قيل عليهما أنه « لم يوجد صانع (١) واحد فى كل أرض اسرائيل .... بل كان ينزل كل اسرائيل الى الفلسطينيين لكى يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله . لم تحدث فى كل تاريخ اسرائيل نكبة مروعة ، أو يأس قاتل ، كما حدث حول شاول وفى كل أرجاء البلاد فى تلك الساعة .

ويبدو أن شاول فى تلك الفرصة الحرجة سحب جنوده من مخماش ، واتخذ موقفه فى الجلجال القديمة ، حيث تم ختان كل الشعب بعد عبور نهر الأردن بقيادة يشوع . هناك أقام شاول محلته ، على ما يبدو ، على الأرض المستوية ، حيث كان معرضا لهجوم الفلسطينيين فى أية لحظة . أما ابنه يوناثان ، البطل العظيم ، فاتخذ موقف المراقبة بالقرب من جيش الفلسطينيين .

وإذ بقى شاول مع جنوده فى الجلجال كان يلاحظ أنهم يتناقصون كل يوم. كان هذا أو ذاك يتسلل، أما هاربا عبر الأردن، أو مختبئا فى أحد كهوف الجبال.

---

(١) « حداد » حسب الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين .

قد يوجه السؤال : لماذا لم يهجم شاول ، فى وقت كهذا ، هجوما جريئا على الفسلطينين ؟ لماذا انتظر هناك يوما بعد يوم وهو يرى بعينيه أن جيشه يتبخر ؟ آه هنالك رواية ، لكى نفهمها ينبغى أن نرجع إلى (ص ١٠ : ٨) ففى صباح ذلك اليوم الذى مسح فيه صموئيل شاول ملكا أخبره بأن أزمة حياته سوف تحل به فى الجلجال . وهذه نبوة كان قد حان موعد اتمامها وقتئذ . « ونزل قدامى الى الجلجال وهوذا أنا أنزل اليك لأصعد محرقات واذبح ذبائح سلامة . سبعة أيام تلبث حتى آتى اليك وأعلمك ماذا تفعل » .

١ - غلطة شاول :

هذا الأمر ، الذى صدر لشاول منذ ثلاث سنوات ، وهو واقف أمام فرصة المتسعة ، كان يتضمن أمرين ، وكان كل منهما يتضمن محكا جوهريا .

أولا : هل هو مستعد أن يعمل كنائب عن الله ، لا كملك مطلق السلطات . ينفذ سياسته ، ويملى ارادته ، بل كخادم لله يتلقى أوامره من فم النبى فى كل خطوة من خطوات حياته ، لا كحاكم مستبد ، دكتاتور ، بل كملك مرسل من قبل الله ؟

ثانيا : هل هو يقدر أن يكبح جماح طبيعته المتهورة ، يضع اللجام على شهواته الجامحة ، ويلجم نفسه ؟

كان هذا الأمر الذى أصدره اليه صموئيل ، ليوقفه عن تهوره ، هو الذى جعله ينتظر يوما فيوما . ألا يمكنك أن تتخيل كيف أن أحسن مستشاريه ورجاله الحربيين كانوا يلتفون حوله ويحثونه على أن يعمل شيئا ؟ ألم يلفتوا نظره الى جيوش الفلسطينيين الحالين عند مخماش كالرمل الذى على شاطئ البحر ؟ ألم يخبروه بأنه أن لم يعمل بسرعة نهب العدو أملاكه التى ورثها عن آبائه ؟ ألم يلفتوا نظره إلى جيشه الذى يتناقص عدده يوما فيوما ، ويقولوا : قم وأعمل شيئا ، فخير لك أن تموت تحت يد الفلسطينيين من أن تسمح لهم بأن ينقضوا عليك كما تنقض الطيور الجارحة على الحمامة المرتجفة .

لكنه انتظر يوما فيوما « مكث سبعة أيام حسب ميعاد صموئيل ولم يأت صموئيل الى الجلجال والشعب تفرق عنه » . وبعد انتهاء الميعاد المحدد بفترة وجيزة لم يقدر أن ينتظر أكثر . فقد توهم أن صموئيل لابد أن يكون قد نسى الميعاد ، أو لقى ما يعرقل مسيره من الرامة وسط صفوف الفلسطينيين . انتظر

نحو نصف ساعة ، لأن تقديم المحرقة وذبائح السلامة لا يستغرق أكثر من هذا الوقت . وبعد هذا بدد كل انتظاره أدراج الرياح ، لأنه لم يقدر أن ينتظر أكثر من السبعة الأيـــام . وقال للكاهـن ، الذى كان لا يزال واقفا بجوار المكان المقدس حيث كان الله يعبد ، وخيمة الاجتماع قائمة : « قدموا إلى المحرقة وذبائح السلامة » . « وكان لما انتهى من أصعـاد المحرقة إذا صموئيل مقبل » .

آه ، لو أن حارسا وقف على قمة صخرة ، وتطلع من وراء الوادى المجاور لكان قـد رأى صموئيـل يقتـرب من المحـلة ، وحـذر الملك صـارخا قائـلا : « صموئيل مقبل » .

لكن لم يصده أحد . لم يرد أن يستجيب إلا لنداء قلبه . لقد تبين أنه لم يقدر أن ينتظر الله بإيمان كامل فيه أنه لا يمكن أن يتخلى عنه أو يخدعه . لقد حرص على اتمام طقس خارجى ، لكنه كان خاليا تمام من روح العبادة ومن الإيمان . وكما كان هو سبب هلاك لاسرائيل ، هكذا كان يجب أن يصير خلفاؤه . ولذلك لم يستمر ملكه .

أن الدرس الواحد الذى يقدم الينا بقوة هو أن الشخص الذى بحسب قلب الله هو من يطيع الله طاعة كاملة ، الذى ينتظر الله إلى اللحظة الأخيرة ، الذى يتجاسر بأن يقف وسط تناقص عدد الجيش ، بل الذى يرى الخطر محدقا ، لكن لأنه لم يتلق الأمر من الله بأن يتحرك فانه يقف دون حركة الى أن يصدر اليه الأمر من الله .

كم من أشخاص متدينين إذ يراجعون حياتهم الماضية يجدون لحظات لم يعرفوا كيف يتصرفون فيها . لقد أمرهم صوت داخلى ، هادئ وحلو ، بأن ينتظروا . لكن أصواتا أخرى كثيرة ، عالية وصاخبة ، أمرتهم بأن يتحركوا ويعملوا . ولذها أسكت صوت الإيمان الهادئ الخفيف ، صوت الطاعة الكاملة، وقيلت الكلمة المتعجلة المتهورة ، وتم العمل الذى لا يرد ، مفصحا عن ضعف القلب ، وخور العزيمة .

« وكان لما انتهى من أصعاد المحرقة إذا صموئيل مقبل » (ع ١٠) . وكم من مرة وبخنا أنفسنا قائلين : ليتنى فكرت فى أن الله قريب ، عندئذ ما كنت أتصرف كما تصرفت . ويل لى . لماذا لم أقدر أن أنتظر .

ان صموئيل يأتى دائما فى اللحظة الأخيرة . لكن انتظار حضوره ليس بالأمر الهين . « فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فاننا نهلك . فقال

لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان . ثم قام وانتهز الرياح والبحر فصار هدوء عظيم » (مت ٨ : ٢٥ و ٢٦) . « الله لم يعطنا روح الفشل (١) بل روح القوة والمحبة والنصح » وضبط النفس ومحاسبتها (٢ تى ١ : ٧) .

الانسان يمل الانتظار ، ويبدو له كأن الله قد أبطأ جدا . أن أعمال الله العظيمة تتحرك حول محيط واسع جدا . « يوم واحد عند الرب كألف سنة » (٢ بط ٣ : ٨) . لكنه سوف يأتى مع الصباح ، مع الربيع « خروجه يقين كالفجر . يأتى الينا كالمطر متأخر يسقى الأرض » (هو ٦ : ٣) .

٢- حبة شاول المراوغة :

لاحظ التعليل الذى قدمه شاول لصموئيل « قلت الآن ينزل الفلسطينيون الى الجلجال ولم تضرع الى وجه الرب . فتجلدت وأصعدت المحرقة » (١٢) . لا شك أنه كان فى هذا كاذبا . لقد ألقى اللوم على الظروف . وكان هذا هو لسان حاله فعلا « أن ظروفى الزمتنى على أن أفعل ما فعلت . ما كنت أود أن أفعل هذا ، وكنت مترددا جدا لكننى لم أستطع أن أمتنع ، فقد كان الفلسطينيون قادمين . لقد اغتصبت القصبة من يدى ، وكنت مضطرا أن أطيع صوت النكبة التى حلت بثقلها » .

يذكرنا كلامه هذا بكلام هرون الذى عرى الشعب أمام الله وأمام أعدائهم ، وحاول أن يبرر نفسه بقوله «لقد أعطونى أقراط الذهب التى فى آذان نسائهم . فطرحتها فى النار فخرج هذا العجل » (خر ٣٢ : ٢ و ٢٤) .

كلنا نميل الى التحدث بهذه النغمة . بعد أن نكون قد قلنا كلمة بتعجل ، وأتممنا عملا بغطرسة وكبرياء ورفضنا أن نطيع ، ورأينا بيت حياتنا يسقط فوقنا ، أو يحترق بنيران جهلنا وحماقتنا ، نقول « الظروف الجأتنى إلى هذا ، كان ينبغى أن أتممه ، وقد تجلدت فأتممته رغم ارادتى » .

أيها الأخ العزيز، أنت أعظم من الظروف ، أعظم من كل شئ ، أعظم من المشيرين الإرديا ء ، لقد قصد بك الله وحده، وأن تكون ملكا متوجا ، أن تتسلط ولا يتسلطون عليك، وأن تطيع الله وحده، وأن تقاوم كل المحاولات التى تريد أن تجعلك تحت النير . استيقظ، لئلا يقال عنك أنت أيضا «مملكتك لا تقوم» ولا تدوم.

---

(١) « التهيب » حسب ترجمة السبعينى ، « الخوف » حسب الترجمة الانكليزية

٣ - لاحظ من ذا الذى حل محله :

وردا على كل هذا تكلم صموئيل باسم الرب وقال « أخترت رجلا حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى » (ع ١٤ ، أع ١٣ : ٢٢) . كان يتم فى بيت يسى اعداد صبى ، يقدر أن يؤمن ، ولا يتعجل ، انظر الى الطريقة التى تكلم بها فى السنوات التالية هذا الرجل الذى كان حسب قلب الله . « انتظارا انتظرت الرب فمال الى وسمع صراخى . وأصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة . وأقام على صخرة رجلى . ثبت خطواتى » (مز ٤٠ : ١ و ٢) .

فانتظر ، انتظر الفرصة التى يسمح بها الله . لا تضطرب ولا ينزعج قلبك . ان تحركت الآن وعملت كان فى هذا افساد لمثلك العليا ، وتعطيل للمقاصد الإلهية ، ودحرجت حجارة لن تتوقف . فانتظر الله ، قف واصمت ، وانظر خلاصة ، ان خادمه قادم فى الطريق . قد تكون خطواته غير سريعة كما نريد ، لكنه سوف يصل فى اللحظة المعينة . لا قبل الوقت المناسب بلحظة ، ولا بعده بلحظة . سوف يصل رسول الله عندما تكون قوى النفس كادت تخور ، والرجاء كاد ينقطع . « الرب قريب » . انتظرى يا نفسى ، انتظرى ، انتظرى الله . لأن الله لن يأتى بعد اللحظة ، ولا قبلها .

وعندما يأتى يحل الضحك محل الدموع ، والحصاد بعد الزرع ، ويصفو الجو بعد السحب ، وتجعلك الأيام السعيدة المباركة تنسى خزى وعار الماضى .

+ + +

١٦

(اثنان يهزمان ربوة) (١)

(١ صم ١٤)

آه ، لقد رأيت اليوم الذى فيه أعاننى الله

بكلمة واحدة لأقول « اتكالى على الرب » نفسى

اخضعت ألف عدو دون أن تخشى أحدا من كل مقاومها

[كوبر]

ما الذى لا يقدر أن يفعله شابان امتلأ قلباهما بمحبة الوطن ، وأعتمد على الله لارشادهما فى كل خطوة ؟

كان يوناثان بطلا حقيقيا من أبطال الله ، حقق فى حياته مقدما صفات البطولة المسيحية . كان لا يهاب أى شئ، كما كان بلا لوم، عاش طاهرا، كان ينطق بالحق، ويقوم المعوج، وكان أمينا لمطالب المحبة البشرية، وتبع المسيح رغم أنه لم يكن يعرفه . كانت صفاته لامعة ناصعة البياض ، بعكس صفات أبيه .

كان يمتد من شاطئ نهر الأردن واد طوله أثنا عشر ميلا ، ويصل إلى المنطقة الجبلية فى فلسطين الوسطى ، ثم الى ساحل البحر الأبيض المتوسط . وعلى بعد ميلين من رأس هذا الممر ، ونحو ثمانية أميال من شمال أورشليم ، تصير الصخور على الجانبين شديدة الانحدار ، وتقترب من بعضها ، حتى تكاد تتلامس .

تصور ممرا ضيقا جدا ، تحميه الجبال شديدة الانحدار ، لا يمكن أن يتسلقها إلا الجداء البرية ، لكن الإنسان لا يمكنه تسلقها . كان سن الصخرة

---

(١) تث ٣٢ : ٣٠ « يطاردان ربوة » حسب الترجمة الانكليزية .

التى فى الشمال يدعى « بوصيص » ، أى مضئ ، لأنه كان يعكس نور الشمس طول النهار . وفى الجنوب سن الصخرة الأخرى ويدعى « سنة » ، أى شجرة السنط ، إذا كان دائما فى الظل ، وهو على بعد بضعة أمتار قليلة من السن الأول ، كان السن الأول « مقابل مخماش » ، وهناك كان الفلسطينيون حالين . وكانت القرية الصغيرة « جبع » فى مستوى أعلى ، وإليها نقل شاول جيشه ، وكأنه انسحب من سهول الأردن ليراقب تحركات قوات العدو .

لا نعرف طول الوقت الذى ظل فيه كل جيش يراقب الآخر . ولا يمكن أن نعرف ماذا كانت تؤول اليه الحرب لولا موقف البطولة الذى سوف نتأمل فيه الآن.

١ - لقد تمم يوناثان المقاصد الإلهية :

اغتاظ يوناثان بسبب الجمود والعار اللذين لصقا بشعبه من جراء كل ذلك الموقف . وقد بعث فيه الحيوية أيضا إيمانه القوى بالله، ودفعه روح الله ليجرى عملا نتجت عنه نصرة مجيدة وخلاص عجيب . لقد بدا له أنه من المستحيل أن يكون الله ترك شعبه المختار ، أو نقض عهده القديم . لقد وعد ، ألا يقدر أن يتمم ؟ أليس شعبه هو ميراثه المختار ! يقينا أن قصد الله كان يتعارض مع غزو هذه الجيوش الفلسطينية للبلاد ، وكان هذا القصد الإلهى ينتظر فقط شخصا مؤمنا يتصل بمصادر القوة الإلهية ، وعندئذ تضمن النجاة .

أما شاول فلم تكن لديه فكرة عن هذه الأمور . لقد أغلق أذنيه عن أن يستمع لما يقوله له الماضى المجيد . وإذ دب فيه اليأس بسبب ما رأته عينه وسمعته أذنه من الصباح الى المساء لم تعد له قوة ليتحرك ويمسك بالوعد الإلهى للنجاة . وقد بدا كأن حكم صموئيل بعزله من الملك بمثابة حجر على فم القبر أغلق عليه فى اليأس .

أنه لأمر جوهرى جدا فى هذه الحياة الفانية ، عندما تدب فينا عوامل اليأس ازاء الرذائل الشنيعة التى تسئ الى البشرية ، كتجارة المسكرات وجنون المراهنات والميسر ، والنجاسة ، والانغماس فى الملذات العالمية ، وهذه هى رذائل جيلنا ، وهى بمثابة الفلسطينيين - أن تتطلع الى القصد الإلهى الذى كشف عنه الفداء الذى أتمه على الصليب دم فادى العالم . يقينا أن ذلك الدم لا يمكن أن يكون قد سفك عبثا . ان قدرة الله وقوته كفيلتان باتمام الخلاص الكامل الذى كان الصليب نبوة عنه . « لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس » (١ يو ٣ : ٨) . وهو لا يمكن أن يهدأ حتى يتمم قصده على الأرض التى أفتديت بالدم الكريم .

طوبى للذين - كيوناثان - يرفعون أنفسهم ، فوق ضيق الساعة الى شركة حية مه هذه الحقائق الأزلية ، ويسلمون ضعفهم لله ، لأنه دائما « يصنع قضاء وعدلا فى الأرض » التى أفتديت بالدم الكريم (أر ٩ : ٢٤) .

٢- وسلم نفسه لله كآله فى يده :

الله يعمل دائما عن طريق البشر . هو يدعونا للشركة معه ، لكى يفيض الينابيع الإلهية عن طريق أوان بشرية . والله يتطلع دائما الى من يؤمنون به لكى يتقبلوا منه قوة ونعمة فى اليد الواحدة ، وينقلوهما لغيرهم باليد الأخرى . أنه يختارهم لكى يعرف قوته المقتدرة عن طريقهم . وطوبى للذين لا تتبلد احساساتهم إزاء الدوافع الإلهية ، ولا يعاندون الرؤيا السماوية .

كان يوناثان واحدا من أولئك الأشخاص المباركين المرهفى الأحساس أمام الله ، كاحساس شبكة العين أمام النور . « وفى ذات يوم قال يوناثان للغلام حامل سلاحه تعال نعبر الى حفظة الفلسطينيين الذين فى ذلك العبر » . وبأدب جم جميل « لم يخبر آباه » (ص ١٤ : ١) . والأرجح جدا أن الاثنين تسللا بهدوء فى الفجر ، بينما كان زملاؤهما لا يزالون نائمين . امتلأ قلب يوناثان الشاب اقتناعا بالقصد الإلهى ، الأمر الذى تفصح عنه هذه الكلمات « لعل الله يعمل معنا لأنه ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل » . (ع ٦) .

لاحظ أين ركز يوناثان كلامه . لقد كانت ثقته فى نفسه ضئيله جدا ، أما ثقته فى الله فكانت مطلقة . نفسه انتظرت الرب ، وفيه ركز كل رجائه ، ومن معونته الرحيمة انتظر عظائم . كان كل ما يتوق اليه أن يكون هو الإناء الضعيف الذى تعمل عن طريقه نعمة الله المخلصة .

هذا هو ما يريده الله : لا يريد قوتنا ، بل ضعفنا الذى يلجأ اليه فى حالة اليأس القاتل . لا يريد جيوشا ، بل شخصا أو اثنين منتخبين ، يتوقعون عظائم ، ويتجاسرون على اتمامها . أنه كذب أن نقول بأن القدير يقف بجانب الجيوش الجرارة . فكل التاريخ يبين بأن النهضات التى غيرت وجه العالم قد تمت بخروج الله على طريق أفراد قليلين ، لم يتميزوا بمواهب بارزة ، بل سلموا ذواتهم تسليما كليا للدوافع الإلهية . « وماذا أقول أيضا ؟ لأنه يعوزنى الوقت ان أخبرت » عن أبطال المسيحية الذين صنعوا عظائم بنعمة المسيح (عب ١١: ٣٢) .

سلموا أنفسكم لله . أننى أوجه الحديث بصفة خاصة إلى الشبان الذين قد يقرأون هذه الكلمات . هنالك أخطاء يريد الله أن يصححها ، ومظالم يريد أن

يرفعها ، وأعداء لسلامة البشرية وسعادتها يريد أن يخضعهم . لكنه يتطلب وسائط بشرية طاهرة نقية ، صادقين وأمناء ، تحرروا من سلطان الجسد ، وخاضعين خضوعا مطلقا تحت تصرفه . ليس أمرا ذا بال أن يكونوا قد ولدوا من آباء عظماء كيوناثان ، أو خاملى الذكر كحامل سلاحه . فإن الله عن طريقهم يجرى خلاصا عظيما .

لم تتوفر لشاول ، الملك المختار ، رؤيا كهذه ، أو إيمان كهذا . لم يشعر بالصوت الإلهى يتكلم فى داخله . بل كان يعتمد على تدخل الكاهن (ع ١٩ و ٣٦) . كان يبدو من أقواله ومن أعماله أنه يعتقد بأن النصرة تتوقف كلية على الجهود التى يبذلها هو ورجاله . وإذ منع استخدام المنعشات البسيطة ، كالتى يقدمها العسل البرى ، خسر النتائج الكاملة لتدخل الله .

أيمكن أن يعقل بأن خلاص الله لشعبه كان يتوقف لو أنهم مدوا طرف النشابات التى كانت فى أيديهم ليتذوقوا العسل البرى ؟ أنظر (ع ٢٤ - ٣١) . لقد أظهر شاول ، طول اليوم ، ولا سيما فى هذا القسم (الحلف) الذى كان بلا معنى ، والذى وضعه على الشعب ، قاصدا عدم الاسراف فى الوقت ، لكنه فى الواقع عرقل النتيجة الكاملة . فى كل هذا أظهر شاول أنه لا يدرى شيئا عن تلك الفكرة التى أنعشت قلب ابنه النبيل ، وهى أن الله كان يعمل بوسائط بشرية ليقتص من الجيش المهاجم .

٣ - اتكل يوناثان على الله . ولم يخزه الله :

الإيمان هو القوة التى لا تقهر ، التى بها نحصل على معونة سلسلة كاملة من النواميس والقوات ، التى لا يعرفها الأشخاص العاديون . سبق أن قلنا أن هؤلاء الأشخاص العاديين يتصلون بالعالم الطبيعى وعالم العلم . أما نحن فنضيف الى هذين العالم الروحى الأبدى . وهكذا نقدر أن نحصل على نفس النتائج ، بل أفضل ، بمساعدة الطاقات التى هى أعظم جدا من الطاقات العادية المستخدمة ، كما أن طاقة الكهربائية أقوى من طاقة الحصان أو البخار . كان هذا هو سر نجاح يوناثان .

وهكذا صعدا على سفح الصخرة الشديدة الانحدار . واتفقا على العلامة التى تبين أنهما يعملان وفق مشيئة الله ، وأن الله لن يخزيهما (ع ٦ - ١٠) ان قلب الإنسان ، فى بداية مخاطرته للسير فى طريق الإيمان ، يشتاق جدا الى علامة تؤكد له بأنه لا يتبع السراب ، أو أنه منخدع بالأضاليل .

وقد أعطيت لهما هذه العلامة فى أصوات الاستهزاء التى صدرت من طليعة الجيش ، الذين هزأوا بفكرة الخوف من العبرانيين (ع ١١) ، حتى وان نجحوا فى تسلق الصخور . لقد قالوا « هوذا العبرانيون خارجون من الثقوب التى اختبأوا فيها . فأجاب رجال الصف يوناثان وحامل سلاحه وقالوا أصعد الينا فنعلمكما شيئا » (أو « لأننا نريد أن نتعرف بكما ») .

كانت هذه علامة من السماء تحمل تأكيدا بأن « الرب قد دفعهم ليد اسرائيل » (ع ١٠) ، بالإيمان تمسك النفس باستجابة الله ، « مهما سألنا ننال منه » (١ يو ٣ : ٢٢) . لكن هذا يتوقف على أتمام الشرط الوحيد الجوهرى للصلاة الناجحة » الذى كثيرا ما تغاضينا عنه . « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه (١) فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٤) .

ان النفس التى تعتمد على الله لا يمكن أن تخزى . لما وصل الشابان لبتياميثيان القمة استخدما سلاحهما بدقة شديدة حتى أنهما ضربا « نحو عشرين رجلا » وسرى الارتعاد منهم الى بقية الجيش الأصلى المتخلف ، والى جماعة المخربين العائدين من غاراتهم الليلية .

لم يدرك الفلسطينيون أن هذين الشخصين ، كانا وحدهما ، لا يرافقهما أحد . لقد ظنوهما أنهما طليعة رجال خطرين جدا . وفجأة ، وفى ذعر شديد ، شك كل واحد فى صاحبه بأنه متآمر عليه ، « وإذا بسيف كل واحد على صاحبه. وكان اضطراب عظيم جدا » .

وفى نفس الوقت ثار أيضا العبرانيون على الفلسطينيين الذين كانوا متحالفين معهم منذ أمس وما قبله ، أو الذين كانوا خاضعين تحت سلطاتهم . « وسمع جميع رجال اسرائيل الذين اختبأوا فى جبل افرايم أن الفلسطينيين هربوا فشدوا هم أيضا وراء هم فى الحرب (ع ٢٠ - ٢٢) .

تطلع شاول من مرقبه فى جبعة فرأى الذعر الشديد ، « وإذا بالجمهور قد ذاب وذهبوا متبددين » . ومن دون ابطاء أسرع هو وجنوده وراء الأعداء الذين هربوا على عجل ، نازلين إلى الوادى الطويل ، « وعبروا بيت آون » ، وبيت حورون العليا والسفلى ، لكى يدركوا حدود الفلسطينيين عند وادى أيلون .

---

(١) فآمنوا أنكم تلتموه « حسب الترجمة الانكليزية » فآمنوا بأنكم تنالونه » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة القبطية .

وكان شعب كل مدينة يمر بها هؤلاء الهاربون يجرون وراء هم ، وينضمون الى مطارديهم ، وهكذا أخضع جدا الجيش الهارب ، وخضب ألوف من الأبطال بدمائهم الأرض التى اضطهدوها بعنف . هكذا خلص الله شعبه استجابة لإيمان يوناثان .

كانت للأمر الذى أصدره الملك بتحريم الطعام على الجيش نتيجة مرعبة . أولا لأن الشعب قد أعيا وخارت قواه ، وثانيا لأنهم « ثاروا على الغنيمة فأخـذوا غنما وبقرا وعجـولا وذبحوا على الأرض وأكل الشعب على الدم » دون أن يتحفظوا من الدم .

والأسوأ من هذا أنه عندما انتهى اليوم « سأل شاول الله ..... فلم يجبه فى ذلك اليوم » . أدرك أن السبب فى هذا خطية ارتكبت ، ويجب كشفها والتكفير عنها . لم يبحث عن هذه الخطية فى قلبه حيث كان يجدها بكل تأكيد بل بحث عنها فى الشعب المحيط به .

وأخيرا وقف هو ويوناثان أمام الشعب ، على أساس أنهما أغضبا الله . وكان شاول - فى حنقه - مستعدا أن يضحى بابنه .

لكن الشعب افتداه ، إذ صرخوا قائلين « أيموت يوناثان الذى صنع هذا الخلاص العظيم فى اسرائيل . حاشا . حى هو الرب لا تسقط شعرة من رأسه الى الأرض . لأنه مع الله عمل هذا اليوم » (ع ٤٥) .

آه ، ان سبب الفشل فى ذلك اليوم كان يرجع بكل تأكيد الى واحد من الاثنين . لكنه لم يكـن راجعا لأى خطأ فى يوناثان . كان شاول هو وحده الملوم . أنه لم يضيع فقط أعظم فرصة فى حياته ، لكنه كان يغلف نفسه بعدم الإيمان ، والغيرة ، والحسد ، والطبع الكئيب الحزين ، هذه كلها التى جعلت شمسه تغيب إذ كان لا يزال نهار .

+ + +

١٧

فشل أمام الامتحان الجوهرى

(١ صم ١٥ : ٢٦ (١))

أيها الإنسان الغانى ان ابتسمت لك الحياة وحصلت على كل ما تفكر فيه فأذكر أن الذى سقط من السماء الى جهنم يريد أن يتخذك له صديقا فسلم لله ذاتك بكليتك وهوذا يوجه اليك دعوته الكريمة

[كبل]

على شاطئ البحر الميت ، المغطيين بالملح ، تناثرت جذوع أشجار كبيرة انتزعت من جذورها وحملها تيار نهر الأردن الجارف ، فى انحداره من أعلى الجليل إلى منخفض ذلك الوادى المعروف . وهى إذ تصطف على هذين الشاطئين المقفرين تذكرنا بحياة أولئك الذين غرسهم الله ليثمروا ويظللوا ، لكنهم لم يتمموا القصد الأصلى من خلقتهم ، بل انتزعوا من جذورهم ، وحملوا إلى بحر الموت . كان شاول أول ملك لاسرائيل ، من أبرز هؤلاء .

من المستحيل أن نتصفح التاريخ المقدس دون أن نحزن ونكتئب لأن حياته الأولى التى كانت تبشر بنجاح عظيم انتكست سريعا ، ولأن ذاك الذى وقف فى فجر حياته وسط هتاف الاستحسان من شعبه ، إذ كان يرجى منه أن يصنع عجائب لأرض آبائه ، وصار واحدا ممن يصفهم كتبة الكتاب المقدس بأنهم فشلوا فى تحقيق القصد السامى من حياتهم ، وأبعدوا عن مراكزهم ، ونبذوا ، كأوان غير نافعة ، بيد الصانع الأعظم .

فى هذا الاصحاح نرى حديثا عن رفضه النهائى ، الذى سبق أن هدد به ، لكنه تم وقتئذ .

---

(١) « فقال صموئيل لشاول لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكا على اسرائيل » .

١ - امتحان الدعوة الإلهية والأمر الإلهى :

« أذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم . بل اقتل رجلا وامرأة . طفلا ورضيعا . بقرا وغنما . جملا وحمارا » (١ صم ١٥ : ٣) .

هذا الأمر صدر اليه بعد عدة سنوات منذ الحادثة المدونة فى الأصحاح السابق . وفى تلك السنوات لقى شاول تشجيعات عجيبة . فان حفنة الرجال الذين تبعوه ، مرتعدين ، ازدادوا وصاروا جيشا عظيما ، مدربا تدريبا كاملا ، ومسلحا ، تحت قيادة ابنير بن نير عمه . ثم أنه أيضا أشهر حروبا ناجحة ضد موآب وبنى عمون فى الشرق ، وضد آدوم فى الجنوب، وضد ملوك صوبة فى الشمال . وحيثما وجه جيشه كان ينتصر فوق انتظاره (ص ١٤ : ٤٧ - ٥٠) .

وواضح أيضا أنه جمع حوله مجدا عظيما ، لأننا نجد أنه كانت تمد مائدة ملكية له ولأبنير وليوناثان التى أقيم عليها وسط ظروف معاكسة بدأت تنال المهابة والاحترام ، واستطاع شاول أن ينافس ، فى عظمته ملكه وجيشه . ملوك الممالك المتاخمة لكنعان .

فى ذلك الوقت دخل الامتحان الرهيب ، الذى كثيرا ما يأتينا فى أيام الرخاء والنجاح ، فى أيام الصيف الحارة تكون أكثر عرضه للفساد والعدوى . وفى أيام النجاح والرخاء تعرض النفس لأمتحانها الرهيب دون أن تدرك أهمية المحنة .

ان كنت أخيرا قد حفظت من محنة خاصة ، ان كانت ظروفك قد أصبحت سهلة ، ان كانت الطرق الخشنة قد أصبحت ناعمة ، فكن على حذر . لأنه فى وقت لا تنتظره يأتيك ابن الانسان ليدعوك للمحاكمة .

ويلاحظ أيضا أن هذا الامتحان الرهيب أعطاه فرصة نهائية لاصلاح حياته الماضية . منذ سنوات ، فى الجلجال ، أخبره الله على لسان صموئيل أن مملكته لا تستمر . لكنه لم يصدر حكم بخلعه من الملك ، أو برفضه . وكان يبدون أن هذا الأمر الأخير أعطى اليه لتقديم فرصة اليه لمحو فشله السابق وخطأه ، ولاسترداد الفرص التى كان يبدو أنها ضاعت نهائيا .

كثيـرا ما يأتى إلينا الله بعد ارتكاب خطأ جسيم يبدو أنه لا يمكن اصلاحه ، وهو يعطينا فرصة أخرى لنقض الماضى ، كما قال ربنا لتلاميذه فى بستان جثسيمانى « ناموا الآن واستريحوا » ، وبعد لحظة أضاف قائلا « قوموا نذهب » . كأنهم قد أعطيت اليهم فرصة أخرى للاشتراك فى آلامه .

كان الأمر الالهى يتضمن استئصال العمالقة استئصالا كاملا ، لأن الكلمة « حرموا (١) » طالما استعملت فى سفر يشوع لتحـريم مـدن الكنعانيين التى

---

(١) « أبيدوا أبادة كلية » حسب الترجمة الانكليزية « أبسـل » حسب ترجمة اليسوعيين ، وكلمة « أبسل » معناه اسلمه للهلاك .

لعنتها الخطية . وهى بهذا المعنى تتضمن أن كل مدينة أو رجل ، أو امرأة ، أو طفل ، أو حتى بهيمة ، تحرم ، يجب ابادتها ، أما المعادن النفيسة فإنها وحدها هى التى تبقى بعد أن تجوز النار المطهرة (عدد ٣١ : ٢١ الخ) هكذا كان مطلوبا ابادة اسم عماليق من تحت السماء ابادة كاملة نهائية .

كان هنالك عداء مستحكم بين عماليق واسرائيل منذ عصور سحيقة . هكذا يقول رب الجنود . انى أفتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له فى الطريق . عند صعوده من مصر » (ع ٢) . تذكرون أن موسى « بنى مذبحا ودعا اسمه « يهوه نسى » أى « الرب رايتى » ، لأنه قال للرب حرب مع عماليق » الى أن يمحو عار شعبه (خر ١٧ : ١٥ و ١٦) . مرت أجيال دون تنفيذ هذا التهديد الى تلك الساعة حتى أعطى الأمر « أذهب واضرب عماليق » .

قد يبدو مرعبا جدا ، فى أول الأمر ، أن يطلب الله هذه الطاعة من شاول . لكن ، من الناحية الأخرى ، كان العمالقة خطاة جدا كما نرى فى (ع ١٨) . ويتضح أيضا مما ورد فى (ع ٣٣) أن أجاج (ملك عماليق) أثكل بسيفه نساء كثيرات . كان هؤلاء العمالقة جماعة لصوص قساة متوحشين ، يهجمون دواما على حدود يهوذا الجنوبية . لهذا كان ضروريا جدا ، لأجل سلامة الشعب المختار ، أن تكسر شوكتهم نهائيا وتبطل سطوتهم المؤذية .

حتى فى هذا العالم ينصب الله كرسى دينونته . وكما أخبرنا مخلصنا فى حديثه الأخير العجيب أن « ابن الانسان يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » (مت ٢٥ : ٣١ و ٣٢) . لا شك فى أن هذه الكلمات تنذر بحدث مهيب يجب أن نشهده فى ذلك اليوم العظيم ، عندما يدعو ملك الدهور أمام كرسى دينونته كل أمة وقبيلة ، وشعب ولسان ، ويعلن أحكامه .

لكننا لا يمكن أن نصدق لحظة واحدة أن دينونة الأمم قاصرة على اليوم الأخير . ففى كل تاريخ العالم وجدنا الأمم تقف أمام كرسى دينونة المسيح . وقفت أمامه نينوى ، وبابل ، واليونان ، والرومان . وهنالك أمم أخرى واقفة أمامه اليوم . لقد سمعه أمة بعد أخرى هذا الحكم الرهيب « أبعدوا عنى » فأبيدت أبادة تامة نهائية لا علاج لها .

وقف العمالقة أمام كرسى دينونة الله ، ووزنوا بموازينه ، ووجدوا ناقصين . فصدر عليهم الحكم ، ودعى شاول لتنفيذه . لكن أذكروا بأن شاول طلب منه أن يعمل بصفة عاجلة ما كان لابد أن يتم - بدون هذا - بعوامل الفناء الطبيعية . لأن الله كوننا بكيفية معينة بحيث أننا عندما نخطئ ضد نواميس الحق ، والطهارة ، والبر ، فان عوامل الفناء تعمل فى الحال بناموس محتم .

لو لم يكن شاول وجنوده قد هجموا قط على عماليق لكانت الرذائل العاملة فعلا فى قلب العمالقة قد أدت الى خراب وهلاك الأمة هلاكا كاملا نهائيا ، يقال عن العائلات فى مدننا الكبيرة ، التى أفسدتها الشرور المنتشرة بيننا انها تتلاشى بعد خمسة أجيال إذ تفقد قوة التوالد وما يصح على الأسرة يصح أيضا على الأمة .

لهذا نستنتج أنه كانت هنالك رحمة فى ذلك الأمر الالهى الصادر بابادة العمالقة . كان خيرا جزيلا لعماليق ، وللشعوب المجاورة التى كان لابد أن تسرى اليها العدوى من فسادها وفنائها البطئ ، أن يقضى عليها بضربة واحدة من فأس شاول .

٢ - طاعة مع التحفظ :

قيل فى (ع ٩) « وعفا شاول والشعب عن أجاج » . عندما أعلن الحرب تجمع مائتا ألف راجل من اسرائيل ، وعشرة آلاف رجل من يهوذا وبنيامين وشمعون ، والتفوا حول رايته فى طلايم ، على الحدود الجنوبية ، وجاءوا الى مدينة عماليق الرئيسية التى ربما كانت تبعد قليلا عن جنوب حبرون .

وبعد أن « جاء شاول إلى مدينة عماليق وكمن فى الوادى » ، وأعطوا أشارة للقينيين - وهم شعب مسالم محب - لكى يبتعدوا « أذهبوا حيدوا » ، هجم الجيش على المدينة ، وقتلوا بالسيف الرجال والنساء والأولاد ، واقتفوا آثار بقية العمالقة الهاربين « من حويلة الى شور التى مقابل مصر » ، وهى سور مصر العظيم . وباستثناء أجاج ، وقليلين ممن هربوا ، وخيار الغنم والبقر ، تخلصت البلاد من سكانها ، وساد عليها صمت الموت .

عاد شاول مزهوا بالانتصار ، وأقام تذكارا للنصر فى واحة الكرمل ، بالقرب من حبرون ، ثم نزل إلى المكان المقدس فى الجلجال لكى يذبح للرب ، وربما ليقسم الغنيمة الكبيرة من الغنم ، والمعيز ، والثيران ، والجمال ، التى وصلت الى يده ، والتى عفا عنها هو والشعب . « وعفا شاول والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف وعن كل الجيد ولم يرضوا أن يحرموها . وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها » (ص ١٥ : ٩) .

لا نعرف على وجه التدقيق أن كان هذا التصرف يعزى الى جشع شاول ، وهو الأرجح ، أو الى أنه ، كما قال فى (ع ٢٤) ، خاف من أن يعارض الشعب ، وسمع لصوتهم دون صوت الله . لكن التعبير الذى استخدمه صموئيل فى (ع ١٩) يلقى ضوءا شديدا على هذا الحادث ، إذ قال له أنك « ثرت على الغنيمة » ، مستخدما نفس التعبير الوارد فى (ص ١٤ : ٣٢) ، حيث قيل أن الشعب فى جوعهم الشديد « ثاروا على الغنيمة » ، بل أكلوا على الدم ، ويبدو أن شاول وكل رجال اسرائيل كانت تدفعهم نفس هذه الثورة الجامحة .

يقينا أن الجشع والطمع وشهوة السلب والنهب كانت تعمل فى قلوبهم ، وأمام التيار الجارف اكتسحت كل حصون المبادئ والضمير .

أننا لنرى فى هذا دروسا لنا أجمعين . فنحن مستعدون لاطاعة الأوامر الإلهية الى حد محدود ، وهناك نقف . وحالما يمس أفضل ما عندنا ، وخيار ما نملك ، نتوقف ونرفض الاستمرار فى الطاعة . نحن نصغى الى الأصوات الناعمة التى تأمرنا بأن نمنع أيدينا عندما يكون ابننا العزيز اسحق على المذبح. نحن مستعدون للتسليم فيما لا يكلفنا شيئا ، لتسليم أموالنا ، لا أولادنا، للخدمات التبشيرية ، للتسليم فى النواحى الواضح بجلاء أنها خاطئة ، لا فى محبة الذات التى هى مغرية لجميعنا . « جلد بجلد وكل ما للانسان يعطيه لأجل نفسه . اترك له نفسك فقط ، وعندئذ يتنازل بسرور عن كل ما عداها . هنالك ميل دواما فى أفضل الناس بيننا للتضحية بكل شئ حسب أرادة الله ان كان فقط يسمح لنا بانقاذ أجاج وخيار الغنيمة .

هنالك تفسير أعمق لهذه الحادثة . فى كل الكتاب المقدس يرمز عماليق الى الجسد ، فانه قد نشأ من أصل عيسو ، الذى باع بكوريته لأجل أكله واحدة شهية . ويقينا أن الاحتفاظ بأفضل ما فى عماليق يساوى الاحتفاظ ببعض ملذات مغرية ، وببعض خطايا محبوبة .

يرمز أجاج الى بعض النزعات الشريرة الكائنة فينا أجمعين ، والى أشباع شهوات النفس . والاحتفاظ بأجاج يعنى الأشفاق على أنفسنا ، والتهوين من سقطاتنا والتماس الأعذار فيها ، وتغميض العين عن الخطية المحيطة بنا .

هل هذه هى الحال معك ؟ ربما تكون مستعدا لتسليم المسيح مفتاح كل خزانة فى قلبك ، إلا مفتاحا واحدا . لكن هذه الخزانة ، التى تريد الاحتفاظ بمفتاحها ، تحتوى خطيتك المحبوبة جدا ، التى تجد لها مبررات كثيرة ، والتى فى سبيل الاحتفاظ بها أنت مستعد لتضحية كل شئ آخر . هكذا احتفظ حنانيا وسفيره بجزء من ثمن الحقل الذى باعاه ، فهلكا .

من الغريب جدا أن نرى بأن قتل شـــاول تم فى ساحة جلبوع بيد عماليقى (٢ صم ١ : ١ - ١٠) . يالها من حقيقة مذهلة . أن أبسط شخص غير متعلم يستطيع أن يقرأ هذا الدرس . حتى من يركض يستطيع أن يقرأه . أن كنا نشفق على أنفسنا ، ونرفض قطع اليد اليمنى أو الرجل اليمنى التى تعثرنا ، فإننا سوف نهلك يقينا بنفس اليد التى احتفظنا بها . والشهوات التى انغمسنا فيها سوف تؤدى إلى هلاكها . ومحبة الله ، إذ ترى مقدما الخطر الذى ندفع أنفسنا اليه ، تتوسل الينا أن نبيد ، بدون رأفة ، أعداء سلامنا . لكن أجاج يتسلل الينا برقة ، فنرفض تنفيذ الحكم الالهى ، وللحال يبطش بنا القاتل ، وتخضب الأرض الخضراء بدمائنا ، وينزع منا اكليلنا ، ويعطى لآخر .

١٨

محـــاورة بــارزة خالدة

(١ صم ١٥ : ١٢ - ٣٥)

أنك قد أخترت الأرض نصيبا لك ، وشهدت أنه كان الأفضل للروح أن تعضد الجسد من أن يرفض الجسد أن يتقوى تحت عمل الروح لقد أبعدت عن سماء الروح فأشبع رغباتك بالعالم، وحده فقد أصبح ملكا لك إلى الأبد

[ر . ب .]

همس الصوت فى أذن صموئيل فى الليل البهيم بأن شاول قد زل ولم يطع، وذلك حين أقترب منه الله وقال له « ندمت على إنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى » (ع ١١) .

الله يطلب الطاعة الحرفية . وعندما لا تتوفر تكون النتائج كأن الله غير مقاصده ، أو ندم . لكن هذا حسب الظاهر فقط . فحقيقة الأمر أن الله لا يمكن أن يندم أو يغير مقاصده . قد يفسد الإنسان تنفيذ خطة الله . أما الله القادر على كل شئ فإنه ينقذها بهذه الطريقة أو تلك . قد تهب الريح بانتظام فى نفس اتجاه واحد ، وطالما كنا مطيعين لها ، فإنها لابد أن تنقلنا بسلام الى الميناء التى نقصدها . لكن فى استطاعتنا دواما أن نعكس خط سيرنا ، ونسير ضده ، وعندئذ تتأثر حياتنا جدا . فيبدو كأن الله غير قصده ، مع أن التغيير حدث من جانبنا ، لأننا كنا نتحرك قبلا وفق قصده ، أما الآن فاننا نقاومه ، وذلك بعدم الطاعة وعدم الايمان .

هل أتاك الله ليلا ، أو عندما كانت الدنيا ساكنة هادئة ، وحدثك عن أسراره ؟ طوبى لمن يأتمنهم الله ويكشف لهم عن حزنه العميق على فشل خدامه المخلصين ، ويشرفهم بثقته ، ويطلب منهم أن يسهروا معه . « هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله » (تك ١٨ : ١٧) .

لقد تألمت جدا نفس صموئيل الأمين . فالكتاب يقول انه « اغتاظ » ، حزن بحق لأن شخصا أقيم بكل هذه المراسيم المجيدة ، وكان يرجى منه أن يتمم لشعبه مثل ذلك الخلاص العظيم ، قد فشل فشلا ذريعا .

إن المخلصين لله لا يمكن إلا أن يغتاظوا عندما تفشل مقاصده ، ويساء الى نعمته ، عندما يغلق باب الخدمة النافعة الذى فتحه واسعا أمام خادم أمين ، ويوصد باحكام بسبب الأهمال ، أو تعمد عدم الطاعة .

« وصرخ الى الرب الليل كله » . آه ، كم نحن مدينون لصديقنا الالزق من الأخ ، ولكل أصدقائنا من البشر ، الذى عندما يرون عوامل الفساد تدب فى داخلنا لا يستريحون ولا يعطون الله راحة . هذه أجل خدمة يمكن أن يقدمها الصديق لصديقه . طالما كان هنالك محب وصاحب وصديق مخلص يرفعون قضيتنا أمام الله ، ويعلنون له أنهم يفضلون أن يكونوا محرومين عن أن نهلك ، فهنالك رجاء عظيم لنا .

كم من شبان يعيشون الآن حياة فاسدة ، لكنهم فى ساعة هادئة ، أو عندما تطوح بهم طرق الشر أى فراش المرض ، ويرون أنفسهم بعيدين عن طريق الحياة ، يعزون أنفسهم بهذه الفكرة أن أمهاتهم لا تكففن عن الصلاة من أجلهم ، ويرجون رجاء حارا بأن تستجاب صلواتهن ، وينقذهم الله من الشهوات الملتهبة التى تطارد أنفسهم .

سافر صموئيل نحو خمسة عشر ميلا بحثا عن شاول ، سائرا وراءه من الكرمل ، حيث أقام شاول تذكارا (نصبا) كما رأينا ، الى الجلجال ، حيث كانت خيمة الاجتماع القديمة ، وحيث كان شاول يقدم الذبائح للرب ، وهناك تمت هذه المحاورة العجيبة .

– شاول . بدأ الملك الحديث . فإذا رأى النبى مقبلا نحوه ، تقدم ليقابله بهذه العبارة الحلوة على شفتيه « مبارك أنت للرب » وبشئ من السرور أضاف قائلا « قد أقمت كلام الرب » . لا نعرف أن شاول قد انطمست بصيرته ولم يدرك إلى أى درجة وصل به الانحطاط ، لأن التمرد على الله يضع غشاوة على أعيننا يقينا فلا نرى جسامة خطايانا ، أم أنه أراد أن يدارى سقطته ، ويظهرها بمنظر براق ، بحيث يظهر بأنه ابن مطيع ، وذلك لكى يخدع النبى .

لكن كلمة « مبارك أنت للرب » إذ خرجت من فمه ، فى تلك اللحظة كان لها رنين كئيب. أنها تذكرنا بالبعض الذين يمزجون معاملاتهم العالمية بالاشارة الى الروحيات، وقصدهم بهذا أن يسلبوا عقول البسطاء، ويخدعوهم تحت ستار الدين.

لا شئ يؤدى إلى الهلاك أكثر من هذا . كانت هذه هى خطية يهوذا الذى اسلم سيده بقبلة . أن العدو الظاهر خير من سافك الدماء المتخفى . والسهم الذى يطير فى النهار خير ألف مرة من الوبأ الذى يمشى فى الظلام .

– صموئيل . فى تلك اللحظة بدأت أصوات الغنم والبقر تسمع . وصلت لأذنى النبى أصوات تنم عن وجود عدد وفير من الغنم والبقر بالقرب منه . أنه لأمر مؤسف جدا أنه عندما يؤكد المرء صلاحه بصوت مرتفع يحدث فجأة ما يكذب كلامه ، كصوت الغنم والبقر . أذكر مرة أن شخصا متدينا جدا أراد أن يؤكد لى قداسته الكاملة بتقديم أدلة قوية تؤيد صدق قوله ، وإذا به يتبين أنه مدمن على التدخين ، وذلك من رائحة فمه . وأنا لم أنطق بكلمة واحدة عن التدخين وأحسست أنه ليس من شأنى أن استقبح عادات قد لا يدين الله الناس عنها بصفة عامة . ومهمتنا . فى المسائل التى ليس واضحا تحريمها وضوحا تاما ، والتى يختلف بصددها المسيحيون ، هى أن نضع قواعد عامة ، ونترك لمستمعينا أن يطبقوها على أنفسهم . لكن عندما استمر هذا الشخص فى تأكيده لقداسته الكاملة أزددت انتباها بطبيعة الحال ، وتبينت من رائحة فمه أنه لا يزال محتفظا بخيار الغنم والبقر .

وعندئذ قال النبى ، بحزن ، وبتهكم « وما هو صوت الغنم هذا فى اذنى وصوت البقر الذى أنا سامع ؟ » .

– شاول . التمس الملك العذر لنفسه بوضع التبعة على الشعب إذ قال « من العمالقة قد أتوا بها لأن الشعب قد عفا عن خيار الغنم والبقر لأجل الذبح للرب الهك » . لاحظ مراوغة شاول فى محاولته استرضاء النبى إذ قال له الهك . وبعد ذلك أيضا قال « وأما الباقى فقد حرمناه » . كان هذا لا يليق به كملك ، بل كان أمرا مزريا أن يلصق التهمة بالشعب ، وكان عذرا لا يمكن أن يقبل .

– صموئيل . والأرجح أن الملك الأثيم كان يريد أن يستمر فى الكلام . لكن صموئيل صده قائلا « كف فأخبرك بما تكلم به الرب الى هذه الليلة » . ثم رجع النبى الشيخ الأمين الى الماضى . وذكره بأصله الوضيع ، وكيف أنه أحجم عن القيام بمسئولية المركز العظيم الذى دعاه إليه الله ، وذكره بمركزه ، وكيف أنه رفع إلى العرش ، وكيف أن ملك اسرائيل الأعظم ، ملك الملوك ، انتدبه ليباشر جزء ا من سلطته ، متطلبا منه أن يعمل كنائب عنه ، وكسفيره . وذكره بأنه قد كلف بمهمة خاصة ، وبأن تحديد خطة التصرف لم تعط له بل

لله الذى أصدر أمره بابادة عماليق . وبالرغم من كل هذا فقد دفع الطمع شاول للاسراع فى عدم الطاعة . لقد « ثار على الغنيمة » كثورة الأسد الجائع على فريسته ، « وعمل الشر فى عينى الرب » .

– شاول . كرر الملك حجتـه الواهية : « أنى قد سمعت لصوت الرب وذهبت فى الطريق التى أرسلنى فيها الرب وأتيت باجاج ملك عماليق وحرمت عماليق . فأخذ الشعب من الغنيمة غنما وبقرا أوائل الحرام لأجل الذبح للرب الهك فى الجلجال » .

وكأنه قد قال : « أنك حكمت على ظلما . لو كنت انتظرت على لحظة لرأيت نتيجة عدم طاعتى الواضحة » . وربما كان قد تملق نفسه بالظن بأنه قصد ذبح هذه الغنيمة الآن وقد وصل الى الجلجال . أو ربما يكون قد قصد فى قلبه هناك ، ووقتئذ بأن يذبحها ، وبهذا يخلص نفسه من الموقف المعقد الذى وجد نفسه أنه قد انزلق فيه .

– صموئيل . وردا على هذه الملاحظة الأخيرة نطق رسول الله بعبارة من أمجد كلمات الكتاب المقدس ، وكانت نواة لما قيل فى الأنبياء على شاكلتها ، وكررت بأشكال مختلفة فى الأجيال التالية ، وقد أكدها أيضا ربنا المبارك ، «فقال صموئيل هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة . والاصغاء أفضل من شحم الكباش » .

مهما أراد شاول أن يستنتج مما قاله ، بصدد عزمه على تقديم ذبائح ، فمما لا شك فيه أنه – على الأقل الى تلك الساعة – خالف أمر الله الصريح ، وكان كل اتجاه نفسه نحو التمرد والعصيان ، الأمر الذى كان يهدف الى اتمام ارادته ضد ارادة الله .

وبعد ذلك كشف النبى الحجاب ، وبين شناعة الخطية التى ارتكبت بقوله «لأن التمرد كخطية العرافة ، والعناد كالوثن والترافيم » . كانت هذه خطايا يمقتها الجميع ويحتقرها الصالحون . أما فى نظر الله فقد كانت لا تقل عن الخطية التى ارتكبها الملك .

وإذ تطلع النبى اليه بعينين ثاقبتين أعلن له فى عظمة سلطانه – كممثل لله – حكم الله النهائى الذى يقتضى عزله من الملك ، قائلا « لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك .

– شاول . وفى لحظة أدرك الملك حافة الهاوية التى كان واقفا على حافتها . وفى صرخة ، لا صرخة التائب ، بل صرخة الهارب من العدالة ، لا كارها

خطيته ، بل خائفا من نتائجها ، متلهفا على الاحتفاظ بعرشه بأى ثمن ، وخائفا من النتائج التى قد تنجم إذا اكتشف عظماؤه انقطاع الصلة أو فتورها بينه وبين النبى - تذلل أمام صموئيل قائلا « أخطأت لأنى تعديت قول الرب وكلامك. لأنى خفت من الشعب وسمعت لصوتهم ، والآن فاغفر خطيتى وارجع معى فأسجد للرب » .

هنالك اختلاف كبير فى الطريقة التى بها ينطق الناس بهذه الكلمة « أخطأت » . لقد نطق بها الابن الضال بصوت متهدج وشفتين متلعثمتين ، لا لأنه خاف من نتائج الخطية بل لأنه رأى شناعتها فى التعبير الذى كان ينم عنه وجه أبيه ، والدموع المنهمرة من عينيه . أما شاول فقد خاف من نتائج الخطية ذاتها . ولكى يغير الحكم الذى صدر ضده قال « أغفر خطيتى » .

- صموئيل . رأى النبى مراوغته . أدرك أنه لم يكن مخلصا فى تأسفه ، وأنه كان يضلله بكلماته . « ودار ليمضى » . وإذ تضايق شاول جدا ، خائفا لئلا يخسر أفضل صديق ، أن خسر صداقة صموئيل ، ويخسر احترام الأمة وولاءها ، قفز الى الامام « وأمسك بذيل جبته » . وإذ أمسك الذيل بقوة وتشبث به ، لعله يعيد صموئيل اليه ، « انمزق الذيل » .

وعندما أحس صموئيل بالتمزق وسمعه ، قال « يمزق (١) الرب مملكة اسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك » . وإذ أشار الى المجهود الذى بذله شاول ليرجعه ، كأنه أراد أن يغير الحكم الذى نطق به ، قال « وأيضا نصيح (٢) اسرائيل لا يكذب ولا يندم . لأنه ليس أنسانا ليندم . حكمه لا يرد . لقد خرجت الكلمة من فمه ولا ترجع . لن توجد فرصة لتغيير فكرة ، حتى وان طلبتها بمرارة وبدموع .

وحتى فى هذه اللحظة ، لو كان شاول قد ارتمى عند قدمى الله وطلب الغفران ، لكان قد قبله وغفر له . كان ممكنا أن يغفر له كانسان عادى حتى وان كان ملكه قد زال عنه كملك . لكن هنالك لحظات فى حياتنا نتخذ فيها خطوات لا يمكن اصلاحها ، ونتخذ مواقف لا يمكن أن نتراجع عنها ، وتحل بنا نتائج لا تنقض .

---

(١) « لقد مزق » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « بهاء » حسب ترجمة اليسوعيين .

- شاول . فكرر الملك عبارته ثانية « قد أخطأت » . لكن قصده الحقيقى كشفت عنه الكلمات التالية : « والآن فاكرمنى أمام شيوخ شعبى وأمام اسرائيل وارجع معى فاسجد للرب الهك » . كان لا يزال قصده الداخلى أن يظهر بمظهر حسن أمام الشعب .

وكان مستعدا أن يعترف بأى خطأ كثمن لصداقة صموئيل ، ولو حسب الظاهر .

وأخيرا « رجع صموئيل وراء شاول » لكى لا يسخط عليه الشيوخ ، ولكى لا يعرف شئ عن عزل الملك ، ولا تتداعى أركان المملكة قبل أن يستعد خلفه ليحل محله . لهذا بقى معه . وسجد الاثنان - جنبا الى جنب - للرب . يا له من بون شاسع . هنا أحلك ظلام الليل ، وهناك نور النهار الكامل . هنا الشخص المرفوض ، وهناك خادم الله المثالى الأمين .

ثم استدعى صموئيل « أجاج ملك عماليق . فذهب اليه أجاج فرحا » . وكان يرجو بكل تأكيد أن ينجيه . وقال وهو يتقدم « حقا قد زالت مرارة الموت . فلا داعى للخوف من الموت » .

وإذ حمى غضب صموئيل بعدل أمسك سيفا كان قريبا منه « وقطع أجاج أمام الرب » . وكان ذلك رمزا للغيرة المقدسة التى لا تشفق على الجسد . وهذه تذكرنا بكلمات الرسول « لا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات » (رو ١٣ : ١٤) . فيجب أن لا نشفق على عماليق .

ليت الرب يعيننا لكى نتعمق فى التأمل فى هذه المأساة ، عندما يقدم الينا الله أبونا امتحانا خطيرا فلنطعه مهما كانت التضحية . كل شئ يتوقف على الطاعة المطلقة . ان كان لا يمكنك أن تطيع فلا يمكنك أن تأمر . أن كنت لا تطيع فلست أهلا لكى تكون أداة فى يد الله . ان كان الأزميل فى يد النحات غير صالح للاستعمال فإنه لا يجرؤ على استعماله . « فلنسلك بالتدقيق كحكماء . مفتدين الوقت » ومنتهزين الفرص لكى يستخدمنا الله أحسن استخدام » ولكن - قبل كل شئ - لا نكون مرفوضين .

+ + +

١٩

« روح ردئ من قبل الرب »
(١ صم ١٦ : ١٣ و ١٤ (١))

ألا تستطيع أن تعالج عقلا مريضا وتنتزع من الذاكرة حزنا متأصلا وتستأصل المتاعب المتعمقة في المخ وبدواء حلو ناجح تطهر الصدر من مرضه الخطر الذي يضغط على القلب الذي يضغط على القلب

[شيكسبير]

كل المصورين الأفذاذ ، والشعراء العظماء ، انتفعوا بقوة التباين – فانهم يرسمون أرضية الصورة سوداء لكى يبرزوا منظرا جميلا براقا . ويتفوق الكتاب المقدس على الجميع باستخدام هذه الطريقة من التأكيد . ففى الاصحاح الأول يصف العالم بأنه كان خربا وبلا منظر وخاليا « وعلى وجه الغمر ظلمة » . هذه هى أرضية الصورة . وبعد ذلك تأتى الصورة المنيرة ، فقد خلق الله النور لينير الخلاء . وفوق الأرضية السوداء ، الخراب والتشويش ، يرتسم نظام وجمال المسكونة .

وأيضا فى السفر الأخير الرائع من الكتاب المقدس نرى قوة التباين ، لأننا من وسط عواصف العالم واضطراباته نحمل الى فوق ، إلى الأرجاء السماوية حيث نرى الجموع اللابسين ثيابا بيضاء ، وأكاليل على رؤوسهم ، وسعف النخل فى أيديهم علامة الانتصار ، وبسلام كامل يرنمون الترنيمة ، الأبدية . بعكس كنيسة بابل المرتدة نرى عروس الحمل ، أورشليم السماوية ، مهيأة لعريسها . فى كل الكتاب المقدس نرى صورا متباينة ، وأوجه الخلاف واضحة جدا .

---

(١) « وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا .... وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردئ من قبل الرب » .

وفى هذا السفر ، صموئيل الأول ، نرى نفس الشئ ، ففى الاصحاحات الأولى ، بعد أن قلبنا صفحات سفر القضاة ، نرى شهوات جامحة ورذائل شنيعة ، سيما سلوك أبناء عالى الأشرار ، وهذه هى أرضية الصورة السوداء ونجد صورة صموئيل الصبى الصغير جاثيا على ركبتيه ، ورافعا يديه لله فى صلاة طاهرة بريئة . ان جمال تقوى هذا الصبى يزداد وضوحا بسبب الصورة القاتمة ، صورة الأدناس والشرور والقبائح التى كانت تحيط به .

وهنا ، فى نهاية هذا السفر ، حيث نرى بكيفية واضحة أن شاول يهوى إلى أسفل السافلين ، نجد الرجل الذى حسب قلب الله ، الغلام الشاب الجميل ، يدعى من وراء الغنم لكى يكون راعى اسرائيل .

بعكس أبناء عالى نجد صموئيل ، وبعكس رفض شاول نجد مسح داود . فى كل هذا السفر نجد ناموس التباين واضحا جدا .

لنتأمل الآن فى الفجر الجميل المبشر بمستقبل مجيد ، وفى المساء المعتم ، وأخيرا فى الأشعة المكفهرة للغيرة الكاذبة .

٢ - الفجر الجميل المبشر بمستقبل مجيد :

لقد « ناح صموئيل على شاول » لعله يوقف نتائج خطيته المرعبة . لكنه أعلم بأن لا فائدة من الصلاة . وبدا كأن شاول قد أساء الاختيار جدا ، وارتكب الخطية التى للموت ، والتى لا يليق بنا أن نصلى من أجلها . لذلك كانت دعوة الساعة لا إلى الصلاة ، بل ألى العمل . وأمر روح الله صموئيل بالذهاب الى بين لحم ليجد من بنى يسى من يمسحه ملكا جديدا .

ذهل صموئيل من هذا الطلب ، وقال « ان سمع شاول يقتلنى » ، ولكن روح الله أمره بأن يذهب ، ويأخذ قرن الدهن بيد ، وعجلة من البقر باليد الأخرى . وهكذا اتجه نحو اليهودية ، إلى أن وصل الي قرية بيت لحم الواقعة على منحدر الجبل ، الذى عند سفحه اختار بوعز راعوث زوجة له . وكانت القصة الخالدة عن محبتهما لبعضهما لازالت جديدة .

وعندما دخل تلك المدينة الصغيرة « ارتعد شيوخ المدينة عند استقباله » ، لأنه كان أمرا شاذا أن يزورهم ذلك النبى العظيم دون تنبيه سابق . ولهذا سألوه « أسلام مجيئك ؟ فأجابهم اجابة مقتضبة « وقال سلام » . وللحال قدم ذبيحة ، وأعد وليمة . لكن لأنه كانت هنالك فترة بين تقديم الذبيحة وأعداد الطعام ، فضل صموئيل أن يقضى تلك الفترة فى بيت رئيس القرية ، يسى البيتلحمى ، وهو رجل غنى وذو حيثية . وهكذا فى سرية البيت ، وبكيفية لا تلفت أنظار حاشية الملك شاول ، بدأ تاريخ حياة داود كملك .

جاز أمام صموئيل أبناء يسى الأشداء ، الواحد بعد الآخر ، وكان يظن أن واحدا منهم هو الذى يختاره الله ليكون ملكا . لكن مستشاره القادر على كل شئ ، والعليم بكل شئ ، أخبره بأن الاختيار هذه المرة لا يتوقف على المظهر الخارجى ، بل على صفات القلب السامية . جاز الأبناء ، الواحد بعد الآخر ، جاز الجميع عدا الصغير الذى كان مع الغنم . وأحس صموئيل بأنه قد يكون هو الملك مختار الله ، لأنه هو الأصغر والأقل . ولم يقدر أن يشرع فى ممارسة خدماته الدينية قبل استدعاء الغلام وللحال كان داود قادما من الجبال بسرعة ، « وكان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر » ، فوقف أمام النبى الشيخ . وكان هذا فجر عصر جديد ، وبداية عصر أفضل ، وبداية الملوك العبرانيين ، بل كان فوق الكل هو الرجل الذى أحبه الله .

وإذ كان أخوته واقفين حوله أخذ صموئيل قرن الدهن ، وفتحه ، وسكبه على رأس الشاب إذ كان جاثيا بين يديه ، وإذ مسحه عملت النعمة غير الصورة فى داخله مع العلامة المنظورة ، لأن الكتاب يخبرنا بأنه قد « حول روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا » ، حتى أنه ذهب بقوة الروح القدس ليبدأ عمله الخطير العظيم ، ليكون مرنم اسرائيل الحلو ، راعى شعب الله ، واضع أساس هيكل سليمان .

قد لا يكون فيك شئ من المظاهر الخارجية ، أو فى البيئة أو الظروف المحيطة بك ، ليعبر عن الصفات الملكية السامية فى داخلك ، لكن ان كشفت قلبك أمام الله أعلن بأنك ابن له ، وأنك كاهن له وملك . آه ، ليت الروح القدس يحل عليك فى هذه اللحظة . ليت روح الله القدوس يملأك حتى تستطيع أن تخرج قائلا « روح الرب على الرب مسحنى » (أش ٦١ : ١) .

٢ - مساء مظلم :

داود يمثل الصباح ، وشاول المساء . هنا شباب ، وهناك رجولة . هنا الموعد . وهناك مساء مظلم لحياة محطمة .

أولا : لاحظ بأنه بينما قيل أن « روح الرب حل على داود » ، قيل « وذهب روح الرب من عند شاول » . هذا لا يعنى بالضرورة ان كل النواحى الدينية قد تلاشت من شاول ، بل أن المواهب الخاصة ، والقدرة التى أعد بها للعمل كملك ، قد سحبت منه .

من المؤكد يقينا أن العمل الذى يتمه المرء فى هذا العالم لا يتم بمجرد قدرة ذكائه ، وسمو مواهبه ، أو تلك المواهب الطبيعية التى منحها الله له بل بما هو

أفضل من كل هذا ، بمواهب روحية يعطيها روح الله لتأدية خدمة خاصة ويحتفظ بها طالما كانت الأخلاق باقية . لكن حينما تبدأ الأخلاق بأن تتدهور وتنحط ، عندما لا تبقى هنالك صلة بين الديانة والأخلاق الأدبية ، عندما يفارق روح الله تلك النفس . وهكذا فقد شاول تلك القوة الخاصة التى كانت تمكنه من اخضاع أعدائه ، وادارة مملكته .

ثانيا : أننا نملك القوة السرية لفتح قلوبنا لروح الله القدوس، الذى يملأ الروح والنفس والجسد ، وينعش الذهن ، ويلهب القلب ، ويسمو بالحياة الأدبية ويطهرها .

ونملك، من الناحية الأخرى، تلك القوة المرعبة لتسليم أنفسنا للأرواح الشريرة، أو الأرواح الشيطانية ، التى تملأ كل الأجواء وكل الدوائر ، حتى الدوائر الروحية. عندما نولد فى العالم تكون دائرة لكياننا خالية ، تكون قدس أقداس لكن غير مأهولة. وإذ تمر الأيام تكون لكل واحد حرية الاختيار الروح الذى يسكن فيه . فالبعض يفتحون قلوبهم- بنعمة الله - ليتقبلوا عطية الروح القدس ، وهى أسمى عطية . والآخرون يتمثلون بيهوذا الذى قيل عنه أن الشيطان دخله (لو ٢٢ : ٣) ، أو بشاول الذى قيل عنه « وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردئ » .

فى حالات كثيرة يتبين أن أشخاصا معينين يسكنهم روح الشر ، بل يملأهم . وفى بعض الأحيان تنسب أشر أنواع الخطايا ، كالادمان على المسكرات ، والانغماس فى الشهوات الدنسة ، لسكن روح الشيطان . قد يكون من الحكمة فى معالجة مختلى العقول أن نذكر هذا ، ونعاملهم - كما فعل ربنا - على أساس أنهم قصور يسكنها جماعة من الأرواح النجسة ، لجيئون ، التى أمرها الرب بالخروج .

وقد قيل هنا « وبغته روح ردئ من قبل الرب » . ولتفسير هذه العبارة تفسيرا صحيحا يجب أن نذكر أنه فى التعبير العبرانى المختصر المفيد القوى يقال عن القدير أنه فعل ما سمح به بأن يتم . ويقينا أن هذا هو المقصود هنا . « فالله غير مجرب بالشرور ، وهو لا يجرب أحدا » ، لكنه يسمح لنا بأن نجرب من الشيطان (يع ١ : ١٣ ، أى ١ : ٦ - ١٢ ، لو ٢٢ : ٣١) . وربنا اقتيد بالروح الى البرية من أبليس (لو ٤ : ١ ، ٢) . وهو علمنا أن نطلب بأن لا ندخل فى تجربة ، بل ليأت تدريب الحياة الضرورية وتأديبها عن طريق آخر .

ولذلك فعندما نقرأ أن شاول بغته روح ردئ «من قبل الرب » يجب أن نعتقد بأنه طالما كان شاول قد رفض مؤثرات الروح القدس الصالحة ، واختار نهائيا طريق التمرد والعصيان ، لم يكن هنالك مفر من تركه لعمل قلبه الشرير » لقد

ابتعد حارس المساعدات الروحية ، ولم يبق ما يمنع الشيطان من الدخول اليه كما دخل يهوذا فيما بعد . تكررت هذه العبارة الرهيبة «أسلمه الله » الى ذهن مرفوض ثلاث مرات فى الاصحاح الأول من رسالة رومية (رو١ : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨) .

٣ - اشعة مقبضة فى جو مظلم :

فى (٢ صم ٢١ : ٢) نقرأ هذه الكلمات « فدعا الملك (داود) الجبعونيين ..... والجبعونيون ليسوا من بنى اسرائيل بل من بقايا الأموريين ، وقد حلف لهم بنو اسرائيل وطلب شاول أن يقتلهم لأجل غيرته على بنى اسرائيل ويهوذا » . كان شاول فى شدة الألم من كلمات صموئيل ، يتلوى تحت الحكم بعزلة من الملك ، وكان يتمنى - لو أمكن - أن يجمد الحكم الإلهى ، بحيث يظل نائلا رضى الله. كان صحيحا - وهذا ما عرفه شاول جيدا - أنه قصر فى اطاعة دعوة صريحة ، ثم أنه طمع فى أخذ الغنيمة لنفسه . لكن لماذا لا يسترد ميراثه المفقود وذلك باظهار غيرة شديدة جدا فى نواح أخرى ؟ وهب أنه فشل فيما طلب منه الله أن يعمله ، فلماذا لا ينجح فيما لم يطلب منه الله أن يعمله ؟ لماذا لا يفكر فى وصية قديمة ويطيعها طاعة غير منتظرة ؟ .

كانت هنالك وصيتان من هذا القبيل يبدو أنهما خطرتا بباله .

الأولى تتضمن بأنه عندما يدخل بنو اسرائيل أرض الموعد يجب أن يبيدوا كل شعب الأرض . لكن الجبعونيين كانوا قد نجحوا فى أن يضمنوا استثناءهم ، لأنهم قطعوا عهدا بهذا مع يشوع ، فحلف لهم يشوع (يش ٩) . لهذا عاش الجبعونيون بين بنى اسرائيل أجيالا كثيرة، وأصبحوا تقريبا جزءا مكملا للأمة. لكن شاول - فى غيرة مصطنعة لله - بطش بقسوة على هذا الشعب المسالم ، واستأصلهم بالرغم من ذلك العهد القديم ، الذى كان يلزم اسرائيل باحترام حريتهم والاحتفاظ بحياتهم . وكان تصرفه هذا سببا فى انتقام عادل ، فى الأيام التالية ، من بيته ، لأنكم تذكرون كيف علق على خشبة ابنا رصفة وأحفاده الخمسة ، وبقيت الجثث معلقة الى أن تعفنت من المطر (٢ صم ٢١ : ٨ - ١٠) ، وكان هذا بمثابة قصاص لما فعله شاول .

أما الوصية الثانية فكانت تقضى بابادة كل الساحرات من الأرض (خر ٢٢ : ١٨) . لذلك بطش بهن شاول . لقد كان لا يزال يعتقد فيهن فى قلبه . لأنه فى أواخر أيامه - التى فيها يخلع المرء ثوب الرياء ويظهر على حقيقته - طلب أحدى هؤلاء الساحرات ، ولجأ اليها لاغاثته . وعلى أى حال فانه لكى يظهر غيرته لله ، ويحصل منه على نقض حكمه عليه،بدأ يستأصل الساحرات .

لكنه إذ كان يصدر أوامره كان الفساد متوفرا فى قلبه .

كانت هيبته الملكية قد تعاظمت ، فلبس من ذلك الوقت عمامة مجيدة ، كباقى الملوك ، جئ بها لداود من جلبوع . وكانت هنالك مظاهر كثيرة للبذخ فى قصره ، لأنه ألبس بنات اسرائيل قرمزا وحلى ذهب على ملابسهن (٢ صم ١ : ٢٤) . ومن تسميته لابنائه يتضح أنه مزج بمكر بين عبادة البعل والاعتراف بالرب ، إذ جعل الأسماء تحمل اسم البعل واسم الرب . واتخذ لنفسه سريات ، اقتداء بجيرانه . وفى الوقت الذى كان يظهر فيه هذه الغيرة المصطنعة لله كان قلبه يزداد ضعفا وشرا .

لم ينفرد شاول بهذه الحالة . خذ مثلين من العهد الجديد مماثلين : المثل الأول حيث يقول بولس الرسول عن اسرائيل « أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة . لأنهم إذ كان يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله » (رو ١٠ : ٢ و ٣) .

والمثل الثانى هو حالة سمية ، شاول البنيامينى المشهور ، الذى يخبرنا بأنه إذ كان يرفس مناخس كانت له غيره لله فى اضطهاد الكنيسة (أع ٢٢ : ٣ و ٤) .

ألا نعرف مثل هذا من اختبارنا ؟ فنحن عندما نقع تحت تبكيت الضمير يحاول القلب أن يعزى نفسه بالقول « سأحاول أن أكفر عن هذا بمضاعفة غيرتى » . وهكذا نتمم عملا نحاول به أن نبطل تأثير نتائج السقوط . قد نعتبر أن هذه غيرة ، لكنها غيرة مزيفة . هى غيرة ، لكنها نار غريبة (لا ١٠ : ١) . هى غيرة ، لكنها منبعثة من الذات . هى غيرة ، لكنها غيرة للذات لا لله . هى غيرة ، لكنها غيرة لحرفية الناموس ، لتقاليد الكتبة والفريسيين ، للشكل الخارجى ليست غيرة من اضطرمت فيه نار محبة ابن الله ، ومحبة النفوس التى خلقها .

هذه هى اختباراتنا لا يستثنى أحد منها . هذه مرآة نرى فيها وجوهنا . الكتاب المقدس هو كتاب الله ، لأنه هو كتاب الإنسان . هو كتاب كل جيل وعصر ، هو مرآة النفس ، لأن الإنسان يرى فيه نفسه دواما فى اختبارات الذين سبقوه .

ولنتحول لحظة من شاول الى ذلك الوجه العزيز الذى يشخص نحونا اليوم ، الى ذلك القلب الذى يتدفق حبا نحونا ، إلى مسيح الله الذى يحبنا . نحن أيضا قد خالفنا وصاياه ، قد قصرنا فى واجباتنا . لكن هنالك مغفرة فى تلك الجروح الدامية ، فى ذلك القلب المحب . فاطلب المغفرة . اطلب منه أن يمحو الخطايا الماضية . دع الموتى يدفنون موتاهم . وليشعل الروح القدس على مذابح قلوبنا نار غيرة لا تنطفئ أبدا ، بل تشتعل دواما لمجده ، مطهرة طبيعتنا ، وتجعلنا ذبائح حية له .

٢٠

« الخطية تنتج موتا (١) »

(١ صم ١٨ : ١٢ (٢))

نحن نبذر بذارا بغير اكتراث ونتوهم بأننا
سوف لا نراها مرة أخرى لكن ثمارها تظهر بعد
ألف سنة فى أعشاب تتلف الأرض أو فى المخازن الوفيرة
[كبل]

لن نجد تفسيرا لكلمات الرسول يعقوب التى يصف فيها تناسل الخطية ، ونسلها المرعب ، أوضح مما نراه فى تاريخ حياة شاول . حالما نقرأ بأنه قد بدأ يسلم نفسه لروح الشر يسرع الكتاب بأن يخبرنا عن الخطوات المتتابعة التى تهور فيها الملك فدفعته من اعتداء على ناموس الله الى اعتداء آخر . وما أصدق ما قاله الرسول يعقوب « أن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرما فى الكل » (يع ٢ : ١٠) . أن الخطية الأولى تشبه اندفاع المياه التى تأكل تدريجيا جسر مجرى الماء الى أن تغرق الأرض .

وهذا ما حدث فعلا . ففى نفس الوقت الذى كان فيه شاول يتلوى تحت حكم صموئيل بعزله من الملك خطا داود أول خطوة فى طريق الملك . لقد ذكر حادثان يقدمان هذا الغلام الراعى الى الملك البائس الذى تركه الله . وهذان الحادثان لا يناقض أحدهما الآخر . الأول يحدثنا عن دخوله قصر الملك كضارب على العود ، والثانى يحدثنا عن بسالته فى الحرب ، الأمر الذى جعل وجوده فى القصر أمرا لا غنى عنه .

انتابت شاول حالات نفسية من الانقباض واليأس ، وازدادت هذه النوبات كثرة وعنفا حتى اقترح عليه عبيده (ويروى التقليد أن الذى قدم هذا الاقتراح

---

(١) (يع ١ : ١٥) « الخطية تلد موتا » - حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « وكان شاول يخاف داود لأن الرب كان معه وقد فارق شاول » .

هو دواغ الأدومى) أن يجرب تأثير الموسيقى على نفسيته المريضة . « فقال عبيد شاول له هوذا روح ردى من قبل الله يبغتك . فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود . ويكون إذا كان عليك الروح الردى من قبل الله أنه يضرب بيده فتطيب » (١ صم ١٦ : ١٥ و ١٦) .

وللحال وافق الملك على الاقتراح . وللوقت ذكر أحد الشبان اسم داود ، والأرجح أنه كان من نفس بلدته ، وطالما التقى به . ولعله زامله فى التعلم عند قدمى المعلم اليهودى . توفرت فى هذا الغلام الراعى نفس الصفات التى تستحوذ على قلب الملك. فقد كان «يحسن الضرب بالعود». وكان قد بدأ يشتهر بالبطولة فى مناوشات الحدود إذ كان اللصوص يحاولون السطو على غنم أبيه . وكان ذكيا فى الحكم على الأمور ، وفصيحا فى الكلام . وكان جميل الطلعة .

ويبدو أن ما حدث لداود هو نفس ما يحدث لكل خدام الله ، كل على قدر طاقته . فإن عمل الروح القدس أبرز الى الوجود صفاته الطبيعية ، كأن جزيرة راقدة طويلا فى مياه المحيط المتجمد أمكن أن تحل من ربطها ودفعت فى المياه الجنوبية الدافئة ، فنمت البذور المدفونة وأينعت وترعرعت .

وهذه الأوصاف التى ذكرت عن داود سرت الملك جدا ، إذ كان يتطلع دواما الى شبان يرجى منهم كل خير . وللحال أرسل دعوة الى يسى ليرسل اليه « داود ابنه الذى مع الغنم » . لم يكن ممكنا أهمال دعوة كهذه ، ولذلك أرسل يسى هدية من انتاج مزرعته « خبزا وزق خمر وجدى معزى » ، مع بنيامينه ليبدأ بأن يطأ طريق رضا الملك الوعر . « فجاء داود الى شاول ووقف أمامه فأحبه جدا » .

وكلما كانت نوبات الحزن والكآبة تبغت شاول . عندما كان الشعور سيترك الله له وباليأس يضغط عليه ، وعندما كان الروح الردئ من قبل الله يأتيه ، كان داود يأخذ العود (ولعله وقتئذ كان فى سن الثامنة عشرة) ، « فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردئ » .

رسم أحدهم صورة رائعة الجمال عن منظر داود وهو يستخدم كل منه لطرد الروح الردئ من الملك ، فوصف كيف كان ينشد أغانى الأودية التى تجتمع فيها الخراف بجوار مياه الينابيع الحلوة ، وأغانى المراعى التى كانت تتفرق فيها الخراف لترعى الحشائش الخضراء . فى لحظة كان يغنى الأناشيد الحربية التى كانت تستخدم لاستدعاء الجنود لصد غارات الأعداء المجاورين .

وفى لحظة أخرى كان يمثل أصوات الفتيات وهن يرحبن بعودة أزواجهن من الحرب مكللين بتيجان النصر .

فى بعض الأحيان كانت الموسيقى تمثل أصوات هبوب العاصفة ، وأصوات الرعد والبرق ، ثم انخفاض هذه الأصوات تدريجيا الى أن تتلاشى . وفى أحيان أخرى كنت تستطيع أن تسمع صوت مداعبة الريح للأشجار ، أو لحشيش المراعى ، أو تسمع موسيقى الكون ، حيث « السماوات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر بعمل يديه » . وفى أحيان أخرى كان الشاعر الصغير يتغنى بأناشيد الشباب الحلوة .

كان تأثير الموسيقى ، التى سعى بها داود لتهدئه ثائرة الملك ، ناجحا جدا ، فصارت نوبات جنونه أخف حدة ، وأقل عددا . وتضاءلت كثيرا الحاجة لوجود داود فى القصر . وكاد الملك لا يفكر فيه وهو محاط بالمتملقين الكثيرين الذين كانوا يخطبون وده . ولعل تقلبه هذا وعدم ثباته كان جزءا من المرض . ولعل عقل الملك غير المرتب والمضطرب هو الذى جعله يكاد ينسى ذلك الشاب الذى سبق أن أحبه جدا ، والذى صار حامل سلاحه وطبيبه (١ صم ١٦ : ٢١ و ٢٢) .

لا نعرف مقدار طول المدة التى مضت على هذه الحال . لكن سلسلة من الحوادث الأخرى ربطت بين شاول وداود برابطة أكثر اتصالا، بل رابطة محزنة مفجعة .

لم يصفح الفلسطينيون مطلقا عن العبرانيين لأنهم نفضوا عن أعناقهم ذلك النير الذى ظلوا طويلا يحملونه بوداعة . وأخيرا ، بعد سلسلة من الغارات على حدود كنعان الجنوبية ، لم يكن ممكنا صد تيار الغارات . تخطى التيار الحدود، وتدفق الى الأودية ، الى أن تجمعت جيوش الفلسطينيين فى « وادى البطم » الذى تملكه مملكة يهوذا ، وأقاموا محلتهم فى « أفس دميم » ، ومعناها « حدود الدم » ، ولعلها سميت هكذا بسبب المواقع الدموية التى حدثت هناك .

هذا الوادى متسع ومكشوف ، وطوله نحو ثلاثة أميال . يقسم هذا الوادى فى وسطه واد ضيق ، أو خندق ، كونته سيول الجبال التى تتدفق فى الشتاء ، أما فى الصيف فيكون جافا . كان وجود هذا الخندق ، وعرضه نحو عشرين قدما ، وجوانبه عمودية ، وعمقه نحو عشرة أقدام أو أثنى عشر . هو الذى أطال مدة توقف الحرب ، حتى ظل كل من الجيشين ينتظر الآخر مدة أربعين يوما ، لا يجرؤ أحدهما على المخاطرة بعبور الوادى وخندقه .

أما الرواية الكاملة عن الحرب مع جليات فتجدونها فى كتاب « حياة داود ». لكننا هنا نلمسها لمسة خفيفة فيما يتصل بشاول التعس المسكين .

عندما تقدم بطل الفلسطينيين الجبار ، وتجاسر على الاقتراب من صفوف العبرانيين ، « وعلى رأسه خوذة من نحاس ، وكان لابسا درعا خرشفيا ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس ، وجرموقا نحاس على رجليه ، ومزراق نحاس بين كتفيه » ، وبيده حربه قوية جدا ، وعلى جانبه سيف ، وعندما تحدى بجرأة جيوش اسرائيل لتقدم رجلا جديرا بأن يحاربه ، فزع شاول جدا وخاف، كما خاف معه كل جنوده . « ولما سمع شاول وجميع اسرائيل كلام الفلسطينى هذا ارتاعوا وخافوا جدا » (ص ١٧ : ١١) .

مع أنه كان هو الملك مختار الله ، وأظهر قوة عظيمة ببساطة ايمانه فى أيامه الأولى ، إلا أن عدم طاعته فت فى عضده ، فصار ضعيفا جدا . أن الطاعة والإيمان صنوان متلازمان . فإنك كما تطيع تقدر أن تؤمن ، وكما تؤمن تقدر أن تطيع . فى الأصحاح الرابع من رسالة العبرانيين نجد الكلمتين مرتبطتين معا . ان توفر لدى المرء ايمان بالله صار شديدا فى الحرب ، وهزم جيوش غرباء (عب ١١ : ٣٤) « يطرد واحد ألفا ويهزم اثنان ربوة » فى الحرب (تث ٣٢ : ٣٠) .

فاحذر من عدم الطاعة ، الأمر الذى يدخل الفزع والخوف والضعف الى القلب ، فيهزم الهارب صوت ورقة مندفعة (لا ٢٦ : ٣٦) .

كان كل ما استطاع أن يفعله شاول أمام تجديف جليات وتعييره هو أن يعطى أسخى الوعود للبطل الذى يقبل التحدى ، يجعل جليات يعض التراب .

وعندما أدخل داود فى حضرته أخيرا ، وهو فى بطولة إيمانه ، وصرح بأنه مستعد للذهاب وحده لمحاربة الفلسطينى ، حاول شاول أن يثنيه عن عزمه « فقال شاول لداود لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطينى لتحاربه » . لم تكن لديه فكرة عن القوة إلا التى تأتى من طول المران (١٧ : ٣٣) ، أو التى تأتى عن طريق لبس الخوذة والدرع (١٧ : ٣٨ و ٣٩) .

لم يستطع شاول مطلقا أن يدرك معنى حديث داود عن نجاحه فى قتل الأسد والدب . فقد ظن أن هذا النجاح لا يرجع إلا نتيجة لسرعة الحركة والقوة البدنية . لم يقدر أن يصل الى عمق معنى كلام داود عندما تحدث عن الخلاص العظيم الذى صنعه الرب (١٧ : ٣٧) . كان ذلك المرنم الشاب قد قال لنفسه .

الرب نـــورى وخـــلاصـــى

ممن أخاف ؟

الرب حصـــــن حيـــــاتى

ممن أرتعب ؟ (مز ٢٧ : ١)

لكن مثل هذا الافتخار بالله كان طلسما أمام الملك . لقد انطمست عينا قلبه ، فلم يقدر أن يرى . لم تكن لديه فكرة عن أن الإيمان يفتح مصادر جديدة للقوة ، ويضع يده على مصادر الطبيعة التى لا تصل إليها أيه يد أخرى ، ويفتح السماء فتنزل الامدادات ، كجيوش ملائكة ، لتحيط بالمؤمن الذى حاصره العدو.

وإذ تقدم داود لملاقاة الفلسطينى ، سأل شاول ابنير ، قائد جيشه الذى يثق فيه « ابن من هذا الغلام يا ابنير . اسأل ابن من هذا الغلام » ؟ .

وعندما عاد ذلك الشاب البطل ورأس الفلسطينى فى يده كان السؤال الواحد الذى وجهه اليه الملك هو هذا « ابن من أنت يا غلام » ؟ كأن شاول ظن بأن نجاحه يرجع إلى عامل الوراثة . وهذا ما قاله لنفسه يقينا أن هذا الشاب من ذرية أبطال عظماء . لابد أن دم كالب أو يشوع يجرى فى عروقه . لابد أن أفاضل الأصل العبرانى هم الذين خلفوا هذا البطل » .

هكذا ينظر أهل هذا العالم لأولاد الله . أنهم يحللون دواما عناصر نجاحهم ، ويحاولون أن يعرفوا مصادرها . ليست لديهم فكرة عما يستطيع الله أن يعمله للنفس التى تعتمد عليه اعتمادا كليا .

وعندما عاد شاول الى جبعة « جعل داود على رجال الحرب » من باب اللياقة . وهكذا تبدل العود (الآلة الموسيقية) بالسيف فى أغلب الأحيان . وإذ كان يخرج فى حملاته على أعداء اسرائيل تبين أن وجوده لازم جدا لتوطيد أركان العرش ، كما صار محبوب الأمة : « وكان داود يخرج الى حيثما أرسله شاول وكان يفلح » . ومن هذا النجاح تولدت خطية شاول الشنيعة .

فى احدى المناسبات ، إذ كان شاول وداود راجعين من نصرة نهائية وحاسمة على الفلسطينيين (ع٦) تجمهر الشعب لملاقاتهما وملاقاة الجنود . « وخرجت النساء من جميع مدن اسرائيل بالغناء والرقص للقائهم بدفوف وبفرح وبمثلثات » . وإذ كن يرقصن الرقص العادى المقدس كن تغنين ، وترد الواحدة على الأخرى ، أنشودة الظفر ، وكان هذا هو قرارها .

ضـــرب شـــاول الوفـــه

وداود ربـــواتـــه

وللحال دبت الغيرة فى قلب الملك . احتدمت روحه فيه ، وأعتقد أن داود ربما يكون هو « صاحبه » الذى سبق أن أشار اليه صموئيل بأنه هو المعين من قبل الله ليخلفه على المملكة التى كانت على وشك الزوال من بين يديه (ص ١٥ : ٣٨) . وقال لنفسه : لعل هذا الجندى الصغير اللامع ، المتمتع بنور الله فى حياته ، ومحبة الشعب المتعلق بشخصه ، يغتصب العرش . « فاحتمى شاول جدا وساء هذا الكلام فى عينيه . وقال .... وبعد فقط تبقى له المملكة » .

« فكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعدا » . وتحولت كل محبته له واعجابه به الى مرارة . وتحول العطف البشرى الى قسوة . وعاد اليه بقوة اعنف مرضه القديم الذى كان قد فارقه . وفى اليوم التالى للحادثة ، إذ أطال التفكير فى اساءاته الوهمية بدا كأن طبيعته كلها قد انفتحت للروح الشرير الذى استحوز عليه ، وملأه بغضه قاتلة .

وإذ بغتته نوبة جنون أمسك الرمح ، القائم بجواره علامة على هيبته الملكية ، ووجهه نحو داود الذى كان جالسا أمامه محاولا أن يشفيه من مرضه . لم يشرع رمحه نحوه مرة بل مرتين . لكن « داود تحول من أمامه مرتين » . ولا شك أنه وقتئذ عزا محاولة قتله الى مرض الملك ، ولم تكن لديه فكرة عن نيران الغيرة التى كانت تضطرم فى داخله .

فلنحذر من بداية الخطية عندما تبدأ أقل فكرة تحوم حولنا كميكروب المرض الخبيث المميت . عندئذ يكون الوقت المناسب للالتجاء الى المسيح لطلب الخلاص . وإذ يتحرك إيمانك فى نعمته المخلصة تضمن تدخله فى الحال ولا شك أنه وقتئذ عزا محاولة قتله الى مرض الملك ، ولم تكن لديه فكرة عن أكون كاملا وأتبرأ من ذنب عظيم » (مز ١٩ : ١٣) .

+ + +

---

(١) « الخطايا التى ترتكب بإصرار » حسب الترجمة الانكليزية .

٢١

خطية الغيرة والحسد
(١ صم ١٨)

كل الأشخاص الأنانيين لا يزالون مستعبدين مهما تظاهروا بغير هذا أنهم عبثا يفتخرون بالحرية ويفتخرون بالمحبة ولا يحسون بها أن من يتأجج صدره بمحبة الله هو وحده الذى يتمتع بالحرية

[كوبر]

خطية الغيرة والحسد من أشنع الخطايا بين البشر . وهى أصل أشنع الجرائم التى لوثت سمعة البشرية . ومن كل الصور التى رسمت لها على جدران التاريخ ، لا توجد صورة أكثر تمثيلا للحياة ، وأكثر تشنيعا فى تصوير هذه الخطية ، من هذه الصورة التى لأول ملك لاسرائيل .

١ - خطية الغيرة والحسد تفتح الباب للشيطان :

فى حالة شاول كانت الفترة أقصر مما يمكن أن نتصور . ففى اليوم التالى لغناء النساء ، الذى كان أول ما حرك فى قلبه شعور الغيرة والحسد نحو داود، بغته روح ردئ .

نحن نؤمن بأن العناية الإلهية شيدت حائطا ، لا يمكن اختراقه ، بين النفوس البشرية والأرواح الشريرة التى تحتل الجو المحيطة بنا ، والتى لهذا السبب دعيت « أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أف ٦ : ١٢) ، كما دعى قائدها « رئيس سلطان الهواء » (أف ٢ : ٢) .

قيل عن الروح الشرير هذا فى حالة شاول أنه كان « من قبل الرب » . وهذه عبارة لا يمكن تفسيرها إلا بأن الله سمح له بأن يأتى ، وأن هذه النتيجة الأليمة ظهرت وفقا لنظام الكون الذى لا يتغير . فإن عبث إنسان بروحه

لا يخلصه الله من النتائج المرعبة . ان أطعت ناموس النار أطاعتك كعبد أمين. هذه هى مشيئة الله . وهذا هو ترتيبه . لكن هذه هى مشيئته أيضا ، وهذا هو ترتيبه أنك أن خالفت ناموس النار التهمت أبراجك ، وقصورك ، وكنوزك ، وبيوتك ، بدون رأفة . عندما يتمرد الناس على الروح القدس ويغيظونه فإنه يتحول لهم عدوا ويحاربهم (اش ٦٣ : ١٠) . قال أحدهم « أن موقف الله من نحونا يتوقف على موقفنا من نحوه » . ان سرت مع الريح ساعدك فى التقدم الى الأمام . وان سرت ضد الريح عطل تقدمك .

مع الرحيم تكون رحيما
مع الرجل الكامل تكون كاملا
مع الطاهر تكون طاهرا
ومع الأعوج تكون ملتويا (مز ١٨ : ٢٥ و ٢٦)

٢ - خطية الغيرة والحسد تمنع عن صاحبها الخير :

نال داود فى الحال محبة وولاء كل الشعب بالاجماع . « وكان جميع اسرائيل ويهوذا يحبون داود » (ع ١٦) . إزاء هذه المحبة المشتركة نحو من سبى قلوبهم أجمعين نسى الشعب أحقادهم وضغائنهم القديمة . لم يكن الشعب فقط هم الذين افتتنوا بحبه ، بل أيضا كل حاشية الملك . فإنه أقيم « على رجال الحرب » ، وكان يخرج معهم الى حيثما أرسله شاول ، وحسنت ترقيته ليس فقط « فى أعين جميع الشعب » بل « فى أعين عبيد شاول أيضا » (ع ٥) . وأحبه كذلك يوناثان محبة أعجب من محبة النساء (ع ١ و ٣) وأحبته أيضا ميكال ابنة شاول (ع ٢٠ و ٢٨) . فلابد أن هذه النفس الطاهرة كانت فيها جاذبية خاصة أثرت تاثيرا قويا على كل من أحتكوا به .

وفضلا عن هذا فقد كان ظاهرا أن الرب معه . لاحظ كيف يشير الوحى إلى هذه الناحية مرارا .

« وكان شاول يخاف داود لأن الرب كان معه » (ع ١٢)
« وكان داود مفلحا فى جميع طرقه والرب معه » (ع ١٤)
« فرأى شاول وعلم أن الرب مع داود » (ع ٢٨)

وعلاوة على هذا فقد « كان يفلح » (ع ٥) ، « وكان مفلحا فى جميع طرقه » (ع ١٤) ، لدرجة أن شاول « فزع منه » (ع ١٥) ، بل ، كان يفلح « أكثر من جميع عبيد شاول ، فتوتر اسمه جدا » (ع ٣٠) .

تحت هذه الظروف كم كان يعتبر شاول حكيما لو أنه اتخذ ابن يسى بنفسه . وحتى وهو يعلم صراحة أنه هو المعين ليخلفه ، وأنه يتمتع برضا الله بصفة خاصة ، فقد كان ممكنا له أن يستخدمه لاستعادة هيبته التى كانت فى طريقها الى الانهيار . صحيح أنه كان من المستحيل نقض حكم الله باختيار داود خليفة له ، لكن كان ممكنا ارجاء تنفيذ الحكم الذى لا مفر منه . لم يكن هنالك ما يمكن أن يجعل الملك نفسه محبوبا أكثر من أن يستودع مصالحه ومصالح أسرته لمن كان يستطيع أن يقدم خدمة جليلة لعرشه ولملكته . لم تكن هنالك طريقة أسهل أو أكثر حكمة وفطنة .

لكن شاول ، بدلا من هذا ، سمح لعواطفه الجنونيه بأن تشتعل ، إلى أن ازدادت اشتعالا بشدة حتى التهمته هو شخصيا .

كثيرا ما كان من الميسور كبح جماح شهوات النفس وعواطفها بالتأمل فى مصلحة المرء وكرامته الشخصية . لكن ليس هذا هو الحال مع عاطفة الغيرة والحسد. فإنه تحت ضغط هذه العاطفة يرتكب الحاسد أشر الأخطاء لضرر نفسه. رأيت سلام البيت، ونجاح بعض المشروعات الكبيرة، وسعادة المرء وسمعته- رأيت هذه كلها وأكثر منها تضحى لأن الغيرة والحسد تطلبت الانتقام.

٣ - وعاطفة الغيرة والحسد تخترع طرقا لاتمام مقاصدها السافلة :

ان شكلها متقلب . فى بعض الأحيان تستخدم خنجرا صغيرا ذا حد رقيق جدا بحيث لا تشعر انك قد ضربت به إلا بعد مدة . وفى أحيان أخرى تستخدم الهراوة الثقيلة التى تصيب مقتلا بضربة واحدة . تستخدم هذه العاطفة طرقا متعددة تدفع صاحبها لكى يلقى حتفه على يدى نفسه : ككأس سم أو أية خدعة ماكرة .

لاحظ هذا فى تاريخ الشخصية التى أمامنا . فان شاول ، تحت التعلل بمرضه ، حاول أن يقتل داود بنفسه . لقد كان يعرف أن قتله سوف يعزى الى حالته العقلية المختلة ، ولذلك تعمد مرتين أن يشرح الرمح نحو الموسيقى (ضارب العود) الذى كان يسعى لشفائه من مرضه .

وبعد ذلك طلب أن يدفع به فى مواقف خطرة جدا ، باغرائه على اظهار بطولته فى ساحة الحرب ، وفى غارات الحدود . ثم قدم اليه رشوة فوعده بأن يعطيه ابنته الكبيرة ميرب . وأضاف الى هذا التجاءه الى الناحية الدينية التى لم يكن ممكنا أن توجد أية ناحية أخرى أكثر تأثيرا على ذلك البطل العظيم .

« وقال شاول لداود هوذا ابنتى الكبيرة ميرب أعطيك أياها . أنما كن لى ذا بأس وحارب حروب الرب » . لكن الوحى أزاح الستار ، وكشف لنا الأفكار الخفية التى كانت فى ذلك القلب الشرير « فإن شاول قال لا تكن يدى عليه بل يد الفلسطينيين » (١ صم ١٨ : ١٧) .

وإذ فشلت الخدعة عز على شاول أن يكف عن تنفيذ مقاصده الدنيئة ، ففكر فى خدعة أخرى . كانت ميكال ، ابنة شاول الصغيرة ، تحب داود (ع ٢٠ و ٢٨). ففكر شاول فى أن يزوجها له كمكافأة له على انتصار جديد على الفلسطينيين» . وكانت الفكرة التى قدمها الملك ، عن يد حاشيته ، إلى ذلك الشاب الذى بدأت تتركز فيه أنظار الشعب ، هى أن يكون له شرف مصاهرة الملك . لقد بدا شاول فى نظر عبيده أنه كان مخلصا فى محبته لداود ، وأنه راغب رغبة أكيدة فى أن يضمه الى أسرته . واضح أنه كان يلعب لعبة بمهارة غير عادية . من أحدى النواحى أعتقد عبيد الملك أنه سر بداود ، ورغب فى مصاهرته اياه لكن من الناحية الأخرى « كان شاول يفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين » .

وبعد أن فشلت المؤامرة ، وبعد أن بدا كأن داود قد منحه الله حياة ساحرة جذابة ، « كلم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود » (ص ١٩ : ١) . ومرة أخرى «التمس شاول أن يطعن داود بالرمح حتى الى الحائط» . وبعد ذلك اقتفى آثاره أولا الى بيته ، وأخيرا الى بيت صموئيل فى نايوت . (أنظر ص ١٩) .

هكذا تفعل الغيرة والحسد . عندما تغير زوجة من امرأة أخرى بريئة براءة كاملة من محاولة اغراء زوج تلك الزوجة ، عندما يغير كاهن متقدم فى الأيام من مساعده أو من كاهن آخر قريب منه ، عندما يغير شخص من نفوذ شخص آخر على صديق له - فإنه يكاد يكون من المستحيل أن نحصى عدد كل الأفكار غير الرحيمة ، وكل الاقتراحات القاسية ، وكل الاستنتاجات الخاطئة على تصرف الآخرين ، وكل تحريف للكلمات أو التصرفات أو النظرات ، التى تصدر ممن تدب فيه روح الغيرة .

٤ - وعاطفة الغيرة من البرئ لا يمكن أن تنجح أمام الله :

هذا ما تبين بكيفية واضحة مع داود . كان شاول يحاول جهده أن يدفعه الى هلاك نفسه . لكن الله تدخل ، ففشلت كل محاولة مهلكة ، وصارت سببا فى ازدياد شهرته فوق خصمه . أن أقيم على رجال الحرب أفلح حيثما أرسل. أن « أبعده شاول عنه وصار يخرج ويدخل أمام الشعب » أحبته كل الأمة

(١٨ : ١٣ و ١٥) أن أرسل ليحارب الفلسطينيين قتل مائتين بدلا من مائة ، « فتوقر اسمه جدا » (ع ٣٠) أن طلب شاول من يوناثان أن يقتله دفع ابنه الى صداقه أمتن معه ، وألزمه بالدفاع عمن أحبه كنفسه . وهكذا تحولت الى خير كل المحاولات التى قصد بها أن تكون شرا .

وهكذا ارتدت الى صاحبها تلك الأسلحة التى وجهت الى ذلك الشاب . وارتدت اللعنة الى صاحبها . وهكذا حفر شاول فى الخفاء حفرة ليسقط فيها هو نفسه .

لو أن المجربين بتجربة الغيرة والحسد تأملوا فقط فى حياة شاول لأدركا يقينا عدم فائدة مساعيهم الخبيثة نحو ايقاع الضرر بمن يبدو أنهم سوف يحلون محلهم . ليس بهذه الطريقة يمكن معالجة الخطر .

هنالك نقمة الهية تحل يقينا بفاعل الشر . فالرب لا يمكن أن يترك اتقياء ه ، كداود ، تحت رحمة الأشرار قساة القلوب ، كشاول. بل يقيم أمثال يوناثان لتحذيرهم من الخطر ، ويسخر أمثال ميكال ليدفع عنهم الضربة القاضية ، وبسحر المؤثرات الروحية العجيبة ينتصر على سافكى الدماء ، ويسكت العدو والمنتقم (مز ٨ : ٢) .

اللـــه قـــاض وعـــادل
أن لم يرجع الإنسان يحدد سيفه
مـــد قوســـه وهيـــأهـــا
وســـدد نحـــوه آلـة المـــوت
يرجـــع شـــره على رأســـه
وعلى هامتـــه يهبـــط ظلمـــة

(مز ٧ : ١١ - ١٣ و ١٦)

+ + +

٢٢

« الغيرة قاسية كالهاوية (١) »

(١ صم ٢٠ : ٢٧ (٢))

من الحكمة جدا أن نتحدث مع ساعاتنا السابقة ونسألها عن التقرير الذى حملته للسماء وكيف كان ممكنا أن نحمل أنباء أفضل أن اجابتها هى ما يسميها البشر اختبارات والروح القدس يسجل تصرفات كل يوم يمضى وأما أن يسجل الرضا أو الغضب

[كبل]

خطية الغيرة والحسد لا تعرف التشكك ، وهى لا تتردد فى الاعتداء على أقدس المقدسات . أنها عديمة الرحمة . فهى تدوس بقدميها على العلاقات العائلية ، وربط الصداقة والقرابة ، والاحترام الذى ينبغى أن يلازم عبادة الله . وإذا ما اشتعلت هذه العاطفة فإنها لا تتردد عن أن تتخذ من أى شئ لنارها مهما كان مقدسا . أنها لا تتردد - حتى تحت ضغط المدنيه المسيحية على الأقل - عن أن تتقدم الى القتل . قد تهدم السلام فى العائلة أو بين الأصدقاء لأتفه الأسباب ، بل بالاحرى لأسباب وهمية .

الأسرة من أقدس الهيئات فى الحياة البشرية . فانه اذ يرتبط الزوج بزوجته بالرابطة المقدسة « يصير الاثنان جسدا واحدا » . ومن هذه الرابطة المقدسة يتفرع الأبناء المباركون ، الذى يملأون العالم بالزهور اليانعة ، ويجعلون الجنس البشرى شبابا متجددا .

---

(١) (نش ٨ : ٦) .

(٢) « وكان فى الغد الثانى من الشهر أن موضع داود خلا فقال شاول ليوناثان ابنه لماذا لم يأت يسى الى الطعام لا أمس ولا اليوم » .

رتبت أسرة داود - بعد ترتيب الله - بمعرفة شاول . فان ميكال ابنته ، أحبت داود . فأخبروا شاول بهذا الأمر الذى سره، وعندئذ أعطاها زوجة لداود. كان هذا الزواج بداية حياة سعيدة لكل من الزوجين ، إذ كان كل منهما سعيدا بمحبة الآخر . ولو أنهما فيما بعد ابتعدا عن بعضهما بكيفية محزنة .

وعندما تفادى داود رمح شاول ، وهرب الى حماية بيته قائلا أن حماة شاول سوف يحترم على الأقل محبة ابنته له ، أرسل شاول ، الذى أخرجته الغيرة عن صوابه ، رسلا ليراقبوه فى بيته ، ويقتلوه فى الصباح . فكان هذا سببا فى أن تنساب من بين شفتيه أغنية من أروع مزاميره .

أنقـــذنى من أعـدائى يا إلهـــى
مـــن مقـــاومى احمنـــى
نجنـــى مـــن فاعـلى الأثـــم
ومن رجـــال الدمـــاء خلصنى
لأنهـــم يكمنـــون لنفســـى
الأقوياء يجتمعون على لا لأثمى
ولا لخطيـتـــى يـــا رب (مز ٥٩)

كانت ميكال تعرف أباها معرفة جيدة ، فلم تقدر أن تثق فى عطفه على داود . ولذلك حذرته من خطر الموت المحدق به . وبحيلة نسائية (وماذا لا تفعله المرأة نحو من تحبه) ساعدته فى انقاذ حياته ، « فأنزلت ميكال داود (بيديها) من الكوة . فذهب هاربا ونجا » . كان يعزى إليها أن هذا البيت الجديد لم يسرع الى الانهيار ، وأن نوره لم ينطفئ .

ومقدس العبادة الروحية بل مقدس الاسرة لم يفقه :

فانهما أما أن يثبتا معا أو يسقطا معا . وكل منهما يدعم الآخر. فبيت الأسرة يعتبر عتبة لبيت الله الذى هو مقرنا الدائم . قال ربنا « فى بيت أبى منازل كثيرة » . هل يجوز لنا القول أن بيوتنا البشرية تعتبر ضمن هذه المنازل ؟ .

لكن حالة شاول تبين أن الغيرة تحطم تخم مقدس العبادة الروحية بعنف كما تحطم مقدس الأسرة . أسرع داود ليخبر صموئيل بتطورات الأمور ، وبالخطر المحدق بحياته ، وأن مساعى شاول لقتله لم تكن نتيجة خبل عقله ، بل خبث قلبه . ولزيادة الاطمئنان أخذه صمـــوئيل الى مجمـــوعة من المظال تدعى « نايوت » (ومعناها مساكن) ، حيث كان جماعة من الشبان يدرسون لاعداداهم كأنبياء ، وكانوا يعيشون حياة روحية قوية فى جو روحى تقوى .

أرسل شاول إلى هذا المكان المقدس ثلاث جماعات ، على التعاقب ، لالقاء القبض على داود . وإذ وجد أخيرا أنهم كلهم لم يعودوا غضب جدا وذهب هو نفسه . « فذهب هو أيضا الى الرامة وجاء الى البئر العظيمة التى عند سيخو وسأل وقال أين صموئيل وداود » . وإذ قال له واحد أنهما ذهبا الى نايوت «ذهب الى هناك الى نايوت فى الرامة» ، وقبل وصوله اليها « كان عليه روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء الى نايوت فى الرامة . فخلع هو أيضا ثيابه » الملكية للمرة الثانية فى حياته، «وانطرح على الأرض ذلك النهار كله وكل الليل».

كان ذلك التأثير الذى حدث لشاول تأثيرا عابرا ليس له أساس ، ولذلك سرعان ما زال كسحابة الصيف أو كندى الصباح . وسواء كان ذلك التأثير جسمانيا ، أو عقليا ، أو روحيا ، ولعله كان روحيا ، فقد زال فى الحال وتركه اسوأ مما كان فان غيرته تطاولت بعد ذلك لتهدد بالقتل ابنه النبيل يوناثان .

ان مصادر المحبة الأبوية تنضب أمام نيران الغيرة والحسد ، وتتحول الى مصادر للاعوجاج والالتواء . كان يوناثان مثلا أعلى للنبل والشهامة والرجولة . كان « أميرا » بكل معنى الكلمة . كان يمكنه أن يتقدم كل الصفوف فى أى عصر ، حتى فى عصر الفروسية . كانت شخصيته تلمع كنجم ساطع ، سواء فى القصر الملكى، أو فى ساحة الحرب. لابد أن تكون النعمة والجمال والكمال قد زينت شخصه ، وأن تكون الجرأة والبسالة والشجاعة قد ميزت صفاته .

لقد توفرت فيه كل النواحى التى كان ينبغى أن تجعل أباه يتعلق به ، سواء من الناحية السياسية ، أو من ناحية افتخار الأب بابنه ، فقد كان هو محبوب الشعب الذى نجا يوما ما من أبيه ، وكان هو المثل الأعلى للشبان والشابات فى عصره ، وكان حكيما فى ادارته ، صادقا مخلصا فى صداقته ، قويا فى عزيمته . لكن كل هذه الاعتبارات لم يكن لها أى وزن عند شاول إزاء غيرته من داود . كان يمكن أن يكون عند أبيه « حلوا ومحبوبا . أخف من النسور وأشد من الأسود » ، كما عبر داود فى جنازته . لكن شاول ضحى بكل هذا أمام ضغط روح الانتقام .

وفى الوليمة الشهرية كشفت عن نفسها تلك النيران المتأججة فى قلب شاول. فقد « خلا موضع داود » يومين متواليين . فسأل شاول ابنه يوناثان عن سبب غياب « ابن يسى » ، كأنه بهذا يشير إلى وضاعة أصله ، أو يتجاهل العلاقة التى ربطته بالأسرة الملكية . وعندما تلقى منه الاجابة التى سبق أن اتفق عليها الصديقان استشاط غيظا « حمى غضب شاول » ، وسب يوناثان بأقذع

الشتائم إذ قال له « يا ابن المتعوجة » (ص ٢٠ : ٣٠) ، كما قال له ألفاظا أخرى أقبح (ع ٣١) ، وأصر على ضرورة القاء القبض على داود وقتله ، وانتهى الأمر الى أنه « صابى الرمح » نحو ابنه النبيل ، الذى تدخل ليلطف من حدة غضبه .

لكن الغيرة تستجيب أيضا لاثر الإيحاءات :

وفى الاصحاح التالى (ص ٢١) نجد ما يوضح هذا . فان داود هرب هذه المرة الى « نوب » حيث كان أخيمالك رئيس الكهنة يحرس آثار المقدس القديم. بدأت الشكوك تدب فى قلب أخيمالك لأن صهر الملك آتاه « وهو وحده وليس معه أحد » ، ولأنه جاءه متعجلا . ولما أجابه داود اجابة مراوغة زالت الشكوك من أخيمالك الذى استقبله باكرام عظيم ، وأمده بخبز . وبسيف جليات ، وبالنصيحة التى تلقاها من الوفود .

نقلت هذه الأنباء الى شاول ، بعد بضعة شهور ، « وكان مقيما فى جبعة » فوق المرتفعة ، فى انتظار الأنباء عن خصمه ، لكى يتحرك فى الحال مع جنوده البنياميتيين ، مواطنيه ومن سبطه ، لالقاء القبض عليه وقتله . لقد بدا كأن كل مستلزمات المصلحة العامة تافهة جدا ، ولا قيمة لها ، طالما كانت نيران شهوة الانتقام لم تطفأ . لم يحسب حسابا قط لتنفيذ مطالب الناموس ، أو الاستماع الى المدعى عليه ، أو الدفاع عن المملكة ، إزاء اتمام الهدف الواحد .

احتدت روحه ، فنفس عن شكواه (والغيرة كثيرا ما تتظاهر بأن براءتها قد أسيئ إليها) بأن كل عبيده قد تآمروا عليه ، ولم يبق منهم أحد يهتم به . وأن يوناثان هو المحرك لمؤامرة داود ، وأن كل واحد يتمنى سقوطه سريعا لكى ينال الهدايا والترفية من يد يسى ثمنا لخيانته .

كانت هذه تهمة ظالمة وضارة بلا مبرر . ولقد صدق يعقوب الرسول حين قال أن اللسان « سضرم من جهنم » .

وهذا ما حدث هنا . فان الغيرة تندفع بجنون وتضرب من تجده فى طريقها . تضرب هنا وهناك ، دون أن تبالى مطلقا بأعز وأصدق ولاء ومحبة بشرية .

وسط الصمت الذى تلا هذا التعنيف الذى كان بلا مبرر روى دواغ ما رآه فى ذلك اليوم المشئوم عندما تصادف وتأخر فى خيمة الاجتماع لبعض أسباب دينية ، وشاهد اهتمام أخيمالك بصهر الملك .

وإذ قدم دواغ روايته بخبث تحولت شكوك المك من عبيده الى الكهنة . لم تكن « نوب » تبعد كثيرا عن جبعة ، فأرسل الملك - بعد فترة وجيزة - دعوة

مشددة لاحضار اخيمالك وكل بيت أبيه ، أى كل الذكور من سلالة رئيس الكهنة ، من بيت عالى ، والمثول بين يدى الملك ، وبتعبيرات قاسية اتهمهم الملك أجمعين بالتآمر مع داود لقلب عرش الملك وأسرته ، دون الاصغاء لاحتجاج اخيمالك الهادئ .

كانت حجة رئيس الكهنة أنه وأن كان قد فعل ما اتهمه به الملك فانه قد فعله بكل براءة . فقد كان يعتبر دواما أن داود من أخلص عبيد شاول ، وكان يعرف أنه يوكل اليه بصفة مستمرة القيام بمهام سرية ، وأنه طالما استشار الله من أجله ، معتقدا بأنه بهذا يخدم مصالح الملك .

لكنه عبثا حاول أن يوقف تيار غضبه . ان الملك كان قد حزم أمره ، وصمم على ما اعتزم القيام به ، قبل أن يبدأ أخيمالك دفاعه . وإذ استسلم الملك لبواعث غير مقدسة ، أتت اليه يقينا من روح شرير خبيث ، استجابت اليه الطبيعة الشريرة ، قال « موتا تموت يا أخيمالك أنت وكل بيت أبك » (ص ٢٢ : ١٦) .

لكن « لم يرض عبيد الملك أن يمدوا أيديهم ليقعوا بكهنة الرب » (ع ١٧) . أما دواغ الأدومى ، وهو شخص غريب ، ومعه رجاله ، فقد كان قلبه خاليا من الرحمة ، ولذلك بطش فى الحال بالكهنة الذين لم يبدوا أية مقاومة . وهكذا كانوا يسقطون الواحد بعد الآخر ، حتى تكدست جثثهم أكواما ، وتلطخت ثيابهم البيضاء بدماء قلوبهم .

كانت هذه عملية خسيسة ، ولابد أن أنباءها وقعت على الأمة وقع الصاعقة وملأت قلوبهم ذعرا . لابد أن كل الرجال الصالحين أحسوا أن أسس المجتمع انحلت ، وأنه لم يبق أمان على الحياة أو على الحرية ، طالما كان ملكهم قد تصرف هذا التصرف الطائش بمثل هذا الجنون .

أى تحذير نجده هنا بأن لا نستسلم لأول دخول الشر ، لئلا تؤدى الفكرة الى العمل ، ويؤدى العمل المتكرر الى عادة ، وتبنى العادة أخلاقا ، وتحدد الأخلاق المصير .

ومع ذلك فالغيرة تخضع للتبكيت الشديد للضمير :

وهذا التأنيب هو من عمل الروح القدس المبارك الذى لا يسمع بانحدار أية نفس للهاوية دون تحذير . خضع شاول لموجة هذا التأنيب الشديدة فى هذه الأحداث السريعة .

فعندما ذكر يوناثان أباه ، فى فرصة سابقة ، بالخدمات الجليلة التى قام بها داود ، أصغى اليه بانتباه ، ورق قلبه ، «وحلف شاول حى هو الرب لا يقتل» (ص ١٩ : ١ - ٧) .

وعندما أبى داود أن يمد يده لقتل شاول فى الكهف عند « حصون عين جدى » ، وسط الأودية المتاخمة للشاطئ الغربى للبحر الميت ، رافضا أن يمد يده لمسيح الرب ، وصد أتباعه المنذهلين الذين كانوا يتلهفون على قتل شاول ، مست مشاعر شاول تلك الأريحية والكرم المثالى ، الذى كان فريدا فى تلك الأيام الحالكة السواد ، ورفع صـوته وبكى ، وأظهر كرمه الذى كان طبيعيا فى الأيام الغابرة ، لكنه كان قد توارى مدة طويلة ، وقال « إذا وجد رجل عدوه فهل يطلقه فى طريق خير . فالرب يجازيك خيرا عما فعلته لى اليوم هذا » (ص ٢٤ : ١٦ - ٢٢) .

وعندما فتش مرة أخرى عن داود ، وأقام محلته على حافة « تل حخيلة » ، على الجبال الجنوبية ، ونجى داود شاول مرة أخرى ، إذ كان يمكنه أن يضربه ضربة قاضية ، تجرأ شاول على أن يقول أمام كل جنوده « قد أخطأت . ارجع يا ابنى داود . لأنى لا أسيئ اليك بعد . هوذا قد حققت وضللت كثيرا جدا » (ص ٢٦ : ٢١) .

لكن تأنيب ضميره كان ، مع الأسف الشديد ، فى كل مرة لفترة وجيزة ، ولم يحدث أى تغيير فى قلبه ، أو فى نواياه . فقد كانت النار لا زالت كامنة فى قلبه ، منتظره أقل نسمة هواء لأشعال لهيبها . لقد استطاع أن يقول « مبارك أنت يا ابنى داود فانك تفعل وتقدر » . لكن داود لم يأتمنه . بل « قال فى قلبه أنى سأهلك يوما بيد شاول . فلا شئ خير لى من أن أفلت الى أرض الفلسطينيين » (ص ٢٦ : ٢٥ ، ٢٧ : ١) .

أما علاج الغيرة فإننا نجده فى هذه الاصحاحات المروعة :

لاشك فى أن شكوك شاول كانت معروفة تماما لكل أعضاء أسرته ، سيما ليوناثان . قبل أن ينطق شاول بتهديد بأن مملكة يوناثان لن تثبت « ما دام ابن يسى حيا على الأرض » أكد يوناثان لصديقه بأنه سوف يأتى الوقت « حين يقطع الرب أعداء داود جميعا عن وجه الأرض » (٢٠ : ١٤ و ١٥ و ٣٠ و ٣١) .

وبعد ذلك ، عندما كان شاول يطلب قتل داود فى برية زيف ، وكان الزيفيون هم الذين دفعوه الى جنوبه بخيانه وغدر ، « قام يوناثان بن شاول وذهب إلى

داود الى الغاب وشدد يده بالله . وقال لا تخف لأن يد شاول أبى لا تجدك وأنت تملك على اسرائيل وأنا أكون لك ثانيا . وشاول أبى أيضا يعلم ذلك » (ص ٢٣ : ١٥ - ١٧) .

كان اختيار داود الى العرش يؤثر على يوناثان أكثر مما يؤثر على أبيه . كان مؤكدا أنه لن يصل إلى العرش . صحيح أنه كان محترما ومحبوبا . لكن كان صحيحا أيضا أنه لن يتوج . ومع ذلك لم يصل الى محبته أقل أثر من الغيرة ، ولم تكدر صفو سلامه . المحبة الكاملة تطرح البغضة إلى خارج . لقد سجل عنه الوحى أنه « أحبه كنفسه » (ص ١٨ : ١ و ٣) .

ان هاجمتك تجربة الغيرة فلا تطل التفكير فى هذه العاطفة الساقطة ، ولا تسمح لها بأن تنمو فى داخلك ، بل انهض فى الحال وقاومها بكل قوتك . وطد العزم على أن تحب الشخص الذى تغار منه . قد تجيب بأن هذه هى الصعوبة التى تواجهك ، وهى أنك لا تقدر أن تحب . قد تجيب بأننى اذ أمرك بأن تحب فإن هذا يعتبر بمثابة أمر يصدر للكسيح بأن يمشى . فلنفرض هذا ، لكن يجب أن تميز بين المحبة وبين عاطفة المحبة ، قد يكون مستحيلا أن نأمرك بالأخيرة ، لكنه ممكن جدا أن تمارس الأولى ، طالما كانت المحبة تتضمن مبدئيا ، لا فى الاحساس ، بل فى العمل ، لا فى العواطف ، بل فى تصرفات انكار الذات والخدمة .

اجتهد أن تعرف الشخص الذى بدأت تحس بالغيرة منه . كن مستعدا لتعمل معه أعمالا رحيمة ، وتتكلم معه كلمات رقيقة . كلما جريت بأن تنطق بملاحظة تحقر من شأنه اضبط الكلمات قبل أن تنطق بها شفتاك ، وقل كلمات طيبة بدلا عنها . كلما وجدت نفسك على وشك أن تنطق بكلمات محقرة ، أو تحكم حكما قاسيا . غير تفكيرك لتعمل عملا كريما ، أغلب الشر بالخير ، والبغضة بالمحبة . لا تنتظر حتى تحس بالعطف ، بل أعمل بسرعة ، ومن قلبك غير تفكيرك لتعمل رحمة .

وفوق كل شئ تجنب أن تتباعد عن أخيك . ارتم فى أحضانه . اجتهد أن تعرف الهموم ، والمحن ، والتجارب ، التى تضايق حياته . اخلق معه صداقة مخلصة ، وقدم لك دواما صلوات حارة من أجله . ثق أيضا أن الله يستجيب لك ، وأن الروح القدس يبعد عنك عدم سلامك ، وأن من دفعك لكى ترغب فى الخلاص الكامل مستعد أن يعمل فيك لكى تريد وتعمل من أجل مسرته .

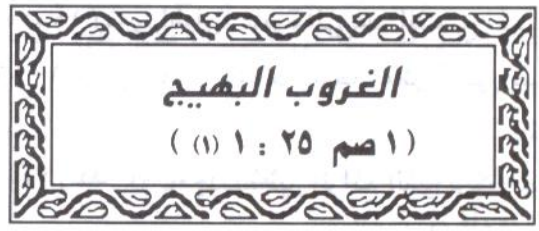

٢٣

الغروب البهيج
(١ صم ٢٥ : ١ (١))

تكون الحياة منيرة فقط عندما تتمثل بالحياة المثالية السماوية والمحبة البشرية تكون فى أقصى درجات حلاوتها عندما تنمو الى مقياس المحبة الإلهية الكاملة

[أ . أ . بروكتر]

أخيرا أتت نهاية حياة صموئيل . على الأقل فيما يتعلق بهذا العالم ، وحمل الى قبره بعد أن أكمل جهاده ، ومع أنه قضى السنوات الأخيرة معتزلا ، أولا بسبب شيخوخته ، وثانيا بسبب الثغرة التى كانت بينه وبين الملك ، فانه لم يفقد قط محبة شعبه له أو احترامهم اياه . وأخيرا عندما ذاعت الأنباء فى المملكة أنه قد أتاه ذلك النوم الذى يعطيه الله لأحبائه ، أحس الجميع بأن هذه كارثة للأمة كلها ، ولذلك فإنه من دان فى أقصى الشمال ، الى بئر سبع فى الحدود الجنوبية ، « اجتمع جميع اسرائيل وندبوه ودفنوه » (ص ٢٥ : ١) .

ويضيف يوسيفوس الى رواية الكتاب المقدس هذه الكلمات الرائعة :

«وقد برهن على سمو أخلاقه ، واحترام الشعب له ، حزنهم المتواصل عليه ، وحرصهم الشديد على أن تقترن جنازته بكل مظاهر الفخامة والوقار . لقد دفن فى مدينته ، وناحوا عليه أياما كثيرة معتبرين أن موته ليس موت رجل عادى أو رجل غريب ، بل هو موت من يعنى به كل شخص . لقد كان رجلا بارا ، ذا طبيعة رقيقة ، وعلى هذا الأساس كان عزيزا جدا عند الله » .

ظل تأثيره على مواطنيه باقيا فترة طويلة ، كبقاء نور الغسق طويلا بعد غروب الشمس ، فقد تردد اسمه بين الحين والآخر فى الكتاب المقدس .

---

(١) « ومات صموئيل فاجتمع جميع اسرائيل وندبوه ودفنوه فى بيته فى الرامة » .

ففى (١ أى ٩ : ٢٢) نستنتج أنه هو الذى وضع أساسات ذلك الترتيب الرائع الخاص باقامة اللاويين لخدمة المقدس، وقد أكمل داود وسليمان هذا الترتيب .

وفى (١ أى ٢٦ : ٢٧ و ٢٨) يؤكد الوحى بأنه بدأ يجمع كل الذخائر التى استخدمت لاقامة بيت الرب فى أيام سليمان العظيم ابن داود .

وفى (٢ أى ٣٥ : ١٨) نرى اشارة عابرة الى عيد الفصح المجيد الذى بدأه .

وفى (مز ٩٩ : ٦ ، أر ١٥ : ١) نشتم رائحة عطرية من صلواته الشفاعية الدائمة .

وفى (أع ٣ : ٣٤ ، ١٣ : ٢٠) نجد التأثير الرائع الذى تركته حياته وأعماله فى تاريخ شعبه .

وفى (عب ١١ ، ٣٢ و ٣٣) نراه يخلد اسمه فى قائمة الأبطال الذين عاوا وعملوا بقوة الإيمان .

« يعوزنى الوقت ان اخبرت عن ..... صموئيل والأنبياء. الذين بالايمان صنعوا برا » .

١ - بركة حيـــاته :

بالرغم من أن حياة صموئيل كانت مليئة بالمتاعب ، فلابد أنها كانت مليئة بعناصر البركة الحقيقية .

فقد كان رجل صلاة من الطراز الأول : كانت الصلاة هى ملجأه الدائم لم يكف عن الصلاة قط سواء من أجل شعبه أو من أجل الملك ، من أجل انقلاب الفلسطينيين ، أو من أجل شفاء شاول ورجوعه عن طرقه الشريرة ، وكان يعتبر أن توقفه عن الصلاة خطية . ففى أحدى المناسبات الخالدة صرخ قائلا « وأما أنا فحاشا لى أن أخطئ الى الرب فاكف عن الصلاة من أجلكم» (١ صم ١٢: ٢٣) كم من ليال قضاها ساهرا فى دموع وصلوات من أجل الملك الذى أقامه هو ، والذى كان قد أودع بين يديه مصالح البلاد كوديعة ثمينة .

نحن الى الآن لا نرى ، وربما لن يتاح لنا بأن نرى قبل أن يرفع الستار فى الأبدية ، إذا كان العالم قد انتفع أكثر بصلواتنا أو مجهودتنا . المرجح جدا هو أن الرجال والنساء الذين سكبوا الصلوات والتضرعات، مثل ابفراس (كو ٤:١٢) كانت لصلواتهم نتيجة فعالة . هؤلاء يشبهون الجبال العالية ، التى تجاهد مع السماء ، فتنزل على منحدراتها الأمطار بغزارة ، وتنقل هذه الأمطار تربة الجبال الى السهول .

يقول كاتب فصيح أن كل الكتب لا توازى السفر العظيم غير المكتوب الذى يرفع فى صلاة المخدع . قد ينسى العالم صلوات القديسين والشهداء ، وأنات المتألمين ، أما الله فلن ينسى . لو أن ملاكا حاول أن يجمعها - أن استطاع - عندما تصل أمام العرش ، وأسقطها من السماء ، لصارت بركة عظيمة جدا للذين على الأرض . هل يمكن أن يعادل أى كتاب عن سير الأبطال تلك الكلمات غير المكتوبة التى تسكبها فى أذنى الله تلك القلوب الخاشعة ؟ .

لكن هذه الصلوات كانت أعمالا . فى رسالة يعقوب (ص ٥ : ١٦) نقرأ أن « طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها » . فالمؤمن يبذل مجهودا جبارا فى الصلاة ، وهذا يصبح قوة فعالة فى الكون ، قوة لا تقهر ، ليست بمعزل عن الله ، الذى منه وبه وله كل الأشياء .

فلتكثر صلواتنا ، سيما كلما تقدمت بنا الأيام . لنسع لكى تدرج أسماؤنا فى سجل أولئك الذين يدعون اسمه . لنحى بحيث يطمئن الناس الى أننا نذكرهم فى صلواتنا كما كان يعتقد شاول فى أن صموئيل يصلى من أجله . « تجرى الصلوات أعمالا أكثر مما يفكر فيه هذا العالم » .

امتاز صموئيل ايضا بنبل القصد وانكار الذات :

استطاع دون أقل تردد أن ينطق بكلماته الرائعة التى تبين براءته التامة من أية شائبة ، كما تبين انكاره التام لذاته ، والواردة فى (١ صم ١٢ : ٣) (١) . كانت سيرته طاهرة بلا لوم ، نبيلة دون أية شائبة ، وذلك منذ تلك الأيام الأولى التى ذهل فيها اسرائيل إذ وجدوا الهوة السحيقة بين طهارة الصبى صموئيل ، التى تجلت فى رؤياه ، وبين شرور أبناء عالى . كان كل اهتمام صموئيل كل أيام حياته هو خدمة مصالح شعبه ، التى من أجلها بذل كل جهوده . ولم يخطر بباله لحظة واحدة أن يتحول عنها للبحث وراء مصلحته الشخصية .

كانت المتاعب التى تحل ببلاده تزيده اقترابا من الله ، وتزيده اتصالا بشعبه . لكنه عندما اكتشف أنهم يودون أن يتنازل عن وظيفته كان الأمر يتطلب كل مواهب نعمة الله ، وكل صفات النبل الحقيقية ، لكى يتحمل الصدمة بثبات ورباطة جأش . ثم تغلبت روح انكار الذات ، إذ كان هذا هو ناموس حياته الداخلية ، فبذل أقصى جهده للبحث عمن يمكن أن يجود به الزمن ليخلفه . وهكذا نراه باتضاع عجيب ينزل عن عرشه ليرفع عليه خليفته بنفسه .

---

(١) « هأنذا فاشهدوا على قدام الرب وقدام مسيحه . ثور من أخذت وحمار من أخذت . ومن ظلمت . ومن سحقت . ومن يد من أخذت فدية . لأغضى عينى عنه فأرد لكم .

كان هـذا الاتضـاع العجيب ، مع ما اقترن به من نبل القصد وانكار الذات ، هو ما أدى الى احترام الشعب له . والى هذه الناحية فى صفاته ينبغى أن ننسب قدرته على تمييز المقاصد الإلهية . ينبغى أن تكون العين بسيطة فى اتجاهها لكى يكون كل الجسم مليئا بالنور .

آه ، ليتنا تشتعل فينا الرغبة نحو مجد الله فى خلاص الآخرين ، ونحصر فى ذلك كل تفكيرنا ، فننسى أنفسنا ، ونرتضى بأن نتخذ الصفوف الخلفية ، وأن نحسب كلا شئ ، وأن نختفى نحن لكى يظهر المسيح ، وأن ننقص نحن لكى يزداد هو .

كان صموئيل أيضا يحرص على أن يبنى :

عندما كانت الفوضى تسود كل الأرض بدأ هو يضع أسس دولة جديدة . ان الأوقات والجهود التى بذلها فى إنشاء مدارس الأنبياء ، وإجراء العدل فى تجوله ، وفى أحاديثه للشعب - كلما دعاهم للاجتماع - هذه كلها خلقت سياسة نشأ عنها شعب متحد متماسك .

وهكذا تستطيع أنت أن تفعل شيئا فى حياتك . لا تضيع وقتك الثمين فى انتقاد الآخرين . بل ضع لبنة قوية فى البناء العظيم الذى يقام حولنا ، والذى ستؤسس عليه أورشليم الجديدة . ان انتقاد الآخرين لا يقوم أعوجاجهم . لكنك ان قمت بنفس العمل الذى يقومون به بطريقة أكثر سرعة وأكثر دقة ، فإنك تضطرهم الى الاقتداء بك . اننى أحب قصة ذلك الرجل الذى بدلا من الانتقاد على تخطيط حدائق جيرانه خطط حديقته بكيفية رائعة حتى اضطر كل الذين عن يمينه وعن يساره - لمسافات بعيدة - الى الاقتداء به .

لـن نكـف عن الكفـاح والجهـــاد
حتـــى نكمـــل بنـــاء أورشـليم
على أرضنا الجميلة الخضراء هذه

كسب صموئيل محبة شعبه له ، واحترامهم اياه ، كأول الأنبياء ، وكحلقة الاتصال بين الأيام الأولى للاستقرار فى فلسطين وبين أيام حكم سليمان المزدهرة . وذلك بصفاته التى كانت بلا لوم ، بعطفه وقوته ، بشركته الكاملة مع اله اسرائيل منذ حداثته الى شيخوخته . ولذلك فلا عجب أن رأينا أحدهم ، وكان يدين له بكل شئ وأن عجز عن أن يدرك عظمة شخصيته ، قد لجأ الى

هذا النبى العظيم فى ساعة محنته ، وكان قد هجره كل من حوله . لقد لجأ الى هذا النبى العظيم رغم أنه كان قد فارق هذا العالم منذ وقت طويل . وذلك عندما قال للمرأة صاحبة الجان « اصعدى الى صموئيل » (١ صم ٢٨ : ١١) .

٢ - موته المبارك :

ليس الموت حالة بل خطوة، ليس غرفة بل ممرا ، ليس مسكنا بل قنطرة فوق هوة . ليس أحد ميتا . ينبغى أن نتحدث عن المنتقلين على أساس أنهم الى لحظة جازوا نفقا مظلما ، لكنهم يعيشون فى رحبة العالم المتسع فى الجانب الآخر . « ليس هو اله أموات بل اله أحياء . لأن الجميع عنده أحياء » (لو ٢٠ : ٣٨) .

ليس أحد ميتا ، بمعنى البقاء فى حالة الموت . أن الذين ندعوهم أمواتا هم الذين ماتوا ، وبالموت انتقلوا الى العالم الآخر . لقد خلعوا خيمتهم الأرضية ، أما الروح فقد انتقلت الى الراحة أو الشقاء ومن هذه الحالة تستحيل العودة الى اهتمامات ومسئوليات هذا العالم الفانى . « لماذا أقلقتنى باصعادك اياى » (١ صم ٢٨ : ١٥) .

اذكروا كيف وصف الرسول بولس الموت :

لقد قال عنه أنه « انحلال » (٢ تى ٤ : ٦) . والكلمة فى الأصل اليونانى تعبر عن حل السفينة من مرساها لكى تخرج الى المحيط .

هذا هو الموت . هو انتقال النفس من المياه الراكدة ، من أسوار الميناء المحدودة،الى رحبة محيط الأبدية،حيث الأعماق والاتساع،حيث الفرصة لاكتشاف أقصى حدود الفكر وأبعاده ، والوصول الى الشواطئ الذهبية للجزر المباركة .

واذكروا كيف وصف الرسول بطرس الموت :

فإنه إذ تحدث عن موته استخدم نفس الكلمة التى سبق أن استخدمت على جبل التجلى عندما تكلم موسى وأيليا مع المخلص عن الموت « الذى كان عتيدا أن يكمله فى أورشليم » . فقال بطرس «بعد خروجى» (لو ٩ :٣١ ، ٢ بط ١ : ١٥) . لم تذكر هذه الكلمة (فى الأصل اليونانى) فى العهد الجديد إلا مرة واحدة عند التحدث عن خروج الشعب من مصر (عب ١١ : ٢٢) .

فالموت بهذا المعنى هو خروج ، لا دخول . هو بداية . وان كان نهاية فهو نهاية حياة العبودية والآلام ، وهو يفتح الطريق الى العالم الذى ترتقى فيه النفس بلا عائق .

يجب أن لا نخشى الموت . لعل النفس ، فى حالة أغلب الناس ، لا تحس بعملية الموت كما لا تحس بعملية الولادة . أنها لا تحتاج إلا إلى نقر قشرة البيضة الضعيفة ، وتمزيق الغلاف الرقيق ، وحل حبل الحياة الذهبى . والمرجح جدا أننا سوف نذهل إذ نجد أن السماء كانت محيطة بنا كل أيام غربتنا ، وأننا « قد أتينا (قبل الموت بوقت طويل) إلى جبل صهيون » ، وكنا نتمشى فى شوارع أورشليم الجديدة ، ونختلط بعدد لا يحصى من جنود الملائكة ، « وأرواح أبرار مكملين » (عب ١٢ : ٢٢ و ٢٣) .

لقد قال الرب بحق عن نفسه أنه هو « القيامة والحياة » . لقد « أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الأنجيل » (٢ تى ١ : ١٠) . نحن لم نترك فى ظلام الشكوك والتخمين ، لكننا نعلم أن هناك حياة بعد الموت ، لأن أناسا رأوه بعد قيامته . قال أحدهم « ونحن شهود بكل ما فعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم . الذى أيضا قتلوه معلقين اياه على خشبة . هذا أقامه الله فى اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهرا . ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم . لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات » (أع ١٠ : ٣٩ - ٤١) .

نعم هو حى . ولأنه حى فإننا سنحيا (يو ١٤ : ١٩) . لقد مضى ليعد لنا منازل فى بيت الآب . فى ذلك العالم سوف نرى وجهه ، ونتمم وصاياه مع جماعة الأرواح المتماثلة معنا . وأعتقد أنه حتى أنا موسى وهرون بين كهنته . وصموئيل بين الذين يدعون باسمه فى جماعات الأبدية (مز ٩٩ : ٦) .

+ + +

(٢٤)

عـين دور وجلبوع
(١ صم ٢٨ : ١أى ١٠ : ١٣-١)

الأرض تذبل والسماء تطوى
وأنا أقف أمام عرش الله وعنـدئذ
تكشف قلوب كل البشر أمام الديان العادل

[ر . بـ]

كانت قد مضت عدة سنوات منذ طوح مقلاع داود بجليات إلى الأرض فهرب الفلسطينيون مسرعين ، إذ كانوا فى أفس دميم ، أمام هجوم رجال اسرائيل . والآن نرى هجوما جديدا يدبر انتقاما لذلك العار الذى غطى الفلسطينيين ، لكى يعيد سلطانهم على سهل اسدرايلون ، الذى كان حلقة الاتصال الضرورية بين ثروات وادى الفرات وسوق منتجاتهم ومحصولاتهم العظيم فى مدن وادى النيل .

ولامتلاك هذا الطريق التجارى العظيم كان الأمر يقتضى فرض ضرائب عالية على البضائع التى تمر به من هنا أو هناك. ومن هنا وجدت الرغبة لامتلاكه. لهذا بدأ تيار الغزو الفلسطينى يتدفق على الطريق المحاذى لشاطئ البحر الذى كان يصلح لتقدم مركبات الفلسطينيين وجنودهم . ولذلك أقيمت محلة قوية جدا عند شونم ، التى تبعد عن يزرعيل شمالا بثلاثة أميال ونصف ، والتى أشتهرت فيما بعد إذ أقامت المرأة الغنية التى استضافت النبى أليشع بسخاء .

أسرع شاول إلى الشمال ، وجمع القوات التى استطاع جمعها ، وأقام خيامه على منحدرات جبل جلبوع، ثم ترتفع قليلا حتى تصير مقفره ومحجرة . وخلفها ترتفع قمم الجبال الى خمسمائة أو ستمائة قدم . وهى قمم بيضاء

---

(١) « فمات شاول بخيانته التى بها خان الرب من أجل كلام الرب الذى لم يحفظه . وأيضا لأجل طلبه الى لجان للسؤال » .

وجرداء ولا ينمو فيها سوى بعض شجيرات وأشواك وزهور ، التى لا ينعدم وجودها فى فلسطين ، فى الربيع على الأقل » .

تلاشت شجاعة شاول تماما إذ رأى منظر القوات العظيمة المصطفة عليه . وعندما قارن بين استعدادات الفلسطينيين الحربية الكاملة وبين رماح ومقلاع اسرائيل « خاف واضطرب قلبه جدا » (١ صم ٢٨ : ٥) .

لم يكن ممكنا أن تعود إليه شجاعته العظيمة التى كان يمكن أن يمده بها إيمانه ، وذلك لأنه كان شاعرا بأن الله تركه . لم تكن هنالك بارقة أمل وسط اليأس الشديد الذى تملك عليه . كان يستطيع أن يردد ما قاله أيوب « هانذا أذهب شرقا فليس هو هناك وغربا فلا أشعر بها . شمالا حيث عمله فلا أنظره . ينعطف الجنوب فلا أراه » (أى ٢٣ : ٨ و ٩) .

إلى هذا يجب أن تعزى سلسلة المآسى المفجعة التى سوف نتأمل فيها الآن . لم يتمتع بنعمة الله الحافظة ، التى سوف نتأمل فيها الآن . لم يعد يتمتع بنعمة الله الحافظة ، التى طالما احتقرها وقاومها ، فترك ليتبع ايحاءات الأرواح الشريرة « ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر » ، التى قد يسمح لها بالهجوم على بنى البشر من أجل مقاصد غامضة .

صحيح أنه سأل الرب للمرة الأولى على الأرجح جدا ، بعد انقضاء سنوات طويلة . لكن لم يذكر شئ عن أنه تاب واعترف بخطيته ، أو اخضع ارادته ، أو انتظر ارشاد الله بالصبر. لم يذكر شئ سوى عن خوف دنئ ، ويأس قاتل ، ولذلك ليس عجيبا أن نقرأ أن « الرب لم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء » (ع ٦) .

« أن راعيت أثما فى قلبى لا يستمع لى الرب » (مز ٦٦ : ١٨) .

١ - عين دور :

منذ فترة مضت « كان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض » (ع ٣) . ربما يكون قد فعل هذا فى فترة من فترات الصحو ، إذ كان يحس بعمل روح الله فى قلبه أو فعله لمقاومة النوازع الشريرة الداخلية التى كانت تقاومه ، فكثيرا ما سعى الناس للتكفير عن الخطايا التى تفتضح فيهم ببعض الأعمال القوية الخارجية ، التى يقصدون بها أن تتوازن مع خطاياهم ، أو أن يرحوا ضميرهم الثائر .

وعلى أى حال فقد اتضح أنه لم يبغض من كل قلبه تلك الجرائم التى قاومها . فانه فى ساعة شدته لجأ الى تلك الأعمال التى حاول أبطالها ، وطلب من فم الجحيم تلك المعونة التى طلبها عبثا من السماء .

على بعد ميلين من شمال شونم ، فى مؤخرة جيش الفلسطينيين ، كانت تقع قرية عين دور ، كانت هى أحدى تلك المواقع التى فشل فيها منسى عندما حاول طرد سكانها القدامى . ومن بين هؤلاء ، سلالة الكنعانيين القدامى ، كانت توجد امرأة تدعى القدرة على أصعاد أرواح الموتى . وقد كانت كل ادعاءاتها لا أساس لها . لا شك فى أنها ببعض أنواع الخداع وخفة اليد كانت تقلد صوت وهيئة الذين كان يبدو أنهم أتوا من العالم الآخر بناء على أمرها .

أن كان هنالك ما هو أكثر من هذا فنحن لا نتردد عن أن نؤكد اعتقادنا بأن الشياطين فى كل العصور تتواطأ مع السحرة والعرافين وعلماء الأرواح وتلبى طلباتهم . هذا هو أساس علم مخاطبة الأرواح فى الوقت الحاضر .

« تنكر شاول ولبس ثيابا أخرى وذهب هو ورجلان معه » ، يقول التقليد أنهما أبنير وعماسا ، فى وقت مبكر من الليل ، وعبروا السهل ، وداروا حول جبل حرمون الصغير ووصلوا سالمين الى مسكن الساحرة . فتح الباب ، ودخلوا البيت ، ووسط الظلمة داخل البيت . ووسط الظلمة داخل ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض . فلماذا تضع بالكلام ، فطلب منها أن تصعد له ما يقول لها عنه .

ترددت المرأة فى بداية الأمر ، وذكرته كيف تعرض مهمتهما نفسها للخطر ، وأنها أن أجابت طلبه فقد يكلفها هذا حياتها . « هوذا أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض . فلماذا تضع شركا لنفسى لتميتها » ؟ (ع ٩) .

أقسم لها الملك بالله الذى كان ينكره فى تلك اللحظة ، وباشارة خفية الى هيبته كملك ، أكد لها بأنه لن يلحقها أى شر أن حققت طلبته . « فحلف لها شاول بالرب قائلا حى هو الرب أنه لا يلحقك أثم (١) فى هذا الأمر » (ع ١٠) .

---

(١) « قصاص » حسب الترجمة الانكليزية ، « جزيرة » حسب ترجمة اليسوعيين .

إذ اطمأنت المرأة سألته عمن تصعده . ولابد أن تكون قد ذهلت عندما سمعت الملك يهمس فى أذنها قائلا « أصعدى لى صموئيل » ، وكان كمن استبد به الخوف .

وإذ ابتعدت المرأة التعسة عنه قليلا بدأت تعزيمها ، ولعلها ألقت ببعض المساحيق على الموقد ، مرددة بعض التعاويذ بصوت منخفض وبعض الأقسام وغيرها . وقبل أن تكمل استعداداتها يبدو أن الله القادر على كل شئ دخل ، وأرسل عبده الأمين صموئيل من عالم الأبدية ، لكى لا يعزى الفضل فى ظهوره للمرأة الساحرة . وهكذا « رأت المرأة صموئيل » .

وفى نفس اللحظة التى ميزت فيها شخصية صموئيل يبدو أنها عرفت شاول أيضا . واذ انزعجت وخافت على حياتها « صرخت بصوت عظيم وكلمت شاول قائلة لماذا خدعتنى» ؟ لعلها فى أشد حالات انفعالاتها النفسية منحت تلك البصيرة غير العادية التى ندعوها « قوة رؤية الأشياء أو الحوادث غير المنظورة » . أو لعله كان فى هيئة صموئيل شئ واضح جدا حتى استطاعت فى تلك الساعة الرهيبة ، أن تقرن النبى بالملك كما فى الأيام السالفة . أو لعل الملك فى لهفته اقترب وخلع عنه رداء التخفى . وعلى أى حال فقد أدركت أنه هو الملك ، وأنه كان متخفيا . وفى ذعرها صرخت قائلة « أنت شاول » .

فطمأنتها مرة أخرى ، وسألها عما رأته .

فأجابت « رأيت آلهة يصعدون من الأرض (١) » .

وألح عليها شاول لتصف هيئته بأكثر تدقيق ، لأنها كانت ترى هيئة عجيبة خفيت عنه وان كان حاضرا فى نفس الغرفة التى هى فيها ، أجابت « رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة » .

« فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه الى الأرض وسجد » .

---

(١) « رأيت كائنا عظيما رهيبا كأنه صاعد من الأرض » حسب الترجمة الانكليزية .

وكان الحديث الذى تلا هذا رائعا ومؤثرا جدا . وأننى أميل الى الاعتقاد بأنه تم دون وساطة الساحرة ، وأن الله سمح للنبى بالتكلم مع شاول ، كما سمح فيما بعد لموسى وأيليا بالتكلم مع ربنا « عن خروجه الذى كان عتيدا أن يكمله فى أورشليم » (لو ٩ : ٣١) . المرجح أن هذا الحديث تم بين الملك وصديقه القديم وموضع ثقته ، الذى لجأ اليه مكتئبا فى محنته الشديدة .

ألا تظن بأنه ، حتى فى ذلك الوقت ، لو كان شاول قد رجع الى الرب بدموع الاعتراف وبساطة الإيمان كان قد استجيب حسب كثرة المراحم الإلهية؟ يقينا أنه كان قد استجيب . لكن ليس هناك أى دليل على أنه قد حدث فيه أى شئ من التغيير .

لم ينتظر صموئيل حتى يسأله شاول . ولكنه بحزن شديد أخبره وهو فى فزعه بأن شروره قد أزعجت روحه جدا حتى وهو فى العالم الآخر، لدرجة أنه لم ير مناصا من أن يرجع اليه ليكلمه مرة أخرى ، « لماذا أقلقتنى باصعادك آياى » ؟ .

فكانت أجابة شاول مليئة باليأس : « قد ضاق بى الأمر جدا . الفلسطينيون يحاربوننى . والرب فارقنى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأحلام ، فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع » .

ولم تخرج من فم النبى كلمة عزاء أو كلمة رجاء . كان غير مجد أن يطلب من العبد المعونة التى رفض أن يعطيها الرب . ولم يكن ممكنا أن يتفادى هذه الحقيقة وهى أن الله نفسه كان مع داود ، كما كان ضد شاول الذى بدأ ملكه بداية طيبة ، وأن المصائب المتلاحقة ، التى حلت به وبمملكته كانت تعزى الى عدم اطاعته للتعليمات الصريحة التى أعطيت اليه بصدد عماليق ، وأن الخطية التى ارتكبها الآن أخيرا قد أكملت مكيال معاصيه .

لم يكن ممكنا أن يوجد هنالك فى تلك الساعة ما يمنع نزول الدواهى عليه أو يحولها عنه . ينبغى أن يحصد ما زرع . ينبغى أن يرقد حيث سقط .

لهذا أعلن له بأن الرب سوف يسلم اسرائيل أيضا معه ليد الفلسطينيين ، وأن شاول وبنيه سوف ينتقلون غدا الى عالم الأرواح ، وأن جيش العبرانيين سوف يباد ، وتنهب المحلة ، وتخرب الأرض .

لا عجب أن وجدنا أن « شاول سقط على طوله الى الأرض وخاف جدا من كلام صموئيل » . كان قد ابتدأ يضعف فعلا بسبب سهره وصومه طول اليوم السابق ، وقد فتت فى عضده حوادث الليل ، وانهارت أعصابه أمام تلك الصدمة القوية . حتى طبيعة الساحرة القاسية تأثرت جدا بعوامل الأسف والعطف . وإذ رأت عوامل الخوف والفزع بادية على الملك عادت اليها عواطف الأنوثة الرقيقة كاملة . فطلبت منه أن يأكل . وبالثقة التى نالتها منه توسلت اليه أن يأكل « ثم جاءت المرأة الى شاول ورأت أنه مرتاع جدا .

فقالت له هوذا قد سمعت جاريتك لصوتك فوضعت نفسى فى كفى وسمعت لكلامك الذى كلمتنى به . والآن اسمع أنت أيضا لصوت جاريتك ، فأضع قدامك كسرة خبز ، وكل فتكون فيك قوة إذ تسير فى الطريق » .

فى بداية الأمر رفض . فقد بدا له كأنه لن يقوم ثانية من الأرض التى ارتمى عليها . « فألح عليه عبداه والمرأة أيضا فسمع لصوتهم وقام عن الأرض وجلس على السرير » .

أية ذكريات مرت بخاطره وهو جالس على السرير إذ أسرعت المرأة لتهيئ الطعام . ألم يتذكر أيام ملكه السعيدة الأولى ، ويابيش جلعاد ، وانقلاب الفلسطينيين ، لا مرة ولا مرتين ، ومحبة شعبه له ؟ .

لكنه رأى كيف هبط خطوة فخطوة من أعلى قمم الجبال العالية المنيرة الى أسفل الوادى المظلم ، حيث كانت معلقة فوق رأسه الصخور الجبارة التى أوشكت أن تهوى عليه .

فى اللحظة الأخيرة قبل أن يغرق أى إنسان تمر أمامه كل سيرته السابقة. ولذلك فلابد أن تكون كل سيرة شاول الماضية قد وضحت أمام عينيه وبعد أن أكل الملك وعبداه بسرعة من العجل المسمن والفطير تسللوا فى الظلام وعادوا الى المحـــلة .

٢ - جلبوع :

وفى اليوم التالى حدث تغيير طفيف فى وضع الجيشين . فإن الفلسطينيين تحركوا نحو أفيق ، أى غربى محلتهم قليلا . أما الاسرائيليون فقد نزلوا من مرتفعات جلبوع ، واتخذوا موضعا بقرب «العين التى فى يزرعيل» (ص ٢٩ : ١) .

وللحال اشتبكت الحرب. وبالرغم من المحاولات الجريئة التى بذلها العبرانيون، والجهود الجبارة لمقاومة الهجوم عليهم ، فقد هربوا أمام الفلسطينيين . وقد ذكر الكتاب المقدس صراحة بأن منحدرات جلبوع اكتظت بالقتلى (ص ٣١ : ١) .

بذل شاول ويوناثان الجهود الجبارة للثبات فى ذلك اليوم .

من دم القتلى من شحم الجبابرة

لم ترجع قوس يوناثان الى الوراء

وسيف شاول لم يرجع خائبا (٢ صم ١ : ٢٢)

لكن كان كل ذلك عبثا . فقد « اشتدت الحرب على شاول . وضرب الفلسطينيون يوناثان وابنياداب وملكيشوع أبناء شاول » (ص ٣١ : ٢ و ٣) . تناثرت حوله زهور جيشه ، وغرق أبطال اسرائيل فى بحار من الدم .

وبعد ذلك ترك الفلسطينيون كل شخص آخر ، وركزوا هجومهم على الملك . « وأشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسى فانجرح جدا من الرماة » (ع ٣) .

لقد أدرك ماذا كان سيحل به لو أنه وقع فى يد العدو ولا زالت نفسه فيه . كان سيعرض لتشويه جسده ، والتعذيب حتى الموت . ولهذا فضل التعجيل بقتله . « فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعنى به لئلا يأتى هؤلاء الغلف ويطعنونى ويقبحونى » (ع ٤) .

« فلم يشأ حامل سلاحه » أن يمد يده لشخص ملكه . « فأخذ شاول السيف (وركزه فى الأرض) وسقط عليه » فنفذ الى قلبه .

ان الرواية التى رواها فيما بعد الرجل العماليقى لداود تبين أن المجهود الذى بذله شاول للاسراع فى انهاء حياته لم يلق نجاحا سريعا . أظهر هذا

العماليقى أن شاول ، الذى كان قد أمر بأن يبيد كل جنس العمالقة ، طلب منه أن يضربه الضربة القاضية . « فقال لى قف على واقتلنى لأنه قد اعترانى الدوار . لأن كل نفسى بعد فى » (٢ صم ١ : ٩) .

قد يكون هذا كله محض اختلاق قصد به ذلك العماليقى أن ينال الحظوة لدى داود . فالكتاب يخبرنا صراحة بأنه « لما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضا على سيفه ومات معه » (ص ٣١ : ٥) .

كان يوم جلبوع يوما مشئوما . « فمات شاول وبنوه الثلاثة . وحامل سلاحه وجميع رجاله فى ذلك اليوم معا » (ع ٦) . وفى اليوم التالى بدأ الفلسيطينيون يعملون . فعروا القتلى . وإذ « وجدوا شاول وبنيه الثلاثة » قطعوا رؤوسهم ونزعوا سلاحهم ، وقطعوا رؤوس الجثث ، لكن يحملوها بانتصار فى شوارع مدنهم الرئيسية ، وأخيرا لكى يسمروها على سور بيت شان .

وإذ انتشرت الأنباء ترك الشعب المدن والقرى المجاورة ، وهربوا عابرين الأردن . تبعث جماعات كثيرة الجيش الظافر ، وحملوا النار والسيف الى كل أرجاء البلاد . وكانت أنباء اقترابهم من جبعة هى التى سببت الحادث لمفيبوشت لكى يسقط ويصير أعرج الى نهاية حياته . « كان ابن خمس سنين عند مجئ خبر شاول ويوناثان من يزرعيل . فحملته مربيته وهربت ولما كانت مسرعة لتهرب وقع وصار أعرج » (٢ صم ٤ : ٤) .

حدث حادث نبيل خفف وقع تلك الكارثة قليلا . فإن رجال يابيش جلعاد لم يقدروا أن ينسوا كيف أن شاول أتى بكل نبل وشهامة لنجدتهم فى أوائل حكمه، ولذلك عزموا ، على الأقل ، أن ينقذوا جثة الملك من العار الذى عرضها له الفلسطينيون . فنهض أولئك الأبطال ، « وساروا الليل كله وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاءوا بها إلى يابيش » بكل وقار ، « واحرقوها » لكى يخفوا كل معالم التشويه التى تعرضت لها ، « ودفنوها تحت الاثلة فى يابيش وصاموا سبعة أيام » ، وحزنوا حزنا شديدا من أجل النهاية المفجعة للحكم الذى كان يبدو أنه صباح مشرق بدون غيوم .

أنه لأمر مخيف جدا عندما يصر إنسان ، كشاول ويهوذا ، على مقاومة الله الى النهاية . نحن نحس أنه أمر مزعج أن نفعل كما فعل شاول ، ونفزع من تهوره ، ونعجب من جنونه . ومع ذلك قد نقع فى طرقه الشريرة ، ويغلبنا الشر كما غلبه . نحن أيضا قد نلجأ الى الأشياء أو العادات أو الأشخاص الذين سبق أن حرمناهم . نحن أيضا نتراجع الى الوراء لهلاكنا .

ان كان أحد قد أحس بشر الطمع ، واستطاع بنعمة الله أن يتخلص من محبة المال ، لكنه بعد فترة سمح لها بأن تتسلط على نفسه - أن كان أحد قد استعبد لشهواته ، لكنه انتصر عليها ، وبعد ذلك سمح لها بأن تتسلط عليه بالتدريج - أن كان قد قضى سنوات بغير اكتراث بالنواحى الروحية ، لكنه بدأ ينشغل ويهتم بخلاص نفسه ، وبعد ذلك عاد الى حالته الأولى - أليس هذا هو ما فعله شاول حينما طلب المعونة من الساحرة التى كان قد أباد جنسها ؟ .

ان أشخاصا كهؤلاء هم « أبار بلا ماء ، غيوم يسوقها النوء » ، حفظت لهم ظلمة قاتمة جدا كما قال الرسول بطرس . « لأنه إذا كانوا بعد ما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضا فيها فينغلبون فقد صار لهم الأواخر أشر من الأوائل . لأنه كان خيرا لهم لولم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم » (٢ بط ٢ : ١٧ - ٢١) .

+ + +

٢٥

كلمة ختامية
(٢ صم ١ : ٩ الخ)

أن « نشيد القوس » ، وهو عنوان المرثاة المؤثرة الجميلة التى ألقاها داود فى حزنه الشديد على فاجعة جبل جلبوع ، مثير جدا للشجون . ويبدو كأن المرنم نسى الاختبارات الأليمة التى لقيها بسبب جنون شاول . وإذ أغمض عينيه عن السنوات الأخيرة ، عاد لينشد أناشيده الرعوية القديمة متغنيا بأمجاد وعظمة ملكه .

الظبى يا اسرائيل مقتول على شوامخك

كيف سقط الجبابرة

شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان فى حياتهما

لم يفترقا فى موتهما

إذ نسمع داود ينشد هذا النشيد ، فإن هذا يجعلنا نفكر فى محبة الله ، ويذكرنا بما قاله الله : « لا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد » (عب ٨ : ١٢) . هنا على الأقل ، قبل عصر المسيحية بزمن طويل ، نجد المحبة التى « احتملت كل شئ وصدقت كل شئ ورجت كل شئ وصبرت على كل شئ ولم تسقط أبدا » ، التى لم تذكر لشاول ويوناثان إلا محاسنهما ، ولم تفكر إلا فى أنهما كانا محبوبان وحلوين ، ورفضت أن تفكر فى أى شئ رذيل ارتكبه شاول . هذا ما ينبغى أن يكون تفكيرنا نحن أيضا فى شاول أول ملك فى اسرائيل .

يبدو لنا دواما كأن شاول واحد من أولئك المرفوضين الذين خشى الرسول بولس أن يحسب فى عدادهم أخيرا ، الذين اختارهم الله يوما ما ،

لاتمام مهمة سامية ، وكان يرجى منهم كل خير فى بداية الأمر ، لكنهم نبذوا أخيرا من خدمته ، وصاروا كالملح الذى فقد ملوحته ، فطرح خارجا لكى يداس من الناس .

هذه فكرة مرعبة جدا . فإنه لن تبدأ حياة مشرقة لامعة أكثر من شاول ، ولم تختم حياة فى ظلام مرعب ويأس قاتل مثل شاول . ومع ذلك فهذا ما قد يحدث لنا ، إلا أن كنا نسهر ونصلى ونسلك مع إلهنا بتواضع .

لا يمكن أن ننسى ذلك الوصف الذى ورد على صفحات كتاب « سياحة المسيحى» عن الرجل الذى كان فى قفص حديدى . قال ذلك الرجل « كنت مؤمنا بارزا فى عينى نفسى وفى عيون الآخرين. اعتقدت يوما أنى أستحق السكنى فى المدينة السماوية . وكنت وقتها فرحا باعتقادى أننى سأذهب الى هناك . لكننى تهاونت فى السهر والصحو ، وأطلقت العنان لشهواتى ، وأخطأت ضد نور الكلمة ، وضد صلاح الله . وأحزنت الروح القدس ففارقنى . وجربت الشيطان فأتانى. وأغضبت الله فتركنى. وقسيت قلبى جدا بحيث يعسر على أن أتوب » .

فقال المسيحى : « هذا أمر مرعب . فليساعدنى الله لكى أواظب على السهر والصحو (١ تس ٥: ٦) والصلاة لكى لا تختم حياتى كما ختمت حياة ذلك الرجل » .

ان الذين يخافون من السقوط فى مثل هذه الحالة هم أقل الناس عرضه للسقوط . ان التلميذ الذى يتساءل « هل هو أنا يارب » فى شك من نفسه ، لن يسقط فى الخطية بحيث يدوس ابن الله أو يصلبه لنفسه ثانية .

والأعمق من هذا أن شاول يمثل فى حكمه « رئيس هذا الدهر » ، (ويمكن أن يسمى « العالم ») ، الذى كان يوما ما « زهرة بنت الصبح » ، وكان قد عين نائبا عن الله للتسلط على ميراثه ، لكنه سقط من السماء (أش ١٤ :١٢) سقط من عليائه ، وفى سقوطه لم يجذب معه فقط عددا وفيرا من الأرواح الجميلة المنيرة ، لكنه أحدث تأثيرا سيئا على المنطقة التى سبق أن أقيم عليها .

فى كل هذه النواحى يوجد تشبيه قريب بين شاول الملك وبين الشيطان الذى كان رئيس ملائكة وسقط . فكلاهما أغدقت عليهما نعم أكثر من غيرهما . وكل منهما بدأ بداية طيبة جدا . وكل منهما كان وكيلا على ميراث الله . وكل منهما عصى وتكبر وتصلف . وكل منهما سقط من علو شاهق ، وفى سقوطه جر وراءه عددا وفيرا ، وترك خرابا وويلات . وكل منهما استحق الحكم بالعزل كبداية لتأسيس مملكة أخرى كانت فى دور التكوين . فى حالة شاول كانت مملكة داود فى دور التكوين ، وفى حالة الشيطان كانت تلك المملكة التى لن تزول بل تبقى الى الأبد .

ان تجمع المظلومين عند مغارة عدلام ، وتنظيم داود لهم بروحه النبيلة حتى صاروا جيشا عظيماً منظما مدرباً ، وتلك الروح السامية التى ظهرت فى داود بعكس خصمه شاول ، وتلك الاضطهادات المتوالية حلت به - هذه كلها تجد لها نظيرا رائعا فقط فى تاريخ ابن الانسان الذى كان دائما معرضا لمقاومة الشيطان من المهد الى القبر .

بالرغم من كل ما فعله شاول بجنونه وأحقاده لاحباط وتعطيل الخطة الالهية فقد أقام الله ملكه على صهيون جبل قدسه (مز ٢ : ١ - ٦) ، وخرج ليعلن أنه أجلسه على عرشه وتوجه .

هكذا أيضا يجب أن تتم وتثبت مقاصد الله مهما أشتدت مقاومة الناس والشياطين . ينبغى أن يملك ابن الله على البشر . ان مملكته متوارية الآن ، وأتباعه غير ظاهرين لأعين الناس . وأمبراطوريته الكاملة مختفية . ونحن فى كل يوم نصلى قائلين « ليأت ملكوتك » . وانقلاب عدوها اللدود ينبغى أن يسبق تأسيسها . ينبغى أن يكون هنالك « هر مجنون » للمسكونة (رؤ ١٦ : ١٦) ، كما كان هنالك جبل جلبوع . وحينما تنتهى تلك الحرب الأخيرة ، وتنهزم قوات الظلمة ، على أن لا تعود فيما بعد ، عندئذ يسمع هتاف أصوات كثيرة ، كما من جموع وفيرة ، قائلة « هلليلويا قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك الى أبد الآبدين » (رؤ ١١ : ١٥) .

« لذلك ونحن قابلون ملكوتا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى . لأن الهنا نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٨ و ٢٩) .

ان التأمل فى ملك شاول يبدو مرا جدا على النفس إلا إذا أدركنا أنه تحت تلك القشرة القذرة كانت تتكون تلك الثمرة الشهية ، أى مملكة داود ، التى كان مقدرا لها أن تغرس فى العالم غرسا أبديا .

هكذا نحن قد ننظر بعين اليأس إلى ما تفعله قوات الشر المثلثة فى العالم إلا إذا علمنا أنه « فى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر . وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت الى الأبد » (دا ٢ : ٤٤) .

هكذا نجد « صموئيل النبى » بمثابة حلقة اتصال بين شمشون القاضى وداود الملك . وهنالك أهمية كبرى فى هذه الحقيقة وهى أن اسمه أطلق على السفرين من الكتاب المقدس اللذين يصفان فترة الانتقال هذه ، وكانت كل حادثة فيها قد تأثرت بنفوذه .

+ + +

للمحـرب أيضـا

تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

القراءات اليومية فى الكتب السماوية ١٣ جزءا

أسرار الكنيسة السبعة باللغة الانكليزية

كيف تدرس الكتاب المقدس

باللغات العربية والانكليزية والأمهرية

الصلاة الربانية

+ + +

تأملات هادئة فى سفر التكوين

تأملات هادئة فى سفر الخروج

تأملات هادئة فى سفر عـــزرا

تأملات هادئة فى سفر نحميـا

تأملات هادئة فى سفر المزامير

+ + +

الاستعداد للتناول من جسد الرب ودمه

+ + +

رسالة ضد الوثنيين لاثناسيوس الرسولى

تجسد الكلمة لاثناسيوس الرسولى

حياة أنطونيوس لاثناسيوس الرسولى

رسائل عن الروح القدس لاثناسيوس الرسولى

الرسائل الفصحية لاثناسيوس الرسولى

+ + +

تفسير المزامير لأغسطينوس

تفسير مزمور ١١٩ سبرجن

+ + +

تفسير انجيل لوقا للقديس كيرلس

+ + +

تفسير الكتاب المقدس - رسالة رومية - تأليف متى هنرى

تفسير الكتاب المقدس الجامعة تأليف متى هنرى

تفسير الكتاب المقدس نشيد الانشاد تأليف متى هنرى

تفسير الكتاب المقدس نحميا تأليف متى هنرى

تفسير الكتاب المقدس استير تأليف متى هنرى

تفسير نبوات الأنبياء الاثنى عشر الصغيرة تأليف متى هنرى

تفسير نبوات الأنبياء انجيل متى تأليف متى هنرى

تفسير نبوات الأنبياء أنجيل مرقس تأليف متى هنرى

تفسير نبوات الأنبياء انجيل لوقا تأليف متى هنرى

تفسير نبوات الأنبياء انجيل يوحنا تأليف متى هنرى

+ + +

شهادة علم الآثار للكتاب المقدس

+ + +

حياة يوسف تأليف ف . ب . ماير

حياة إبراهيم تأليف ف . ب . ماير

حياة ايليا تأليف ف . ب . ماير

حياة يعقوب	تأليف ف . ب . ماير
حياة موسى	تأليف ف . ب . ماير
حياة زكريا (نبى الرجاء)	تأليف ف . ب . ماير
حياة صموئيل	تأليف ف . ب . ماير
حياة ارمياء	تأليف ف . ب . ماير
حياة يشوع	تأليف ف . ب . ماير
حياة داود	تأليف ف . ب . ماير
حياة بطرس	تأليف ف . ب . ماير
حياة بولس	تأليف ف . ب . ماير
حياة يوحنا المعمدان	تأليف ف . ب . ماير
المسيح فى اشعياء	تأليف ف . ب . ماير
تأملات فى رسالة فيلبى	تأليف ف . ب . ماير
مزمور الراعى	تأليف ف . ب . ماير
أسرار الحياة المسيحية	تأليف ف . ب . ماير
أضواء على الحياة اليومية	تأليف ف . ب . ماير
الرب قريب	تأليف ف . ب . ماير
حياة الذات	تأليف ف . ب . ماير
خمسة التزامات	تأليف ف . ب . ماير
سر الرشاد	تأليف ف . ب . ماير

+ + +

الطريق إلى الله	تأليف مودى
الزرع والحصاد	تأليف مودى
الصلاة المقتدرة	تأليف مودى

+ + +

تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى

حياة قسطنطين ليوسابيوس القيصرى

+ + +

أمثله الكتاب المقدس

قداسات الكنيسة الأثيوبية باللغتين العربية والانكليزية

خيمة الاجتماع

الذبائح

الكهنوت

مخدع الصلاة

+ + +

المؤمن الساجد لمسيحى غير معروف

+ + +

رقم الايداع بدار الكتب ٣٤٢٣ / ٧٩
الترقيم الدولى ٧٣ - ٧٢٨١ - ٩٧٧

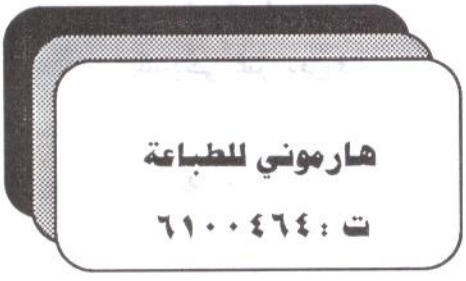

مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ - ٥٧٧٧٤٤٨